عبد الله خليفة الخباط

العلاقة السياسية
بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا
1795 - 1832م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

عبدالله خليفة الخباط

العلاقة السياسية
بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا

1795 - 1832م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى

1394و.ر ـ 1985م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ص.ب 959 مبرق 20235 «نشليبيا»

المقدمة

تتناول هذه الدراسة موضوع العلاقة السياسية بين ايالة طرابلس الغرب والحكومة الإنجليزية في عهد يوسف باشا الذي حكم إيالة طرابلس الغرب منذ سنة 1795 وحتى سنة 1832 م .

إن هذه الفترة التاريخية مليئة بالأحداث الدولية والتي آرتبطت بها إيالة طرابلس الغرب ذات الموقع الاستراتيجي الهام بمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، فقد شهدت صراعاً وتنافساً بين أكبر قوتين آنذاك ـ فرنسا وإنجلترا ـ في محاولة كل منهما الهيمنة وبسط النفوذ على أكبر مساحة من تلك المنطقة .

كذلك فقد شاركت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الصراع والتنافس الدولي في محاولة للحصول من إيالات الشمال الأفريقي على إذن بمرور سفنها التجارية بسلام في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط دون التعرض للمصادرة والأسر .

هذه الحقبة التاريخية مليئة بالأحداث والصراعات والتغيرات الداخلية والخارجية التي شكلت تفاعلاتها فترة ذات طابع خاص في تاريخ الإيالة يمثل كل جانب فيها وكل مظهر من مظاهرها بل وكل عنصر من عناصرها موضوعاً من الموضوعات الهامة الجديرة بالعناية والدرس .

وقد اختارت هذه الدراسة موضوع العلاقات الإنجليزية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمالي لأنه ـ دون التقليل من قيمة أي جانب آخر ـ يشكل أهمية خاصة في التعرف على الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية التي تمرّ بها البلاد في تلك الفترة ، كما يتمثل فيه الدور الهام الذي كان يلعبه قناصل الدول الأجنبية ، وفي مقدمتها القنصل الإنجليزي في توجيه مسار الأحداث السياسية .

وهذا الجانب على أهميته ما زال يكتنفه الغموض ولم ينل بعد ما يستحقه من عناية واهتمام ، وبذلك فإن الباحث يأمل أن تكون هذه الدراسة مساهمة أولية من شأنها أن تلقي بعض الأضواء على مجاهلة وتجيب عن بعض الاستفسارات والتساؤلات عنه وتدفع آخرين لزيادة بحثه ودراسته .

ومصادر هذه الرسالة ومراجعها متنوعة ويأتي في مقدمتها الوثائق التي اطلع عليها الباحث في أصلها في دار المحفوظات التاريخية بمبنى السراي بطرابلس ، وبعض الوثائق المصورة التي توفرت لدى مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي : إضافة إلى ما تمكن من الإطلاع عليه في الأرشيف البريطاني أثناء زيارته له ، وإحضار صور من بعض الوثائق الهامة ذات العلاقة المباشرة بالموضوع . . كل ذلك عدا الكتب والدراسات المطبوعة والمنشورة والمتداولة القديم منها والحديث .

ويتناول الفصل الأول من هذه الدراسة البداية الأولى للعلاقة الطرابلسية الإنجليزية قبل وصول يوسف باشا القرامانلي إلى السلطة في

إيالة طرابلس الغرب كتأسيس أول قنصلية إنجليزية بطرابلس وعقد أول معاهدة بين البلدين .

ويتناول الفصل الثاني العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب والحكومة الإنجليزية في بداية حكم يوسف باشا ، كموقف إنجلترا من تولية يوسف باشا السلطة بالإيالة وقلقها من التعاون بين نابليون ويوسف باشا ، والدور النشط الذي قام به القنصل الإنجليزي في إنشاء علاقة دبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنهاء الحرب التي نشبت بين البلدين فيما بعد .

أما الفصل الثالث فيتضمن آهتمام الحكومة الإنجليزية بإيالة طرابلس الغرب ، وجعلها في المستقبل قاعدة آنطلاق لرحلاتها الكشفية وتعيين قنصل جديد هو السيد هانمر وارنجتون كتمهيد لمثل هذه الرحلات ، وتوطيد العلاقة بين البلدين .

ويتتبع الفصل الرابع أهم البعثات الكشفية الجغرافية التي جعلت أراضي إيالة طرابلس الغرب قاعدة لاكتشافاتها الجغرافية لأواسط أفريقيا ، وتأثير هذه الرحلات على العلاقة السياسية بين البلدين .

أما الفصل الخامس فيختص بالعلاقة الطرابلسية الإنجليزية في نهاية عهد يوسف باشا وتدخل القنصل الإنجليزي في الفتن الداخلية بالإيالة ، والديون الإنجليزية وتأخر سدادها ، وتأثير ذلك على العلاقة السياسية بين البلدين ، وآضطرار يوسف باشا بالتالي إلى التنازل عن الحكم لابنه وولي عهده علي بك .

وأخيراً فإن الباحث يسعده أن يسجل شكره وتقديره لكل من أعانه على هذا البحث وخاصة الدكتور صلاح الدين حسن السوري الذي أشرف عليه وقدم له ملاحظات هامة ومتعلقة بالمنهج والأسلوب واللغة ، ويشكر أيضاً الدكتور صلاح الدين أحمد زارم المشرف الثاني الذي راجع البحث

وأبدى ملاحظاته القيمة رغم مشاغله الإدارية ، كما يشكر الدكتورة نجاح القابسي أمينة قسم التاريخ على آهتمامها بموضوع دراسته وتقديم كافة المساعدات والتسهيلات التي أعانته على إنجازه .

وفي الختام فإن الباحث يقدم شكره لجميع الإخوة والأخوات في المكتبات والمؤسسات والأراشيف ويخص بالذكر الباحثين والموظفين في دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ومكتبة مركز الجهاد وأرشيفها ، وفي الأرشيف البريطاني .

والله ولي التوفيق ،،،

الباحث

الفصل الأول

العلاقة الطرابلسية الانجليزية : البدايات الأولى

(1795 — 1585)

- انشاء أول قنصلية إنجليزية بطرابلس .
- العلاقات في العهد العثماني الأول .
- العلاقات في العهد القرماني قبل وصول يوسف باشا السلطة .

وأبدى ملاحظاته القيمة رغم مشاغله الإدارية ، كما يشكر الدكتورة نجاح القابسي [illegible] قسم التاريخ [illegible] موضوع دراسته وتقديم كافة المساعدات والتسهيلات [illegible]

[illegible] الإخوة والأخوات في [illegible] والموظفين في المكتبات والمؤسسات [illegible] دور المحفوظات [illegible] وفي الأرشيف البريطاني .

والله ولي التوفيق .

تمهيد :

كانت الحكومة الإنجليزية من أوائل الدول الأوروبية التي أسرعت إلى توطيد علاقاتها مع الامبراطورية العثمانية بانشاء سفارة لها بالقسطنطينية ترعى مصالحها وشؤونها ، آنتهت إلى عقد معاهدة مع الامبراطورية العثمانية سنة 1579 م ، حصلت بموجبها على امتيازات تجارية [1] في أراض الامبراطورية العثمانية شبيهة بالامتيازات التي حصلت عليها فرنسا بموجب الاتفاقية التي عقدها فرنسوا الأول مع سليمان القانوني سنة 1535 م [2].

---

(1) محمد مصطفى بازامة ، الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، مكتبة قورينا ، بنغازي ليبيا ، بدون تاريخ للطبع ، ص 21 .

(2) اميل خوري ، وعادل سليمان ، السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789 م إلى سنة 1958 م ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، بيروت - لبنان سنة 1959 م ، الجزء الأول ، صفحة 15 .

أشتد التنافس بين فرنسا وإنجلترا من أجل الحصول على مزيد من النفوذ في عاصمة الدولة العلية العثمانية ، وأمتد هذا التنافس إلى الولايات التابعة للإمبراطورية العثمانية ، وترتب عليه تنصيب قناصل لهم في تلك الولايات لرعاية مصالحهم التجارية والسياسية ، إضافة إلى وجود سفراء لهم في القسطنطينية .

وكانت وظيفة القنصل متعددة بحرية وتجارية وإدارية ومدنية وسياسية ، ويساعده في ذلك قناصلة محليون في بقية المدن بالولايات ، وفي أغلب الأحيان لا يتقاضون أجراً لأنهم من التجار المحليين ومهمتهم إلى جانب تجارتهم جمع الأخبار وإرسالها إلى القنصل « الجنرال العام » في عاصمة الولاية والذي كان بحكم منصبه حلقة الإتصال بوزارة الخارجية مباشرة [1] من ناحية أو الاتصال بالسفارة الإنجليزية بالقسطنطينية من ناحية أخرى ، وله حق الاختيار في ذلك حسب ما يتطلبه الموقف وأهمية الموضوع .

كانت المصلحة القومية هي التي تتحكم في علاقة القنصل بالحكومة المحلية وهو يقوم بواجبه على أساس أنه ممثل الدولة التي عينته بهذه الولاية وهي صاحبة المصالح الحقيقية ، ولذا فهو كثيراً ما يهدد بأستعمال القوة المتواجدة في البحر الأبيض المتوسط إذا لم تجب مطالبه ، وكان من أهم واجباته أن يعمل على تنمية نفوذ بلاده السياسي ومصالحها الاقتصادية ، وأن يدافع عن مصالح الجالية وحقوقها ومطالبها حسب رغباتها ووفقاً لمصالحها .

كانت طرابلس الغرب أهم الولايات التابعة للإمبراطورية العثمانية بحكم موقعها الجغرافي الهام ، فهي تمتلك شريطاً ساحلياً متسعاً على حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي والمواجه للشمال الأوروبي الذي كان يعيش أهله خلال تلك الفترة الزمنية ثورة صناعية تحتاج إلى مواد أولية

(1) الدكتور محمد محمود السروجي ، لعلاقات التونسية الفرنسية ، نشر المكتبة الوطنية ، بنغازي - ليبيا ، صفحة 34 .

ومراكز لتسويق منتجاتها وقد كانت إفريقيا مصدراً لهذه المواد ، فبذلت الدول الأوروبية مجهودات ضخمة من أجل ضمان وصول هذه المواد ، وأخذت تعمل على تحسين علاقاتها مع دول الشمال الإفريقي ، ومن بينها ولاية طرابلس الغرب(*) حتى تكون في المستقبل قاعدة ينطلقون منها إلى أواسط القارة بحثاً عن مناجم المعادن التي تحتاج إليها صناعاتهم .

إنشاء أول قنصلية إنجليزية بطرابلس :

آستطاعت الحكومة الإنجليزية أن تصل إلى ولاية طرابلس الغرب وتوطد علاقاتها معها محافظة على سلامة مرور سفنها أمام سواحل هذه الولاية دون التعرض لها من قبل الأسطول الطرابلسي ، والذي يعد من الأساطيل القوية التي يعمل لها حسابها في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت .

كانت التجارة عاملاً هاماً في تنمية العلاقات بين البلدين ، وكان من أهم السلع التي يقوم التجار الإنجليز بتصديرها إلى ولاية طرابلس الغرب : الحبال والقطران والرصاص والمنسوجات القطنية ومقايضة هذه السلع بالحناء والصوف والشمع والجلد والشعير والتمر والملح ، وكذلك ببعض السلع التي يمكن ـ للتجار الطرابلسيين آستجلابها والحصول عليها عن طريق تجارة القوافل عبر الصحراء مع أواسط إفريقيا والسودان ، وأغلب هذه السلع هي ريش النعام [1] ، وناب الفيل والجلود السودانية المدبوغة والتبر ، وتطورت

(*) ولاية طرابلس الغرب ، أطلق العثمانيون اسم طرابلس الغرب على منطقة طرابلس وبرقة وفزان موحدة نسبة إلى مدينة طرابلس العريقة وتمييزاً لها عن طرابلس الشام ، لذلك فإنني عندما أكتب فيما بعد طرابلس الغرب أقصد بها عند ذلك ما يعرف الآن : باسم ليبيا .

(1) الدكتور مايون جونسون ، تجارة ريش النعام في النصف الأول من القرن التاسع =

هـذه التجارة مـع مرور الـوقت وخاصـة في النصف الأول من القرن التـاسـع عشر ، حتى أصبحت تدر مبـالغ طـائلة على الطرفين وخـاصة الحـلفـا الذي أصبحت إنجلترا من أوليات الدول التي تستوردها من ولاية طرابلس الغرب ، ويجني التجار الإنجليز الذين يعملون في شرائهـا وبيعها ربحـاً صافيـاً مقداره فرنك واحد أو اثنان في البالة الواحدة [1].

وبـالإضـافـة إلى ذلـك التبـادل التجـاري بين الـدولتين فقـد آستفـاد الـطرابلسيون من الأسـرى الإنجليـز الـذين تمكن البحـارة الـطرابلسيـون من أسـرهم أثناء جهـادهم ضـد السفن الأجنبيـة ، وتشغيلهم في صنـاعـة السفن وتكوين الأساطيـل البحريـة للإيـالة ، وكثيـراً ما كـان هؤلاء الأسرى يعتنقـون الدين الإسلامي بعد مكوثهم فترة بالسجـون الطرابلسيـة فيتم عتقهم والسماح لهم بـالمشاركـة في جميع الأعمـال المدنيـة حيث يوكـل إليهم أحيانـاً قيـادة السفن والإشتراك مع الطرابلسيين في الجهاد ضد السفن الأجنبية الغـازية في البحر الأبيض المتوسط ، والتي تحاول فرض سيطرتها على الشعوب الواقعـة على هذا البحر.

ويمكن تتبع البدايـات الأولى للنشاط القنصلي الإنجليـزي في الولايـة منـذ سنـة 1585 م عنـدمـا أسست إنجلتـرا قنصليـة في الجـزائـر ، وعينت « المستر جون تيبتون Mr. John Tipton » قنصلاً لها في تلك البلاد وعهدت إليه أيضاً برعاية مصالحها بطرابلس الغرب [2].

= عشر ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول سنة 1981 م ، نشر مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، صفحة 133.

(1) محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمـد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ـ كلية الآداب سنة 1970 م ، صفحة 36.

(2) الآنسـة توللي ، عشرة أعوام في طـرابلس ، ترجمـة الدكتـور عبد الجليـل الـطاهـر منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ـ ليبيا ـ سنة 1967 م ، ص 21.

ويرجع تاريخ إنشاء أول قنصلية بطرابلس إلى سنة 1658 م إثر إتفاقية 25 يوليو من نفس السنة التي عقدت بين قائد الأسطول الإنجليزي « روبرت بليك Robert Blake » ، وعثمان باشا الساقزلي ، وكان صامويل توكر « Samuel Toker » أول قنصل لبلاده في الولاية [1] .

وكان إنشاء هذه القنصلية نتيجة صدام وقع بين قطع من الأسطول الإنجليزي بقيادة الأميرال المذكور ، وقطع من البحرية الطرابلسية ، تمكنت فيه القوات البحرية الطرابلسية من أسر سفينة إنجليزية تدعى « جورج George » ، تحت قيادة « وليم وايت William White » الذي تم أسره في نفس الوقت ومعه عدد من البحارة الإنجليز الذين كانوا معه على ظهر هذه السفينة .

تقدم السفير الإنجليزي بالقسطنطينية السيد « توماس بندش Thomas Bendish » بمذكرة من اللورد أوليفر Lord Oliver » حامي حمى إتحاد إنجلترا وآسكتلندا وإيرلندا إلى السلطان العثماني وقائد مملكة المسلمين يطلب منه إطلاق سلاح السفينة وقائدها والتعويض عن الخسائر التي لحقت بها ولكن دون جدوى فأضطر قائد الأسطول الإنجليزي لعقد الإتفاقية المذكورة التي تحمل في أعلاها الصيغة التالية :

« بأمر من صاحب السمو الأمير أوليفر كروموبل حامي حمى إنجلترا وإيرلندا ، أرسل سعادة السير يوحنا أستواكس جنرال سفنه إلى هذه الديار لعقد إتفاقية صلح » [2] .

---

(1) كوستا نزيو برينيا ، طرابلس من 1510 إلى سنة 1850 م ، تعريب خليفة محمد التليسي ، منشورات دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، الطبعة الأولى مايو سنة 1969 م ، ص 185 .

(2) The Public Record Office, London. Ref. s. p. 71 - 17 p. 146.

ملاحظة : إن كتابة الأسماء الأجنبية كتبت في هذه الرسالة على حسب التهجئة الأصلية التي وردت بالوثائق والمراجع التي تم تناولها والاستفادة منها .

وعندما حمل الأميرال أستواكس جميع الأسرى الإنجليز ترك في طرابلس الغرب القنصل المذكور ، وأخذت العلاقة بين الجانبين تتحسن على الرغم من أنها في بعض الأحيان كان يسودها شيء من التنافر والإبتعاد بسبب عدم كفاءة بعض القناصل ، أو لتصرفهم من تلقاء أنفسهم وآتفاقهم مع أمراء البحر الإنجليز المتواجدين بأساطيلهم في مياه البحر الأبيض المتوسط ودون الرجوع إلى حكومتهم بلندن ، وأحياناً بسبب سوء تصرفات بعض الوزراء أو الضباط بالولاية الطرابلسية أو رؤساء البحر ، ولكن سرعان ما تعود هذه العلاقة إلى حالتها الطبيعية وتتم تصفيتها عن طريق التفاوض مع السلطان العثماني ، أو مع الداي في الولاية ، فنجد مثلاً لذلك ما تم عند أسر أحد الضباط الإنجليز على ظهر احدى السفن الإنجليزية المارة في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط من قبل البحارة الطرابلسيين وإصابة سفينته بأضرار بلغت تكاليفها خمسة آلاف دولار ، فقام ملك إنجلترا على الفور بمراسلة الإمبراطور العثماني طالباً إطلاق سراح هذا الأسير وتعويضه عن الخسائر التي لحقت بسفينته مؤكداً أهمية آستمرار العلاقة الجيدة بين الدولتين [1] .

العلاقات الإنجليزية الطرابلسية في العهد العثماني الأول :

وعندما بعث عثمان باشا أحد ضباطه إلى القنصلية الإنجليزية بطرابلس لأداء مهمة خاصة له لدى القنصل الإنجليزي « ناتلين برانـدلي Natalien Brandley » ولما أتم الضابط مهمته واستأذن القنصل في الإطلاع على حجرات القنصلية بحجة أن هناك نساء تركيات يقمن بها ، وأمام ذلك لم يتمالك القنصل الإنجليزي نفسه أمام هذا التطاول وقام على الفور بتوجيه صفعتين وركلة لهذا الضابط ، وألقى به في الشارع [2] .

---

(1) ibid., p. 146.

(2) كوستا نزيوبرنيا ، طرابلس من 1510 إلى 1850 م ، ص 188.

وقد نقل تفاصيل هذا الحادث إلى الباشا الطرابلسي محتجاً على خرق الحصانة الدبلوماسية والإمتيازات التي تتمتع بها دور القنصليات الأجنبية في البلاد ، فأقر عثمان باشا تصرف القنصل الإنجليزي ونفى الضابط من الولاية حرصاً منه على آستمرار العلاقة الطيبة القائمة بين حكومته والحكومة الإنجليزية ، وتجنيب ولايته في نفس الوقت التصادم مع القوة الإنجليزية المتواجدة بأساطيلها في مياه البحر الأبيض المتوسط.

كذلك كان هدف الباشا الأساسي هو الإستمرارية في تسيير الأمور التجارية بين البلدين على خير وجه ودون تعثر وإزالة كل العراقيل التي تقف في سبيل تحقيق هذه العلاقة الطيبة ، ولا يمكن إتمام ذلك إلاّ عن طريق القنصل الإنجليزي المقيم بالولاية ، والذي ينوب عن الحكومة الإنجليزية بلندن وخاصة في توثيق عمليات البيع والشراء بين التجار وممتلكات الأسرى الإنجليز الذين يقعون في أيدي البحارة الطرابلسيين.

ولذلك نرى الباشا الطرابلسي يلح على الحكومة الإنجليزية أن تعين قنصلاً جديداً على وجه السرعة حينما يتم استدعاء القنصل إلى بلاده وتطول فترة رجوعه إلى عمله ، أو حين إنتهاء خدمته بالقنصلية وعدم إرسال قنصل بدلاً منه كما حدث عند آستدعاء صامويل توكر وتأخر إرسال بديل عنه حيث أسرع عثمان باشا في مراسلة الحكومة الإنجليزية بخصوص إرجاعه أو تعيين بديل له [1].

ولم تستجب إنجلترا إلى هذا الطلب إلاّ بعد أربع سنوات حين عهدت إلى ناتيل براندلي بهذا المنصب في أكتوبر سنة 1671 م حيث آستقبله الباشا بكل مظاهر الحفاوة والتكريم وأسكنه منزلاً يعتبر من أجمل منازل المدينة في ذلك الوقت ، ومما يذكر أن نوافذه كانت مطلة على ميناء طرابلس البحري حيث يسهل على القنصل مراقبة حركة السفن به ، ويتكون

---

(1) برينا ، نفس المرجع ، ص 185 — 187.

هذا المنزل من طابقين بكل طابق مجموعة من الحجرات ، فجعله براندلي لأسرته ومقراً للقنصلية الإنجليزية ، وفيه يتم توثيق عمليات البيع والشراء المتعلقة بالتجار التابعين للقنصلية والمشمولين بحمايتها .

أما بيت القنصلية الإنجليزية بطرابلس الذي بنى سنة 1744 م ، فهو من أقدم وأوسع البيوت في المدينة ، وإنه أعلى من أي بناء في المدينة ما عدا مآذنها[1] .

إن عثمان باشا كان له الفضل والبادرة الأولى في توطيد العلاقة بين ولاية طرابلس الغرب والحكومة الإنجليزية وإبرام الإتفاقيات مع الدول الأوروبية بصفة عامة ، وإنشاء قنصليات لها بطرابلس الغرب .

وبمقتضى التعاون مع القنصل الإنجليزي بالولاية آستطاع الباشا أن يجنب قواته الإصطدام والقتال مع الأسطول الإنجليزي في سنة 1662 م ، كما قام بتجديد المعاهدة مع الأميرال جون لاوسون « قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط » تلك المعاهدة المبرمة في السابق مع الأميرال أوليفر كرومويل سنة 1658 م .

على أن هذه الإتفاقيات لم تؤد إلى سلام دائم مستمر فطالما حدثت بين آن وآخر فترات من التوتر بين الطرفين أدت إلى أزمات دبلوماسية وصدام مسلح ، وكانت تتم تسوية هذه الأمور بالإتصالات والمفاوضات التي تنتهي بالوفاق بين الطرفين ، وعودة الأمور إلى مجراها الطبيعي .

كما حدث في عهد إبراهيم المصري أغلى الذي آستطاع أن يقلق بال قادة الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط حيث جهز أسطولاً

---

(1) مابل لويس تود ، أسرار طرابلس ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1968 م ، ص 73 — 80.

يتكـون من ست سفن حربيـة ووجهها لضـرب القوات الإنجليـزية المتـواجدة بالقرب من السواحل الطرابلسية ، وآستـطاع أن يستولي على ثـلاثة مـراكب إنجليزية ويسوقها إلى القرب من المياه المصرية حيث تم بيـع البضائـع التي كانت تحتويها هذه السفن بثغر الإسكندرية [1] .

أغضب هـذا التصرف الحكـومـة الإنجليـزيـة وأصـدرت أوامـرهـا إلى الأميـرال السير جـون نـاربـورو « Siro John Narborough » ، بـالتـوجـه إلى الشـاطىء الطرابلسي وإعـلان الحرب على الـطرابلسيين وبرز هـذا الأسطول المكون من عشر سفن حربية أمام المياه الطرابلسية في يوم 22 من يونيو سنة 1675 م ، وقد كان مع هذا الأسطول « ناتنيل براندلي » القنصل الإنجليـزي بـطرابلس الغرب ، فتقـدم إلى الباشـا طـالبـاً منـه إرجـاع مـا أخـذه البحـارة الـطرابلسيون من على ظهـر السفن الإنجليزيـة الثلاث ، ولكن هـذا لم يكن بمقـدور الباشـا الطرابلسي لأنـه قد تم بيـع هذه البضـائع بثغـر الإسكنـدريـة فعـرض عليـه إستعـداده لتعـويضهم بمبلغ من المـال يتم الإتفـاق عليــه بين الطرفين بدلاً من تلك البضائع المستحيل إعادتها .

رفض القنصــل الإنجليـزي هــذا العـرض ، ورجــع إلى الأســطول الإنجليزي المتواجد أمام الميناء الطرابلسي، وأخذ يطلق النيـران على القلعة مهدداً أهل المدينة ، وقد أغاظ هذا العمل جنـود البحارة الـطرابلسيين وآتجه بعضهـم تحت جنـح الظلام إلى الأسـطول الإنجليزي ، وتمكنـوا من ضـربـه وأسـر سفينتين إنجليزيتين منـه ، وأسر البحـارة الذين كـانوا على ظهـر هاتين السفينتين والمقدر عددهم بحوالي خمسة وأربعين بحاراً إنجليزياً ، فأثار ذلك العمـل غضب الحكـومـة الإنجليـزيــة وقـادة أسـطولهـا في البحـر الأبيض المتـوسط ، وتقدمت عن طـريق سفيرهـا بـالإستـانـة بمـذكـرة إحتجـاج إلى

---

(1) أحمد بك النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشـورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، ص 249 .

السلطان ، وأبدى الصدر الأعظم إستياءه الكبير من جراء هذا العمل قائلاً للسفير الإنجليزي السيد فينش Finch » كيف يتمادى كلاب طرابلس هؤلاء في إقتراف هذه الأعمال العدائية ضد حلفاء رفعة السلطان العثماني وأصدر أوامره في الحال إلى ضابط السراي سليم آغا بالتوجه إلى مدينة طرابلس ، وإبلاغ حاكم الولاية بضرورة مصالحة قائد الأسطول الإنجليزي ، وإعادة كل ما تم أخذه من البحارة الإنجليز [1]

لقد حاول إبراهيم المصري أغلى إقناع المندوب السامي السلطاني بتصديق ما حدث ، ولكن دون جدوى ، ومع ذلك فقد أبدى استعداده لتنفيذ أوامر السلطان وعرض على قائد الأسطول الإنجليزي والقنصل الإنجليزي بالولاية الصلح معهم مرة أخرى إلّا أنهم رفضوا هذا العرض مرة ثانية وآستمروا في محاصرة الميناء .

عقد الأميرال الإنجليزي على ظهر سفينته آجتماعاً طارئاً مع بحارته فرروا فيه جميعاً معاقبة البحارة الطرابلسيين ، وتمكن هؤلاء البحارة من إحراق أربع سفن طرابلسية كانت راسية بالميناء وآستمروا في ضرب القلعة بالمدافع ، فأدخلوا الرعب والفزع على الأهالي بالمدينة ، إلّا أن القصف توقف بسبب عاصفة جوية تقهقر بعدها الأسطول إلى مالطا ثم ما لبث أن عاود القصف بعد هدوئها مرة أخرى .

وتحت ضغط القصف والحصار آضطر الباشا إلى طلب الصلح ، فتم توقيع إتفاقية بين الجانبين بموجبها تم إطلاق سراح الأسرى الإنجليز ، وآستدعى الباشا الأميرال الإنجليزي لضيافته ، وأقبل هذا الأميرال هو وجميع بحارته وتناولوا طعام العشاء في بيت الباشا بالمنشية(*) ، وبرفقتهم القنصل

---

(1) شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، الكتاب الأول ، نشر دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، ص 245.

(*) المنشية ، هي الأراضي الواقعة خارج أسوار مدينة طرابلس من الناحية الشرقية .

الإنجليزي براندلي الذي غادر الولاية في اليوم التالي لهذا الحفل [1].

وقد كلف الأميرال ناربورو أحد قباطنته ويدعى «هنري كاسل Henry Castel » لإدارة شؤون القنصلية ، ولعل الإتفاقية التي وقعها الباشا محمد الإمام والي الولاية مع الحكومة الإنجليزية في 6 من إبريل سنة 1699 م ، تعتبر حجر الزاوية في نمو العلاقات بين البلدين ، ولا أدل على أهميتها من تجديدها في السنوات 1701 — 1703 — 1709 — 1711 م و 1730م .

وتتكون هذه الإتفاقية من إحدى وعشرين مادة ، وقد ظلت سارية المفعول أربعين سنة يتم تجديدها عند تولية كل حاكم وهي معنونة بالصيغة التالية في مقدمتها :

« إتفاقية سلم وأمن بين إنجلترا وولاية طرابلس إنه في يوم 4 شوال عام 1110 هـ الموافق 6 إبريل سنة 1699 م .

تم التفاوض على الشروط التالية لإقرار السلم والأمن وذلك بين قائد الأسطول الموفد من ملك إنجلترا ومحمد باشا والي طرابلس الغرب ، ومعه رئيس المجلس وبك الولاية السيد خليل بك قائد الحرس ، وبعض من ضباط الولاية والجيش وكبار الشخصيات من أعيان البلاد »[2] .

وتم توقيعها من قبل محمد باشا أمير أمراء طرابلس الغرب وخليل بك قائد الحرس ، ومن الجانب الإنجليزي قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط .

إن هذه الإتفاقية قد أعطت لطرابلس الغرب مكانة مرموقة في نظر الأوروبيين ، وحصلت إنجلترا بموجبها على إمتيازات متعددة في ولاية

---

(1) شارل فيرو ، نفس المرجع ، ص 249 — 251 .

(2) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف القنصلية الانجليزية بطرابلس .

طرابلس الغرب مكنتها من تنشيط تجارتها في دول حوض البحر الأبيض المتوسط .

ويمكن القول بأنها إتفاقية سلم وتجارة بين الطرفين ومعظم بنودها كانت تخدم المصالح المشتركة بينهما بصفة عامة ، بل إن إنجلترا حصلت بموجبها على أسبقية الدول الأوروبية في مجالها التجاري مع ولاية طرابلس الغرب وفي تمثيلها الدبلوماسي حيث تنص المادة العشرون من هذه الإتفاقية على أن يتقدم القنصل الإنجليزي على بقية القناصل الأجانب بالولاية عند آستقبال الباشا في المواسم والأعياد الدينية والرسمية نظراً إلى أن إنجلترا هي الدولة الأولى التي أبدت الرغبة في السلم مع الولاية وحددته بهذا الإتفاق .

كما أعطت لتجارها الذين يركبون السفن الإنجليزية ، وترسوا بميناء طرابلس الغرب ، ويرغبون في بيع بضائعهم آمتيازات جمركية خاصة ، فلا يحق للجمارك الطرابلسية جباية رسم يزيد على ثلاثة في المائة من قيمة البضاعة ، كما أن لهم الحق في ممارسة البيع والشراء في أي ثغر تابع لولاية طرابلس الغرب .

وفي الإتفاقية ضمان لأموال الرعايا الإنجليز الموجودين بطرابلس الغرب ، إذ في حالة وفاة أحد الرعايا تؤول ـ ممتلكاته إلى القنصل الإنجليزي العام ، ولا يجوز الإعتراض على ذلك .

كما نص الإتفاق على معاملة التجار الطرابلسيين معاملة طيبة من طرف الحكومة الإنجليزية ، ولهم حق نقل بضائعهم ومعاملاتهم التجارية على متن السفن الإنجليزية التجارية ، وقد تعهدت إنجلترا بمد يد العون والمساعدة إلى التجار الطرابلسيين الذين قد تصادفهم بعض المشاكل ، أو تتعرض سفنهم لغارات من قبل الأساطيل الأجنبية الأخرى ، كما يتضح ذلك من الوثيقة المؤرخة في 6 من ربيع الأول سنة 1143 هجرية الموافق 7 من

سبتمبر سنة 1730 م[1] . والتي تشير إلى مطالبة أحد التجار الطرابلسيين بالتعويض عما لحق به من أضرار أثناء قيامه من ميناء طرابلس حاملاً بضاعة إلى مدينة قندية(*) على ظهر سفينة فرنسية ، وحملت إلى ميناء طولون بجنوب فرنسا وصودرت أموالها ومن بينها أموال التاجر الطرابلسي الذي تمكن من الفرار والسفر إلى لندن ، وتقديم رسالة إلى ملك إنجلترا يطلب فيها تعويضه عن أمواله التي أخذت منه وهو على ظهر سفينة إنجليزية تحمل العلم الإنجليزي ، ويبين لنا هذا الطلب في نفس الوقت مدى التعاون والعلاقة الوطيدة بين التجار الطرابلسيين والإنجليز في تلك الفترة .

العلاقات في العهد القرمانلي قبل وصول يوسف باشا للسلطة :

وبوصول القرمانليين إلى السلطة وآزدهار النشاط البحري في عهدهم آزداد النشاط الدبلوماسي بصورة مطردة وخاصة فيما يتعلق بآرتباطهم بإنجلترا وفرنسا ، وما ترتب عن آحتكاك الدولتين وصراعهما من آثار على الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد وخاصة في عهد يوسف باشا موضوع هذه الرسالة ، ونكتفي في هذا الفصل بإبراز الخطوط العريضة للعلاقات الإنجليزية الطرابلسية منذ بدايات هذه الفترة كتمهيد للدراسة التفصيلية التي سنقدمها في الفصول القادمة .

فمع بداية عهد أحمد باشا القراماتلي(*) قدم أسطول إنجليزي ـ يتألف من خمس قطع بحرية يرغب في تجديد الإتفاقيات المبرمة سابقاً مع

---

(1) The Public Record Office, London. Ref. s. p. 71 - 23. p. 47.

(*) قندية ، احدى المدن الجميلة الواقعة بجزيرة كريت اليونانية .

(*) من مواليد طرابلس الغرب ، وأصل أسرته من مدينة قرمان بالأناضول ، وقد جاء مؤسس هذه الأسرة وهو مصطفى القرمانلي إلى طرابلس وآستقر بها وتزوج من أحد نسائها ، فأنجبت له عدة أولاد من بينهم محمود والد يوسف وجد أحمد القرمانلي المذكور ، أنظر ، ابن غلبون ، ص 190.

الولاية ، ولكن قائد هذا الأسطول لم يحضر معه الهدايا المعتاد تقديمها للباشا الطرابلسي عند قدوم أي قائد إنجليزي لميناء طرابلس له الرغبة في مقابلة الباشا وتجديد الصلح والأمان .

غضب أحمد باشا القرمانلي من ذلك التصرف وأمر بحارته بعدم تزويد هذا الأسطول الإنجليزي بالمؤونة التي قد يحتاجها أثناء رسوه ومكوثه بميناء طرابلس البحري ، وظلت تلك الأوامر سارية المفعول طيلة المدة التي بقيها الأسطول الإنجليزي بالميناء ، والتي تقدر بحوالي ثمانية أيام رغم محاولات قائد الأسطول الإنجليزي والقنصل الإنجليزي مع رئيس البحرية الطرابلسية تزويد السفن بالمؤونة والسلع التي يحتاج إليها دون أن يعلم الباشا ، ولكن قوبلت جميع هذه المحاولات بالرفض حفاظاً على الأوامر الصادرة من حاكم الإيالة .

أدركت حكومة إنجلترا بلندن أثر هذا التصرف من ضرورة التقارب والحصول على رضا الباشا القرمانلي حاكم إيالة طرابلس الغرب حماية لسفنها التجارية في مياه البحر الأبيض المتوسط ، فأوفدت سنة 1143 هـ سنة 1730 م الأميرال « كافانديش Cavendish » لتأكيد نفس نصوص الإتفاق المبرم في المعاهدة السابقة لعام 1699 ميلادية مع آدخال بعض التعديلات عليها [1] .

وحرصاً على آستمرار العلاقة بين الدولتين ، فقد طلب الباشا القرمانلي من جانب الوزير الإنجليزي « نيوكسلي Newcasly » تغيير القنصل الإنجليزي ريد Reid الذي تم تعيينه قنصلاً لإنجلترا عام 1734 م خلفاً للقنصل الإنجليزي صامويل بزديك Samual Bazdek » . الذي كان يتمتع

---

(1) أتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 م ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1974 م ، ص 283.

بأخلاق طيبة ونال محبة الناس في مدينة طرابلس الغرب ، وعلى رضا الباشا القرامانلي وأن القنصل السيد ريد كانت أخلاقه وأعماله غير مرضية ، فتضايق منه الناس وتخوف الباشا من إلحاق الضرر به والإعتداء عليه من طرف هؤلاء الناس، فتقدم بإرسال وفد إلى الملك الإنجليزي يطلب منه تغييره في أسرع وقت ممكن ، ويتعهد له بآستمرار العلاقة بين الجانبين كما تنص الإتفاقيات المعقودة في السابق بين الدولتين [1] .

وفي نفس الوقت فقد أشار الباشا على الحكومة الإنجليزية بتعيين السيد «جان بزديك J. Bazdek » أخي السيد صامويل بزديك القنصل الإنجليزي السابق ، والذي عاش مع أخيه في نفس الوقت فترة طويلة في مدينة طرابلس وعرفه الناس حق المعرفة ، كما فهم هو كذلك مشاعر وعادات أهالي مدينة طرابلس .

آستجاب الملك الإنجليزي لمطلب الباشا ووطدت العلاقة بين البلدين أكثر ، فقد زودت الحكومة الإنجليزية الاقتصاد الطرابلسي بسفن متعددة من السلع التموينية كالقمح والشعير أثناء فترة الجفاف لعام 1743 م ، حيث كان الزرع المحلي هذا العام لا يكفي حاجة السكان بالإيالة [2] .

كما قدمت الحكومة الطرابلسية كافة المساعدات للسفن الإنجليزية التي ترغب في الرسو بالموانىء الطرابلسية .

أما محمد باشا القرمانلي فقد آستجاب إلى الحكومة الإنجليزية التي عرضت عليه الصلح والإتفاق وأبدت رغبتها في مزيد من التعاون بين البلدين .

---

(1) The Public Record Office, London. Ref S. p. 71 - 23. p. 228

(2) مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، شعبة الوثائق والمخطوطات ، ملفات قنصلية نابولي وصقلية ، تلخيص فؤاد الكعبازي ، الوثيقة رقم 42 ، الفقرة الرابعة بتاريخ 22 فبراير سنة 1743 م .

وهكـذا فقد أرسـل «جورج الثـاني» ملك إنجلترا القـائد «أغـوسـتـوس Agustus » والقنصـل الإنجليـزي « روبـرت دايت Robert Diet » كممثلين عنه في التباحث مع الباشا الطرابلسي ، وإبداء الرغبة له في تجديد الصلح ، فمـا أن وصلا إلى طـرابلس حتى أسرعـا لمقـابلة البـاشـا الـذي آستقبلهـما بالحفاوة والترحاب ، وقد تم الإتفاق بينهما وتوصلا إلى إبرام إتفـاقية حـررت بتاريخ 29 من شـوال سنة 1164 هـ المـوافق 19 من سبتمبر سنـة 1751 م وتتضمن مقدمتها الصيغة التالية :

« الحمد لله وصلىٰ الله على مولانـا وسيدنـا محمد وصحبـه وسلَّم بين إيالة طـرابلس المنصورة ودولـة إنجلترا ، لتأكيد الحب والـولاء والصفاء من قـديم الزمـان بينهما ، بحضـور والي محروسـة طرابلس المؤيـد محمد بـاشا القرامانلي وسر العسكر وآغا الديوان وقبودنات أوجاق طرابلس ، وغيرهما من قواد العسكر والقائد أغوستوس بالبحر الأبيض المتوسط والقنصل الإنجليـزي بإيالة طرابلس الغرب السيد روبـرت دايدة ، حـررت نسخة صلح وأمـان بين الدولتين على خمسة وعشرين شرطاً » [1] .

وقـد سجلت في سجل خـاص ووقعت من قبل الـطرفين المـذكـورين أعلاه وآشتملت على خاتمة حملت الصيغة التالية :

« وبحسن آحتـرام الـطرفين وصـدق وإخـلاص الجـانبين ختمت هـذه المعاهدة القوية ، ويتعهـد الطرفـان برعـايتها وآحترامها وعـدم الإخلال بهـا وصيانتها مع تبادل الوثائق في الحال » [2] .

---

(1) الأرشيف البريطاني بلندن الملف :

The Public Record Office, London. Reference F. o. 76 - 1.

وسوف أكتبها باللغة الانجليزية إلى .F. O. 76 مع كتابة رقم الملف والصفحة .

(2) رودلفو ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ترجمة طه فـوزي ، =

وتبرز بعض مواد هذه الإتفاقية أهمية إيالة طرابلس الغرب كمركزاً تجارياً هاماً لدى الدول الأوروبية وللبضائع الإنجليزية بصفة خاصة ، كما توضح كيفية تجنب المواجهة بين الأسطولين الإنجليزي والطرابلسي في البحر الأبيض المتوسط .

وفي نفس الوقت تعطى هذه الإتفاقية مزايا كثيرة للأسطول التجاري الإنجليزي والتجار الإنجليز بالإيالة الطرابلسية التي لم يحصل عليها مثلهم من التجار الأوروبيين الآخرين الذين يشتغلون بحرفة التجارة بمدينة طرابلس الغرب والمدن التابعة لها ، فعلى سبيل المثال أعطت المادة السابعة والعشرون تسامحاً كبيراً من قبل الحكومة الطرابلسية نحو تجارة الإنجليز ، فقد أعفوا من الضريبة الجمركية عن الأشياء التي تأتي بها السفن الإنجليزية قصد بيعها بالإيالة ولم يتمكن هؤلاء التجار من بيعها ويرغبون بعد ذلك في إرجاعها وعدم بقائها بالإيالة .

آستطاعت إنجلترا كما يتضح من المادة العشرين من هذه الإتفاقية أن تملي على الباشا شرطاً تضمن به حياده ، فقد تعهد بعدم تقديم أية مساعدة لكلا الطرفين في حالة وقوع حرب بين إنجلترا والجزائر أو مع الحكومة التونسية [1] .

هذا من حيث المساعدات التجارية أما من حيث التمثيل الدبلوماسي فقد حصل القنصل الإنجليزي على الأفضلية والأسبقية عن بقية القناصل الأوروبيين لدى آستقبال الباشا الرسمي في المناسبات والأعياد الدينية بآعتبار أن حكومته كانت لها البادرة الأولى في طلب الصلح والتعاون مع حكومة

= نشر مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة - مصر ، سنة 1961 م ، الوثيقة رقم 2 من الملحق ، ص 8 — 12.

(1) ميكاكي ، نفس المصدر ، ص 11.

محمـد باشـا ، كمـا نص على ذلـك في المعـاهـدات السـابقـة بين إنجلتـرا وطرابلس الغرب .

وفي عهد علي باشا القرمانلي شهدت العلاقات الإنجليزية الطرابلسية تحسناً ملحوظاً ، فقد أسرع ملك إنجلترا «جورج الثالث» حال تولي علي باشا الحكم عقب وفاة أبيه بإرسال هدية ثمينة مع القنصل الإنجليزي بطرابلس وتكليفه بتقديمها بمناسبة توليته .

إستقبل علي باشا القرمانلي تلك الهدية بالإمتنان والسرور عند تسلمها من طرف القنصل الإنجليزي ، وحرر بعد ذلك رسالة إلى ملك إنجلترا يشكره فيها على تهانيه له بأعتلائه عرش الإيالة خلفاً لأبيه ، ومعبراً عن تمنياته الصادقة والمخلصة لحكومة إنجلترا وله شخصياً ، وحمل آبنه حسن بك هذه الرسالة ومعه هدية ثمينة للملك جورج الثالث ، وقد أعلم حسن بك الملك الإنجليزي بأن ما تراه حكومة إنجلترا مناسباً لها هو في نفس الوقت مناسباً لحكومة إيالة طرابلس الغرب ، ويتضح ذلك من الرسالة التي بعث بها علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث(*) ، والتي يقول فيها :

« إلى صديقنا المحترم الكبير آفتخار الأمراء العظام ملك إنجلترا ختم الله عواقبه بالخير والرشاد . نقدم إحتراماتنا في الصدق والإخلاص ، وصلت إلينا رسالتكم التي أرسلتموها قبل ذلك، وصار كل ما فيها معلوماً عندنا وسررنا جداً لا يمكن تعبيره باللسان ، كما قدم قنصلكم هديتكم الثمينة إلينا أدام الله دولتكم وعلمنا ، أنكم أرسلتم الرسالة والهدية بمناسبة قيامنا مقام أبينا في أوجاق طرابلس الغرب. أدام الله دولتكم وأحقر أعداءكم

(*) إن هذه الرسالة بدون تاريخ ولا رقم للصفحة ولكن اعتقد انها في سنة 1172 هـ الموافق 1759م .

ونقدم إليكم هدية حسن بك من أقربائنا ، ونرجو قبولكم لهذه الهدية الحقيرة وإن الباشا المذكور وكيلنا مطلق من الأوجاق وكل ما رأيتم مناسباً فهو عندنا مقبول »[1] .

لقد آحترم علي باشا القرمانلي نصوص الإتفاقية المبرمة في عهد والده مع حكومة إنجلترا فبعد وفاة ملك إنجلترا جورج الثاني وتوليه آبنه جورج الثالث أرسل علي باشا إلى القنصل الإنجليزي بالإيالة السيد روبرت وايت أحد كبار أغوانه يخبره بأنه ما زال على العهد وفياً كما كان آباؤه وأجداده ، كما أبلغه رغبته في تجديد المعاهدة المبرمة في عهد والده ، فرحب ملك إنجلترا جورج الثالث بهذه الدعوة ، وكلف قنصله روبرت وايت التباحث في هذا الأمر ، وقد تمكن القنصل الإنجليزي من دراسة الموضوع والإتفاق مع الباشا وإبرام هذه المعاهدة بتاريخ 25 من جمادي الآخرة سنة 1174 هـ الموافق 1761 م ويتضح ذلك من الوثيقة المؤرخة بنفس التاريخ والموقعة من قبل الطرفين ، والتي تقول :

« وجاء قبل ذلك في اليوم التاسع من شوال سنة 1164 هـ القائد أقوستوس والقنصل الإنجليزي روبرت دويت كأنهما وكيلان من جورج الثاني وتذاكرا في تجديد الصلح في دار الجهاد طرابلس مع المرحوم محمد باشا بن أحمد باشا القرمانلي ومع كتخداي وآغا الديوان وقبودانات الأوجاق وغيرهم من قواد العساكر بناء على ذلك حررت نسخة صلح وأمان بين الطرفين على خمسة وعشرين شرطاً ثم توفى محمد باشا القرمانلي وآحترم الأمير الجديد علي باشا بن محمد باشا القرمانلي شروط المعاهدة والصلح وتحقق وفاة جورج الثاني في هذه المدة وآعتلاء جورج الثالث عرش إنجلترا . فجاء إلينا القنصل روبرت دويت وكيلاً من الملك الإنجليزي إلى ديوان طرابلس وطلب منا تجديد الصلح وتوقيعه . بناءً على القانون الجاري

---

(1) F. O. 76 - 1.

عندهم ، وعلى ذلك تعهد الطرفان مع حضور علي باشا وكتخداي القلعة وآغا الديوان وقبودانات أوجاق لتجديد الصلح كما كان في الماضي على خمسة وعشرين شرطاً تعهداً برعاية الشروط ، وأن يبقى الطرفان أصدقاء كما كانا في الماضي »[1] .

وبعد ذلك وقعت من قبل الطرفين ووضع خاتم الدولتين عليها .

حرص علي باشا على المحافظة على نصوص المعاهدة آستمراراً للعلاقات الطيبة بين البلدين رغم تجاوز مهام القنصل الإنجليزي وتدخله أحياناً في شؤون الإيالة الداخلية ، وخاصة في الخصومات التي تقع بين أعضاء الديوان والوزراء في الحكومة الطرابلسية ، وكذلك رغم أعمال القرصنة والإعتداءات التي يقوم بها بعض بحارة الأسطول الإنجليزي ضد السفن الطرابلسية داخل المياه الإقليمية لشواطىء طرابلس ، وفي مياه حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأحياناً ضد السفن الأجنبية المتواجدة هناك ويسبب هذا الإعتداء الكثير من المشاكل للحكومة الطرابلسية ، ولكن كل هذا فقد كان الباشا يتغاضى عن كل هذه الأعمال، ويقوم بمراسلة الملك الإنجليزي مباشرة وآنهاء هذه المشاكل دون الوقوع في تصادم حربي ، ففي عام 1172 هـ الموافق لسنة 1759 م كانت سفينة مالطية تسير بالقرب من الشواطىء الطرابلسية فأثرت عليها عاصفة من الرياح وحطمت قسماً من ساريتها فآضطرت في الرسو بميناء مصراتة ، وكان في الميناء بعض سفن التجار من بلاد الإنجليز فأرسلوا زوارق إليها وأخذوا كل ما فيها من سلع ومواد ونقلوها إلى سفنهم وأسروا جميع البحارة المالطيين الموجودين على ظهرها والذين يبلغ عددهم حوالي اثني عشرة بحاراً وقسيساً كان معهم .

وعندما سمع الباشا بهذه الحادثة أرسل عساكره إلى هناك ، فوجدوا

(1) بدون رقم الصفحة .F. O. 76 - 1

السفن الإنجليزية قد بارحت الميناء وآتجهت إلى ميناء طرابلس البحري ، وهناك قام الجنود الطرابلسيون بأمر من الباشا بإلقاء القبض على الأسرى والبضاعة المسلوبة ونقلها إلى القلعة .

آنتقلت أخبار هذا الإجراء إلى القنصل الإنجليزي فأسرع إلى القلعة غاضباً وطالب بإعادة الأسرى والبضاعة إلى السفن الإنجليزية ، وقد لقي مطلبه هذا آستجابة لدى الباشا الطرابلسي الذي كان يحرص بجد على آستمرار العلاقة الطيبة مع الحكومة الإنجليزية وملكها ، ويتبين ذلك من الرسالة التي بعث بها إلى الملك الإنجليزي في شهر ربيع الآخر سنة 1172 هـ ، والتي يقول فيها :

« وبعد أن أحداً من السفن الصغار لعدونا مالطين حينما تذهب في البحر آنقسم قسم من ساريتها ، فألقتها العاصفة إلى ميناء مصراتة من وطننا وأرست على الأرض فيها . وكان في الميناء بعض سفن التجار من بلادكم ، فأرسلوا زوارق وأخذوا ما فيها من الطائفة وهم اثنا عشر نفراً وقسيساً ومن الأشياء الموجودة فيها ونقلوها إلى سفنهم . وكنا أيضاً سمعنا الحادثة وأرسلنا سفينة للقبض على الأسرى والأشياء ، ولما وصل عساكرنا وجدوا سفينة العدو منكسرة والأشياء والناس منقولة إلى سفينتكم . ثم أقلعت سفينتكم وجاءت إلى ميناء طرابلس وألقينا القبض على الأسرى والأشياء ، ولكن قنصلكم آعترض وقال : إنا ألقينا القبض عليهم وعلى أشيائهم ، وطلب منا إعادتهم . بناء على حرمتنا إليكم سلمنا الرجال والأشياء إلى سفينتكم ، فليكن هذا معلوماً عند حضرتكم ولا تخرجون عن خاطركم ونرجو دوام إخلاصكم فينا » [1] .

كذلك فقد أوفد ملك إنجلترا جورج الثالث السيد هاريسون Harrison

---

(1) F. O. 76 - 1. p. 44.

قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط إلى علي باشا للتفاوض معه على تسوية الديون المتعلقة بين البلدين وآنهاء المشاكل القائمة ، كآعتراض البحارة الطرابلسيين للسفينة الإنجليزية التي أخذت بالقرب من بورت ماهون(*) ونقلت إلى ميناء طرابلس البحري وأخذت البضاعة التي كانت تحملها .

لقد أثار ذلك آستياء الحكومة الإنجليزية وملكها الذي تمكن موفده من آنهاء هذا الإشكال والحصول على ترضية من قبل الباشا الطرابلسي بتسليم السفينة وتعويض بحارتها عن البضاعة التي أخذت من على متنها .

على أن العلاقات بين البلدين دخلت مرحلة جديدة بتعيين السيد ريتشارد توللي Richard Tolly قنصلاً جديداً للحكومة الإنجليزية لدى الإيالة الطرابلسية ، فآستطاع هذا القنصل الذي أمضى مدة طويلة في بلاط طرابلس الغرب أن يتعرف على الأحداث عن كثب ، وأن يتفهم الأوضاع الاجتماعية السائدة ، وأن يشارك الناس حياتهم اليومية ، وأن يتعاطف معهم في معاناتهم أثناء المحن والشدة كما جاء في رسالة المسس توللي المؤرخة في 10 من أغسطس سنة 1786 م ، والتي تحدثنا فيها عن الجفاف الذي أصاب إيالة طرابلس الغرب وأثره على الحياة الاقتصادية ، وكذلك عن مرض الطاعون الذي آنتشر إثر ذلك ، وكيف لجأ الكثير من الناس إلى مبنى القنصلية الإنجليزية يرغبون في تسجيل أسمائهم في قوائم للحفاظ على أموالهم وأرزاقهم تسحباً لأي طارىء قد يصيبهم ، فوجدوا في القنصل

(*) بورت ماهون ، قصبة جزيرة مينورقه ثانية جزر البليار غربي البحر الأبيض المتوسط ، ويرجع تاريخ هذه الجزيرة إلى تاريخ جزر البليار عموماً حتى أوائل القرن الثامن عشر ، ثم تغيرت السيادة على هذه الجزيرة أكثر من مرة خلال هذا القرن ، وتنازعت عليها فرنسا وإنجلترا ولكن منحت في النهاية لأسبانيا بصفة نهائية سنة 1802 م .

الإنجليـزي خير معين لهم إذ فتح لهم مبنى القنصليـة وآستقبلهم أحسن آستقبـال مقدماً لهم في نفس الوقت كل ما يستطيع تقـديمـه من عـلاج ومساعدة [1] .

وكـان هذا القنصل على أتصال مستمر بالأحداث الاجتماعيـة فكـان يشـارك أعيان البلاد في آحتفالاتهم وأعراسهم ، فقد شـارك هو وأسـرته في عرس بن أخ الحاج عبد الرحمن آغا البديري الذي تم تعيينـه من قبل البـاشا سفيراً لطرابلس لدى الحكومة الإنجليزية بلندن ، كمـا كان يتبـادل الزيـارات معهم كما نرى في إحدى رسائل « المسس توللي » ، التي تصف فيها إحدى زيـارته إلى منزل الحاج عبد الرحمٰن رفقة أسرتـه في يوم 19 سبتمبـر سنة 1787 م ، ويتناول طعام العشاء على الطريقة المغربيـة ، ويتبادل مـع الأسرة أطراف الحديث [2] .

هذا وقد ألقيت الكلمات في الحفل وتقـدم القنصل في نهـاية الحفـل ووجه دعوة إلى الحـاج عبد الرحمٰن وأسرتـه لزيـارته في بيتـه الليلة القادمـة لإظهار الود وحسن العلاقة بين الطرفين ، وقد تقبل الحاج عبد الرحمن هـذه الدعوة ، وآتجه في الليلة المقبلة إلى بيت القنصل الإنجليـزي ومعه زوجتـه حـاملاً معـه هدية نفيسة إلى عـائلة القنصل الإنجليـزي وهي عبارة عن حلة جميلة بديعة ذات زنار على الطراز المغربي ، وتوطدت بذلك العلاقات بين الأسرتين ، وأصبحت زوجة الحاج عبد الرحمٰن وبناته وأخواته من الصديقات الحميمات لزوجة القنصل الإنجليزي ريتشارد توللي .

آمتدت العلاقة الأسرية للقنصل الإنجليزي مع العائلة الحاكمـة لإيالـة طرابلس الغرب ، فشملت العلاقة زوجات الباشا القرمانلي وأسرته مع زوجـة

---

(1) ريتشارد توللي ، عشر سنوات في بلاط طرابلس ، ترجمة عمر الديـراوي أبو حجلة ، منشورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، ص 63 .

(2) توللي ، نفس المصدر ، ص 300.

القنصل وبناته وخاصة مع زوجة الباشا اللاحلومة ، فقد كانت تقوم بدعوة زوجة القنصل الإنجليزي لزيارتها بالقلعة ، وتقوم هي بدورها بزيارة زوجة القنصل في بيتها في المناسبات وفي الأيام العادية إظهاراً للود المتبادل بين الأسرتين .

كان علي باشا القرمانلي وثيق الصلة بالإنجليز ، فحين عودة الحاج عبد الرحمٰن آغا من سفارته بلندن إلى بلده طرابلس على ظهر سفينة عربية بقيادة قبطان إنجليزي يدعى سميث Smith ومعه عدد من الضباط الإنجليز على ظهرها أقاموا بطرابلس عدة أيام تمكنوا من خلالها من مقابلة الباشا والتحدث معه وقاموا بجولات متعددة داخل مدينة طرابلس وضواحيها .

كما أقام لهم القنصل الإنجليزي أثناء إقامتهم هناك وجبة غذاء في الريف ببستان الباشا حضرة الحاج عبد الرحمن آغا البديري ، فسماح الباشا القرمانلي للقنصل الإنجليزي بآستضافة الضباط الإنجليز ببستانه يدل دلالة واضحة على مكانة القنصل الإنجليزي في نظر الباشا الطرابلسي ، وعلى حسن العلاقة السائدة بين الحكومة الطرابلسية والحكومة الإنجليزية ، بل إن الباشا نفسه كان يقوم بزيارات ودية إلى بيت القنصل الإنجليزي ومعه أحياناً أولاده ونساؤه ، ويقدم لهم أنواع الشراب .

وذات مرة بعد عودة الباشا من أداء صلاته بالمسجد أرسل أحد حراسه إلى بيت القنصل الإنجليزي لإبلاغ الأسرة بأنه يرغب في القيام بزيارتهم ، وقد آستقبل القنصل الإنجليزي الباشا وحراسه الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة فارس بالحفاوة والترحاب ، وقدم لهم جميعاً المشروبات المفضلة لديه ، كما يتبين ذلك من رسالة المسس توللي المؤرخة في 23 يناير سنة 1793م [1] .

---

(1) ريتشارد توللي ، المصدر السابق ، صفحة 532 .

آستدعت الحكومة الإنجليزية ريتشارد توللي وأنهت خدماته كقنصل لها بإيالة طرابلس الغرب ، وعينت بدلاً منه السيد « سيمون لوكاس Simon Lucas »(*) وغادر ريتشارد توللي مدينة طرابلس يوم 23 من أغسطس سنة 1793 م بعد إقامة بها دامت عشر سنوات كلها عمل وتعاون جاد مع حكومتها في سبيل توطيد العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين .

تقدم التجار الطرابلسيون والمسيحيون واليهود إلى القنصل الإنجليزي الجديد سيمون لوكاس مطالبين بدفع الديون التي كانت على القنصل الإنجليزي السابق ريتشارد توللي ، وتقدموا إلى الباشا يطلبون وساطته مع القنصل الجديد .

آستجاب سيمون لوكاس إلى مطلبهم إلاّ طائفة أرباب التجارة من اليهود فقد رفض أن يدفع لهم ديونهم معتذراً أنه لا يستطيع أداءها إلاّ بعد وصول الإذن له من حكومته الإنجليزية بلندن ، فأغضب ذلك الطائفة اليهودية وآشتكوا إلى الباشا بالخصوص مرة أخرى ، فآستجاب لهم الباشا وراسل الملك الإنجليزي موضحاً له ضيقه من سوء معاملة القنصل الجديد نحو الطائفة اليهودية والتي كانت على علاقة جيدة معهم ، وعلى رأسهم سيدتهم استير المشهورة باسم الملكة اليهودية بمدينة طرابلس الغرب ، والرسالة التي بعث بها الباشا إلى الملك الإنجليزي بتاريخ 15 محرم سنة 1208 هـ :

«ولما صرت رئيساً للأوجاق ، جاء بعد بضعة أيام قنصل جديد إلى

(*) سيمون لوكاس ، تولى شؤون القنصلية الإنجليزية سنة 1794 م خلفاً لريتشارد توللي ، وكان لوكاس على دراية بمنطقة الشمال الافريقي لاشتغاله فيها كرحالة تابعاً للجمعية الجغرافية الملكية اللندنية ووقع أسيراً في إحدى رحلاته بالجزائر واستطاع الفرار من السجن والتزوج من امرأة جزائرية مسلمة ، وتعلم العربية مما ساعدته عند رجوعه إلى لندن في تعيينه قنصلاً بطرابلس من بعد .

طرفنا ، ولكن القنصل القديم كان يشتري ويبيع مع سكان الولاية قبل ذلك ، ولما جاء القنصل الجديد وجب عزله وطلب أرباب الديون منه ديونهم فأجاب بأدائها ولكنه قال : إني لا أؤدي ديون اليهود إلاَّ بعد وصول الإذن من ملكنا ، وبناء على ذلك آشتكت الطائفة المذكورة إلينا ، فآنكسر خاطرنا عن طوره ضد اليهود ، ولكن لم نجبره بأداء الديون لليهود بناء على الصداقة التي بيننا . وبناء على السؤال في هذا الموضوع كتبنا إليكم هذه الرسالة وأرسلناها » [1] .

وفي نفس الرسالة عرض علي باشا على الملك الإنجليزي الرغبة في تجديد المعاهدات المبرمة في السابق وتأكيد المحبة بين البلدين ، وأنه على آستعداد لإبرام معاهدات جديدة مع الحكومة الإنجليزية ، فأوفد إبراهيم قورجي إلى لندن كسفير له لإبرام أي إتفاق أو صلح يتفق عليه معه إنهاء للمشاكل المتعلقة بين البلدين .

وفي السنوات الأخيرة من حكم علي باشا حدث نزاع بين أفراد الأسرة القرمانلية وخاصة بين أبنائه الثلاثة حسن وأحمد ويوسف ، وتمكن الأخير من قتل الابن الأكبر حسن بك ولي العهد ، وحاول محاصرة القلعة ومحاربة أبيه والسيطرة على الحكم .

وفي أثناء محاصرة الابن الأصغر للقلعة قدم أسطول إلى طرابلس يوم 29 من يوليو سنة 1793 م ، يحمل العلم العثماني وتحت قيادة شخص يدعى علي برغل(*) ومعه حوالي أربعمائة رجل مدججين بالسلاح ، وعند

---

(1) F. O. 76 - 1. p. 39 - 40.

(*) على برغل ، من أصل انكشاري من بلاد جورجيا أقام في الجزائر مدة طويلة حيث عمل بها بحاراً حتى وصل إلى منصب رئيس البحرية وبعد أن فقد منصبه هذا آتجه إلى استنبول حيث أقام عند أخيه نائب رئيس الأسطول العثماني الذي شجعه للسفر إلى طرابلس واعداد حملة على نفقته الخاصة ، وفي 29 يوليو سنة 1793 م ، وصل=

دخول الأسطول إلى ميناء طرابلس البحري تقدم واحد منهم وتلا فرماناً بعزل علي باشا وتولية علي برغل خلفاً له ، وأمام ذلك هرب علي باشا القرمانلي وأبناؤه إلى تونس [1] .

عامل علي برغل الحاكم الجديد لإيالة طرابلس الغرب القناصل الأجانب معاملة سيئة إذ فرض عليهم خلع أحذيتهم عند الدخول لمقابلته ، وتقبيل يده عند التسليم عليه إلاّ أن القناصل الأوروبيين تضايقوا من هذه الشروط المفروضة عليهم [2] .

لقد غضب القنصل الإنجليزي من هذا الإجراء ورفض مقابلته ، ورفض تقديم التهاني لعلي برغل ، وكاتب على الفور حكومته مبلغاً إياها هذه التصرفات فأمرت قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط بإرسال بعض السفن من أسطوله لتهديد الحاكم الطرابلسي وإيقاف هذه التصرفات.

آستطاع أبناء علي باشا القرمانلي بمساعدة حمودة باشا حاكم ولاية

= إلى طرابلس بأسطوله وتسلم المدينة رغم تصدى يوسف بك الابن الأصغر لعلي باشا ومعه بعض الأعيان للدفاع عن المدينة ولكن بفضل مساعدة باي تونس حمودة باشا عادت الأسرة إلى طرابلس مرة ثانية في 18 يناير سنة 1795 م وهرب على برغل إلى مصر ، وقد اشتهر بعلي برغل للأسباب التالية.

إن كلمة برغل تعني بالتركية القمح المسلوق المكسر وذلك لأنه كان يطعم جنوده البرغل بدلاً من الأرز ، كما عرف أيضاً بالجزائر لي لأنه إقام في الجزائر مدة طويلة . أنظر أحمد صدقي الدجاني أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ، محمد الطوير ، ثورة الشيخ يغومة المحمودي ، المجلد الأول ، سنة 1981 ، ص 22 . رسالة ماجستير لم تنشر بعد .

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ملف الأسرة القرمانلية ، الوثيقة رقم 14514 من رئاسة الوزارة التركية .

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 123 .

تونس طرد علي برغل من حكم إيالة طرابلس الغرب وتولية الابن الأكبر لعلي باشا السيد أحمد باشا القرمانلي خلفاً لأبيه الذي بقي بتونس حتى هدأت الأحوال ورجعت الأمور إلى حالتها الطبيعية الأولى ، وكان رجوعه على ظهر سفينة إنجليزية تحت قيادة القبطان الإنجليزي ميدلتوف Medltof بأمر من قيادة الأسطول الإنجليزي بمالطا الذي عمل كل جهده في تقديم كافة المساعدات العسكرية من سفن وسلاح إلى الجنود القرمانليين [1] .

قدم أحمد باشا القرمانلي الشكر والإمتنان على هذا التعاون إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث ، وأكد له أنه على طريق آبائه وأجداده سائراً وأنه سيبذل قصارى جهده من أجل المحافظة على العلاقات الطيبة بين البلدين ، كما يتبين من رسالته إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بتاريخ 7 من شعبان سنة 1209 هـ والتي يقول فيها :

« محبنا الري جورج الثالث ري الإنجليز سدد المولي أحواله بعد تمييز أغصان الوداد وتأسيس بواعث المحبة والقرب والإتحاد، وإننا على ما تعهدون في المحبة التي أسسها أوائلنا ، وإننا قدمنا على سرير ملكنا ونحن نزيد في محبتكم وأنتم كذلك والعهد السابق مع والدنا نحن باقين فيه ، وقدم لنا والدنا دام أعلاه في فرقاطة(*) متاعكم بسنجقكم(**) التي رئيسها القبطان ميدلتوف ، ووقف معه الوقوف الكامل وعمل إليه أفعال المسيسة التي فيها أدفة الحب والقرب لأنكم أنتم أناس من أهل الصلح الصحيح والعهد الصريح وكل أحد عليه جانب ومنتظرين جوابكم والمحبة بيننا وبينكم

---

(1) أحمد بن أبي الضياف ، اتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الزمان ، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، طبع المطبعة الرسمية ، تونس سنة 1963 م ، جـ 3 ، ص 25 .

(*) فرقاطة . سفينة حربية في الغالب .

(**) بسنجقكم . علمكم أي العلم الإنجليزي .

تتأكد وتزيد في كل يوم جديد ودمتم بخير وعافية»[1] .

وتأكيد للصداقة بين البلدين فقد كتب علي باشا القرمانلي بعد عودته من تونس رسالة إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث أبلغه فيها بأن رسالته التي أرسلها له قد وصلته وأنه مستريح لما ورد فيها من رغبة أكيدة في آستمرار العلاقات الطيبة بين البلدين وزيادة في التقارب بينهما ، كما أبلغ علي باشا في هذه الرسالة الملك الإنجليزي بأنه سعيدٌ جداً بالمساعدات التي تلقاها أبناؤه أثناء إعادة الإيالة لسلطانهم وطرد الغازي علي برغل منها ، كما شكره على التكليف الذي من طرفه بإيفاد سفينة إنجليزية تحت قيادة القبطان ميدلتوف لعودته على ظهرها من ولاية تونس.

وفي ختام الرسالة أكد له بأنه هو وأبناؤه أحمد ويوسف على إستعداد لإبرام أي إتفاق من شأنه أن يقوي الروابط بين البلدين ، وهذا ما ورد في رسالة علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بتاريخ 7 من شعبان سنة 1209 هـ ، والتي يقول فيها :

« . . . محبنا الري جورج الثالث ري الإنجليز لا زال محمود العواقب مأثور المناقب . . . . . وإن سبب تحرير هذا الكتاب وتسطير هذا الخطاب فإننا على ما تعهدون من المحبة والمودة التي عقدوها أوائلنا ، ونحن من دولتنا ودولتكم التي لا تتغير بطول الزمان ، وفي السابق جوابكم أطلعنا على ما أظهرتم فيه من المحبة وما تكلمتم به في المودة وزيادة المسيسة والمحبة والآن أنجالنا قدموا لبلادنا ونزعوا ملك آبائنا وأجدادنا من يد عدونا وهرب العدو من البلاد وركبنا نحن في فرقاطة متاعكم بسنجقكم التي رئيسها القبطان ميدلتوف وروحنا معه إلى طرابلس على سر الأحوال ووقف معنا الوقوف الكامل وأظهر إلينا المحبة الكبيرة ، وفعل معنا مكارم الأخلاق ووقف

---

(1) بدون رقم الصفحة .F. O. 76 - 5

لنـا فـوق الضن ، ونحن بـاقين على المحبـة السـابقـة ، وأنتم تكـونـوا كذلك »[1] .

وعندما تقدم السيد سيمون لوكاس القنصل الإنجليزي الجديـد لمقابلة الباشا القرمانلي حال آستلام مهام منصبه من جديد قـدم له التهـاني والهديـة السنوية المعتاد تقديمها ، فآستقبل أحمد باشا القـرمانلي القنصـل الإنجليزي بكـل حفاوة وتـرحيب ، وأشاد بـالتعـاون الـذي لقيتـه أسرتـه من الحكـومـة الإنجليزية إبان إعادة سلطانهم على الإيالة الطرابلسية .

وقد فرح أحمد باشا بالهدية التي قدمها لـه القنصل الإنجليـزي والذي عمل على تأخير تقديمها في موعدها الذي صادف ولاية علي برغل[2] .

وفي ختـام المقابلة أكـد أحمد بـاشا للقنصـل الإنجليـزي بـأن المـودة والمحبة بين البلدين ستزيد يوماً بعد يوم لأنها علاقات قديمـة من عهد الآبـاء والأجداد .

الخلاصـة :

وهكـذا يتضح ممـا تقدم أن العـلاقـة السيـاسيـة بين طـرابلس الغـرب وإنجلترا قد بدأت منذ العهد العثماني الأول عندما كلفت الحكومة الإنجليزية سنة 1585 م قنصلها في الجزائر السيد جون تيبيتون برعاية مصـالح شؤونهـا في ولاية طرابلس الغرب ، ثم عينت لها قنصلاً رسمياً فيما بعد سنة 1658 م هو السيد صامويل توكر .

وفي 6 من إبريل سنة 1699 ميلادية تم إبرام إتفاقية بين البلدين وتعتبر هذه الإتفاقية حجر الزاوية في نمو العلاقـات بين البلدين ، فقد كـانت معظم

---

(1) بدون رقم الصفحة .F. O. 76 - 5

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 129 .

بنودها تخدم المصالح المشتركة بينهما بصفة عامة .

وبوصول القرمانليين إلى السلطة في الولاية نمت العلاقات الطيبة بين البلدين ، فقد آستجاب محمد باشا القرمانلي لطلب الملك الإنجليزي جورج الثاني تجديد الصلح المبرم في السابق بين البلدين ، وقد تم فعلاً إبرام إتفاقية بينهما بتاريخ 29 من شوال سنة 1164 هـ الموافق 19 من سبتمبر سنة 1751 م ، وقد تم تجديدها فيما بعد في عهد آبنه علي باشا القرمانلي .

وبتعيين السيد ريتشارد توللي قنصلاً إنجليزياً بإيالة طرابلس الغرب دخلت العلاقات الطيبة بين البلدين مرحلة تجديده ، إذ آستطاع هذا القنصل أن يتفهم الأوضاع الاجتماعية السائدة عند أهالي مدينة طرابلس ويشارك الناس في أفراحهم ويتعاطف معهم أثناء المحن والشدة ، ويوطد علاقاته مع الأسرة القرمانلية الحاكمة ويتبادل معها الزيارات الأسرية بين الحين والآخر .

وعندما تمكن علي برغل السيطرة على الحكم بالإيالة وهرب علي باشا القرمانلي وأبناؤه إلى تونس ، حرصت إنجلترا على الإستمرار في العلاقات الطيبة مع هذه الأسرة ورفضت التعاون مع علي برغل ، وأمرت قائد أسطولها في البحر الأبيض المتوسط تقديم كافة المساعدات الممكنة لعلي باشا القرمانلي وأبنائه في العودة لإيالة طرابلس .

لتسا فروق الضمن ، ونحن

الإنجليزية إبان إعادة سلطانهم على الإيالة الطرابلسية

سنة 1585 م بمضيها ... بعد سنة 1658

ضمنيا صموئيل توك

وفي 5 من إبريل سنة 1699 ميلادية تم إبرام اتفاقية بين البلدين وتعتبر هذه الاتفاقية حجر الزاوية في سير العلاقات بين البلدين ، لقد كانت معظم

(1) يدون رقم الصفحة F.O. 76 : 5.

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 199

الفصل الثاني

* العلاقة الطرابلسية الانجليزية في بداية حكم يوسف باشا

(1813 — 1795)

- موقف انجلترا من تولية يوسف باشا السلطة .
- قلق انجلترا من التعاون الطرابلسي لنابليون أثناء غزوه لمصر ومالطا .
- ازدياد التوتر بين انجلترا وإيالة طرابلس الغرب.
- يوسف باشا يحد من تعاونه مع فرنسا ويتجه للتعاون مع إنجلترا .

* العلاقة الطرابلسية الانجليزية أثناء الأزمة الأمريكية وبعدها في بداية حكم يوسف باشا .

- دور القنصل الإنجليزي في تسهيل مهمة القنصل الأمريكي الجديد في طرابلس .
- تدهور العلاقات الطرابلسية الأمريكية وموقف القنصل الإنجليزي من هذا النزاع .
- توطيد العلاقات الإنجليزية الطرابلسية وتزايد مكانة القنصل الإنجليزي في طرابلس .
- توتر العلاقة بين القنصل الإنجليزي الجديد ويوسف باشا وتذبذبها بين حين و اخر .

الفصل الثاني

[illegible]

[illegible]

موقف انجلترا من تولية يوسف باشا السلطة :

لم يمكث أحمد باشا القرمانلي في الحكم بإيالة طرابلس الغرب فترة طويلة ، فقد بدأ يوسف بك . أخوه وولي العهد من بعده يحيك له المؤامرات بالتقرب من الناس وقضاء حوائجهم التي يحتاجونها في القلعة وفي دوائر الحكومة بالإيالة بصفة عامة ، ويوضح لهم عيوب أخيه أحمد الذي يقع فيها عن قصد أو غير قصد فيزداد الناس غضباً نحوه [1] .

وبعد أن اطمأن يوسف من كراهية أغلب الناس لأخيه أحمد دبر حيلة له وأشار عليه القيام بزيارة الأضرحة بمنطقة تاجوراء(*) والساحل(**) تطبيقاً

---

(1) عمر علي بن اسماعيل ، أنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 — 1835 م ، الناشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى بيروت سنة 1966 م ، ص 77 .

(*) تاجوراء ، أحد ضواحي مدينة طرابلس ، وتبعد عنها بحوالي خمسة عشركم . =

للعادة المتبعة عند الأسرة القرمانلية منذ فترة توليها السلطة بإيالة طرابلس الغرب . واستجاب أحمد باشا لنصيحة أخيه وخرج الاثنان معاً لهذه الزيارة وانتهز يوسف بك خروج أخيه أحمد لزيارة تلك الأضرحة ، وبدأ في تنفيذ خطته التي رسمها له وعاد مسرعاً إلى القلعة تاركاً أخاه ، وبعد أن دخل القلعة أمر حراسها بإحكام أبوابها والاستعداد لمواجهة أي طارىء قد يحدث برجوع أخيه أحمد ، وأعلن نفسه والياً على الإيالة فاضطر أحمد أمام ذلك التحصن من أخيه يوسف من الفرار خارج الإيالة على الرغم من أن يوسف عرض عليه بكويه بنغازي لخوفه من دسائسه [1] .

وجد يوسف باشا عند جلوسه على كرسي الحكم خزينة الإيالة خالية لإسراف علي برغل أثناء فترة توليه ، وأيضاً أثناء فترة ولاية أخيه أحمد فاضطر يوسف أمام ذلك الوضع إلى الإستعانة بقناصل كل من إنجلترا وفرنسا لإمدادها بقروض مالية من دولتيهما ، كما زاد الضرائب على سفن الدول الأوروبية الصغيرة تأميناً لمرورها في أمان ودون التعرض لها من قبل الأسطول الطرابلسي في البحر الأبيض المتوسط .

قدم القنصل الإنجليزي بالإيالة الطرابلسية «السير سيمون لوكاس» الكثير من الهدايا الثمينة والأثاث إلى يوسف باشا لتأثيث القلعة المسلوبة .

شكر يوسف باشا القنصل الإنجليزي على هذا التعاون الذي أبداه من اللحظات الأولى لتوليه عرش الإيالة ، وكتب رسالة إلى ملك إنجلترا « الري جورج الثالث » شكره فيها على الموقف التي بذلته حكومته في شأن تقديم كافة المساعدات لأسرته ، وحتى وصل إلى الحكم وطرد العدو الغاصب لعرشهم وأبلغه فيها أيضاً بأنه قد جلس على كرسي إيالة طرابلس الغرب ملك الآباء والأجداد ، كما أوضح له بأن آباءه وأجداده كانوا على صلة وثيقة

= (**) الساحل، قضاء سوق الجمعة ما بين المنشية وتاجوراء.

....

(1) الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص 311.

مع إنجلترا منذ جلوسهم على كرسي حكم تلك الإيالة ، وأنه يحرص على آستمرار تلك العلاقات التقليدية الطيبة :

« بعد السلام التام واللآلي الجسام والإجلال والإكرام إلى زعيم المملكة النصرانية أفضل من تعبد بالإنجيل وحافظ على العهد القديم الذي لا يتعتريه تغيير ولا تبديل ملك الملوك الروم وعظيم الروم المحب إلينا والمقرب لدينا محبنا الري الإنجليزي لا زال محمود العواقب مأثور المناقب بعد تتمين أغصان الوداد وتأسيس بواعث القرب والإتحاد والمحبة والوداد سبب تحرير هذا الكتاب ، وتسطير هذا الخطاب ، فإننا تولينا ملك طرابلس دار الجهاد وجلسنا على سرير ملك الآباء والأجداد ، وتعرف في السابق أنتم أحباب لدولتنا ووالدنا السيد الباشا محب لكم وأنتم محبين إليه ، ونحن نزيد في محبتنا ومودتنا لأنكم من أهل الصلح الصحيح والعهد الصريح وما عندنا يخبركم به المحب لجنابنا قنصلكم الذي الآن ببلادنا ، والمحبة بيننا وبينكم تتأكد وتتزيد في كل يوم جديد » [1] .

كانت نوايا يوسف باشا منذ جلوسه في الأيام الأولى على كرسي حكم الإيالة هو توطيد علاقاته مع حكومة إنجلترا تلك الدولة القوية التي تمتلك أسطولاً قوياً في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك فقد عمل على تجنب الدخول في حرب معها قد تضر بمصلحة بلاده ، وصادق على المعاهدة المبرمة بين جده محمد باشا وحكومة إنجلترا لعام 1751 م ، والتي أضيفت إليها بعض التعديلات في عهد والده علي باشا [2] .

أحس يوسف باشا بفتور العلاقات والمراسلات من جانب الحكومة الإنجليزية التي قللت من تبادل الرسائل مع حكومة إيالة طرابلس الغرب نظراً

---

(1) بدون رقم للصفحة F. O. 76 - 5.

(2) عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم ، منشورات دار لبنان ـ بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1969 م ، ص 162 .

للظروف التي كـانت تـواجههـا إنجلترا مـع بعض الحكـومـات الأوروبيـة الأخرى ، وكذلك الظروف الصعبة الداخلية التي كانت تمرّ بها إنجلترا .

ولكن لما أنتهت من هذه المشاكل وتم لها النصر على أعـدائها أرسـل يوسف رسالـة إلى الملك الإنجليزي جـورج الثالث مـع الطبيب الإنجليـزي الموجود بالقنصلية الإنجليزية يهنئه فيها بالنصر الذي حققته قواته ضد القوات الأجنبيـة ، وطلب منه تـزويده بسفينـة حربيـة تكون مجهـزة بأربعـة وعشرين مدفعاً وإرسالها مع الطبيب المذكور الذي هو في أمس الحاجة إليـه في إيالـة طرابلس الغرب .

كما أبلغه بأن القنصل الإنجليزي بالإيالة السيـد سيمون لـوكاس يسعى إلى توطيد العلاقة بين البلدين وطلب الإبقاء عليه في منصبـه بإيـالة طـرابلس الغرب ويتضح ذلك من الرسالة التي تقول :

« من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين ونـاصـر الدين المجـاهد في سبيـل رب العـالمين عبـده يـوسف بـاشـا إلى المحب لجنـابنـا الـري جـورج دي بريطانيـا . . ونحن لنا زمـاناً مـا رأينا منكم جـواب ولا مراسلة ولا خـطاب ، فلعل المانع خيراً وعافية الأمور يسر ، والآن ظهـر لنا أن نـوجـه إليكم كتـاباً من أطرافنا لتـأكيد المـودة والمحبة والعهـود المؤسسة من أسـلافنا ، وحـاملة الطبيب المحب لجنابنا المقيم مع قنصلكم في بلادنا ومـوجبه لمـا سررنـا به مما حصل لكم من النصر وغلبكم لجميع الأجناس من كل قـطر ، لأننا بيننـا وبينكم من السـابق محبة واردة ، وفي كـل يوم لم تـزل متزايـدة وفي السابق عذرناك في عدم إرسال الجـواب لأن القيرة(*) شغلتـك عن تفكر الأحبـاب ، والآن قد عرضت لنا عندكم حاجة لازمة ونفوسنا بقضاياها منكم واثقة جازمـة وهي أننا متولعين بالحركة في البحر والغزو المقرون بالظفر والنصر فـأردنا أن ترسلوا إلينا فرقاطة من نشوء بـلادكم المتين وتكون طيبـة وعليها من المـدافع

(*) القيرة : تعني الحرب .

أربع وعشرون ، ونريدك أن ترسل إلينا ذلك مع الطبيب المذكور بالعجل لأن الطبيب يلزمنا وأنت نعرفك تحبنا وحاجة المحب عن حبيبه لا يلحقه منها ضجر ولا ملل، وجميع ما عندنا يخبركم به الطبيب المذكور مشافهة ، ويفسره لكم في جوابه قنصلكم المقيم عندنا في هذه الديار الساعي بيننا وبينكم فيما تزداد به المحبة ، وأنه دائماً يسعى في نمو المحبة وتأكيدها بين الدولتين »[1] .

كما أبلغ يوسف باشا الملك الإنجليزي بأنه على آستعداد لتقديم كافة المساعدات التي تحتاج إليها بلاده من إيالة طرابلس الغرب ، وأكد له بأن حكومته تحترم الرعايا الإنجليز الموجودين بالإيالة وتقدم لهم الخدمات قبل غيرهم من الرعايا الأوروبيين الذين يعيشون بالإيالة ، ويتبين ذلك من قول يوسف باشا في ختام الرسالة :

« وأما نحن فقد آشتهرت محبتنا فيكم بين الناس حتى أنه لم يماثلكم عندنا جنس من الأجناس ، فجميع ما تعرض لكم عندنا من الأمور عرفونا بها نقضوها لكم على الفور لأن كلا العمالتين في المصالح الدنيوية حال واحد »[2] .

حرص يوسف باشا على إقامة علاقات طيبة بينه وبين الحكومة الإنجليزية محاولاً الحصول على آحتياجاته من السلاح والعتاد والأثاث ، ولكن هذا لم يدم طويلاً ، فقد تغير في عام 1798 م عند غزو نابليون لجزيرة مالطا ومصر وبدأ اتجاهاً جديداً نحو توطيد علاقات طيبة مع الحكومة الفرنسية المنافسة آن ذاك للحكومة الإنجليزية في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط[3] .

---

(1) بدون رقم الصفحة F. O. 76 - 5.

(2) بدون رقم الصفحة F. O. 76 - 5.

(3) أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، نشر دار الشعب ، القاهرة ـ مصر ، جـ 3 ، ص 878 .

قلق إنجلترا من التعاون الطرابلسي لنابليون أثناء غزوه لمصر ومالطا :

بعد آحتلال نابليون لجزيرة مالطا بستة أيام تركها وأبقى فيها قوة تتراوح بين أربعة آلاف جندي بقيادة الجنرال «فوبوا» وآتجه هو على رأس جيشه إلى المهمة المكلف بها أصلاً من حكومته الفرنسية وهي آحتلال مصر [1] .

وعند ذلك ظهرت له أهمية إيالة طرابلس الغرب وموقعها الإستراتيجي بين قواته المتواجدة في جزيرة مالطا ووجوده هو بمصر ، فعمل منذ اللحظة الأولى لاحتلاله لهما على توطيد علاقاته مع يوسف باشا وأطلق سراح جميع الأسرى المسلمين الطرابلسيين المسجونين في سجون مالطا ، وتظاهر بآتجاه سياسة إسلامية حيث أحيا الأعياد الدينية ، وأكرم الحجاج المغاربة بعد عودتهم من الأراضي المقدسة أثناء مرورهم بالأراضي المصرية [2] .

وكان من بينهم قافلة الحجاج الطرابلسيين الذين نقلوا معهم هذه المعاملة الطيبة إلى أهليهم بالإيالة الطرابلسية ، كما حملوا معهم رسالة ود وشكر إلى حاكمهم يوسف باشا عن مساندته ومساعدته لجيشه المتواجد في جزيرة مالطا بالمؤونة الغذائية الذي هو في أمس الحاجة إليها ومساعداته إلى ناقلي البريد والأخبار من مالطا إلى مصر والعكس عن طريق أراضي إيالة طرابلس الغرب [3] .

أحست إنجلترا بالأهمية التي أولتها الحكومة الفرنسية ونابليون قائد

---

(1) بريان بلويه ، قصة مالطا ، ترجمة مصطفى محمد جودة ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1969 م ، ص 156.

(2) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي والسيد إبراهيم سالم ، منشورات لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى سنة 1964 م ، القاهرة ـ مصر ، جـ 3 ، ص 323 .

(3) الجامعة الليبية ، ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي في 16 — 23 مارس سنة 1968 م ، كلية الآداب ، ص 310 .

الحملة الفرنسية لإيالة طرابلس الغرب ذات الموقع الإستراتيجي الهام ، فعملت على إعاقة هذا التعاون الطرابلسي الفرنسي وإيقافه بأسرع وقت ممكن ، وأرسلت عن طريق قائد أسطولها «الأميرال نيلسون Nilson » في البحر الأبيض المتوسط رسالة إلى سفيرها بآستانبول طلبت منه التدخل ومقابلة السلطان العثماني وآقناعه بالضغط على حكام إيالات الشمال الأفريقي ومن بينها إيالة طرابلس الغرب وفسخ جميع المعاهدات التي أبرمت مع الحكومة الفرنسية ، وطرد جميع الرعايا الفرنسيين الموجودين فيها كما جاء ذلك في رسالة الأميرال نيلسون إلى السفير الإنجليزي في آستانبول يطلب منه العمل على تدخل السلطان لمنع الصلح الذي عقد بين فرنسا وإيالات المغرب ، وهذا ما تقوله الرسالة :

«لقد علمت أن أوجاق طرابلس الغرب عقد صلح مع فرنسا في 16 رمضان، أني إذا لم أكن مخطئاً في كتابتي بما يقتضيه الحال في هذا الباب لذلك الطرف ، وفي كتابة لأوجاق تونس أيضاً وحسب الأخبار الموثوقة أن والي الجزائر قد عقد صلحاً ، ومن البديهي أن أوجاق تونس يحذوا حذوها في إنهاء الخصام والمسارعة إلى المصالحة ومن أهم المهمات أن تتخذ الدولة العليّة إجراءاتها في هذا الباب كيفما كانت قبل فوات دقيقة وبلا تأخر » [1] .

أصدر السلطان العثماني أمراً سلطانياً إلى الصدر الأعظم بفسخ تلك المعاهدات التي أبرمت بين إيالات الشمال الإفريقي والحكومة الفرنسية ، وأرسلت رسالة إلى يوسف باشا طلبت فيها قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الحكومة الفرنسية ومصادرة سفنها في البحر الأبيض المتوسط ورفض آستقبال أي مبعوث فرنسي ، ومصادرة أموال التجار الفرنسيين بمدينة

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف القنصلية الانجليزية ، رسالة الاميرال نيلسون الى السفير الانجليزي باستانبول بتاريخ 17 من شوال سنة 1213 هـ .

طرابلس الغرب وإيقاف التعاون فوراً مع نابليون بونابرت وقواته المتواجدة في مالطا ، وعدم تزويد سفنه بأية مؤونة مهما كانت الأسباب ، وضرورة القبض على القنصل الفرنسي بالإيالة وآعتبار دولته في حالة حرب مع الباب العالي ، وأنه من حقه مصادرة أية سفينة فرنسية وأسر بحارتها ، وسلب جميع ما على ظهر تلك السفن الفرنسية ، ويتبين ذلك من الفرمان السلطاني(*) إلى باشا طرابلس ، والذي يقول :

« كما أن طرابلس لا زال القنصل الفرنسي مقيماً بها معززاً مكرماً . يجب سد الممرات التي يجب سدها ومصادرة أية سفينة فرنسية وقطع العلاقات مع فرنسا وحبس قناصل الفرنسيين وتجارهم ووضعهم تحت الحراسة وعدم قبول أي مبعوث من فرنسا ، كما تمنع المؤن عن سفنهم ، إنهم سلبوا أموال الناس وأسروهم وعليه فإن كل سفينة فرنسية تأخذونها فإن كل ما فيها مباح وكل الأشياء التي تجدونها قسموها بينكم ولا تتركوا لهم عدا ملابسهم التي هي على ظهورهم وآسترقوهم» [1] .

ولكن يوسف باشا لم يستجب لهذه الأوامر السلطانية ، وآستمر في مساعدته وتعاونه مع القوات الفرنسية المسيطرة على مصر وجزيرة مالطا ، فأثار ذلك غضباً شديداً عند الأميرال الإنجليزي نيلسون قائد الأسطول الإنجليزي في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وصمم على الإنتقام منه وخاصة بعد أن تلقى طلب آستنجاد من القنصل الإنجليزي بالإيالة الطرابلسية لإهانة تلقاها هذا القنصل من يوسف باشا إثر حادثة بين مالطي ويهودي داخل مقهى إنجليزي بمدينة طرابلس الغرب يوم 22 ديسمبر سنة 1799 م وبلغ هذا الحادث يوسف باشا الذي رفض أول الأمر مقابلة القنصل

(*) أمر سلطاني من الامبراطور العثماني .

(1) عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا الوثيقة رقم 8 من الملحق ، صفحة 394 - 395.

الإنجليـزي الـذي أراد الإستفسـار على هـذا الحـادث ، ويتبين ذلـك من التفـاصيل التي أرسلهـا القنصل الإنجليـزي إلى وزارة الخارجيـة الإنجليزيـة بلندن والتي تقول في الخصوص :

« إنـه في صباح يـوم 22 ديسمبر سنة 1799 م آتجهت إلى المدينـة ودخلت مقهى من المقاهي التي يمتلكها أحد الرعايا الإنجليز الذين يعيشـون بمـدينة طـرابلس الغرب وهنـاك شاهـدت حادثـة نزاع أثرت في نفسي ممـا جعلني أضطر لمقابلة الباشا بخصوصها ، وكانت هذه الحادثة نزاعاً بين أحـد الرعايا المالطيين وآخر من الرعايا اليهود الذي تدخل إلى جانبه أحد حـراس الباشا فأضر هذان بالمـالطي الـذي تقدم مشتكيـاً إليَّ ، فآتجهت إلى مقـابلة يـوسف باشـا والذي طلب مني في نفس الـوقت الحضـور . إلاَّ أنـه عنـدمـا حضرت أمام حجرة الإستقبال منعت من الـدخول ورفض مقـابلتي في الوقت الذي كان يستقبل فيه الشخصيات الأخرى ، وبعض قناصل الـدول الأوروبية حتى آخر النهار» [1] .

أزدياد التوتر بين إنجلترا وإيالة طرابلس الغرب :

آعتبـر القنصل الإنجليـزي ذلك إهـانة لـه وطلب من قـائـد الأسـطول الإنجليـزي في حوض البحـر الأبيض المتـوسط الأميـرال نيلسـون التـدخـل بـأسطولـه لإرهاب يـوسف باشـا وإرغامـه على الإستجابـة للأوامـر السلطانية الموجهة إليه من السلطان العثماني والصـدر الأعظم بخصـوص وقف التعاون بينه وبين الحكومة الفرنسية والمساعدات التي تقدمهـا إيالـة طرابلس الغـرب إلى القوات الفرنسية المتواجدة في جزيرة مالطا ، ويتضح ذلك من التفاصيل التي كتبهـا القنصل الإنجليـزي « وليام لانجفـورد William Langford » إلى وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن والتي تقول بالخصوص:

---

(1) F. O. 76 - 7. p. 81.

« وطلب من القائد الإنجليزي الأميرال نيلسون إرسال سفن حربية إنجليزية من الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط إلى شواطىء مدينة طرابلس الغرب لتهديد أهلها وإرغام يوسف باشا على الإستجابة للأوامر السلطانية العثمانية الموجهة إليه في السابق بخصوص وقف التعاون بينه وبين نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر ، وإيقاف تزويد قواته الموجودة في جزيرة مالطا بأية مساعدات كالمواد الغذائية والماشية » [1].

عندئذٍ أوفد الأميرال الإنجليزي «نيلسون» القبطان هاردي Hardy إلى مدينة طرابلس الغرب لمقابلة يوسف باشا وإبلاغه بأن نابليون خائن للمسلمين بصفة عامة وإن أعماله التي يزعم بأنها مؤيدة للجانب الإسلامي ما هي إلاّ تزييف وخداع للوصول إلى تحقيق غرضه للإستيلاء على مصر ، وبالتالي على بقية إيالات الشمال الإفريقي ومنطقة الشام .

وقد آستطاع هذا المبعوث الإنجليزي الحصول على موافقة يوسف باشا بإيقاف التعاون مع نابليون بونابرت والحكومة الفرنسية بصفة عامة ، ولكن القنصل الإنجليزي « سيمون لوكاس» أوضح لهذا المبعوث الإنجليزي بأن التأكيدات التي تعهد بها يوسف باشا لا يمكن الإعتماد عليها .

لقد شرح القنصل الإنجليزي لوكاس للمبعوث الإنجليزي كيف كان يوسف يتظاهر بالمعاملة السيئة للقنصل الفرنسي والرعايا الفرنسيين الموجودين بالإيالة وقت تواجد مندوب السلطان العثماني فقط ، وطلب القنصل الإنجليزي من هذا المبعوث إبلاغ الأميرال نيلسون بهذه المعلومات لإتخاذ إجراءات ضده .

أصدر قائد الأسطول الإنجليزي في حوض البحر الأبيض المتوسط

---

(1) IBID. , p. 85.

الأميرال نيلسون أوامره بعد ذلك بإيفاد سفينة حربية إنجليزية بقيادة نائبه الأميرال كامبل Campell » إلى شاطىء مياه قلعة مدينة طرابلس الغرب حاملاً معه إنذاراً شديد اللهجة يطالب فيه يوسف باشا بضرورة الإستسلام والإستجابة لأوامر السلطان العثماني ، وتنفيذ ما تم الإتفاق عليه مع مندوب السلطان العثماني بخصوص وقف التعاون المستمر مع القوات الفرنسية الموجودة في مصر وجزيرة مالطا ، وإعلان الحرب على الحكومة الفرنسية وسلب السفن الفرنسية الموجودة في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط وعدم السماح لها بالاقتراب أو الرسو في موانىء إيالة طرابلس الغرب وآسترقاق بحارتها ، وطرد القنصل الفرنسي في الحال من مدينة طرابلس [1] .

وقد طلب الأميرال كامبيل تنفيذ هذا الإنذار خلال ساعتين فقط ، وهدد بأنه في حالة عدم الإستجابة من قبل الحكومة الطرابلسية ويوسف باشا ، فإن القوة الإنجليزية المتواجدة بميناء طرابلس البحري سوف تضطر إلى تنفيذ أقصى العقوبات ، كما ورد هذا في التفاصيل التي كتبها القنصل الإنجليزي وليم لاندفورد إلى وزارة خارجيته بلندن عن الأحداث التي مرّت بها إيالة طرابلس والتي تقول في هذا الخصوص :

« . . . . وقدم الأميرال كامبيل المبعوث الإنجليزي من قبل قائد الأسطول الإنجليزي في حوض البحر الأبيض المتوسط الأميرال نيلسون إنذاراً إلى يوسف باشا أبلغه فيه بضرورة الإستسلام والإستجابة للأوامر السلطانية العثمانية ، وتنفيذ ما تم الإتفاق عليه مع مندوب السلطان العثماني بخصوص وقف التعاون المستمر والقوى الذي ظل سائداً بين يوسف باشا والقوات الفرنسية الموجودة في مصر وجزيرة مالطا وكان هذا الإنذار لمدة ساعتين فقط، وفي حالة عدم الإستجابة فإن القوة الإنجليزية سوف ترغمه

---

(1) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 145.

على تنفيذها»[1].

ومع هذا فقد رفض يوسف باشا هذا الإنذار الشديد ، فهدده كامبيل بقصف المدينة إذا لم ينفذه على وجه السرعة وفي الوقت المحدد ، ولكن آضطر كامبيل إلى مغادرة الشواطىء الطرابلسية لظروف طارئة حدثت له وهي إصابة سفينته بعطب مفاجىء أضطره إلى الإتجاه إلى تونس لصيانتها وإصلاحها[2].

آطمأن يوسف باشا ظناً منه بأن كامبيل لا ينوي ضرب المدينة والإضرار بأهلها ، إلاَّ أن الأميرال الإنجليزي لم يمكث طويلاً في تونس وعاد بعد يومين إلى شاطىء مدينة طرابلس .

وعند دخوله الميناء الطرابلسي لم تقم مدفعية الميناء بإطلاق التحية له فآشتد غضبه أكثر وبدأ في تنفيذ تهديداته بقصف المدينة وإرهاب أهلها وحاصر إحدى السفن الطرابلسية الموجودة بالميناء وطالب الباشا بتسليم رئيس بحريته وزوج ابنته السيد مراد الريس ، فرفض يوسف هذا التهديد مرة أخرى[3].

وتحت شدة القصف والإلحاح الشديد الذي أبداه جميع الأعيان بالقلعة أثناء أنعقاد مجلس الباشا ومناقشتهم لهذا القصف الإنجليزي على مدينتهم وإقرارهم ضرورة إيجاد علاقة طيبة مع الحكومة الإنجليزية وعدم الدخول معها في حرب ولا جدوى منها ، فآضطر يوسف باشا إلى الرضوخ والإستجابة لطلبات الأعيان وأمر جنوده بوقف إطلاق النار ، وتقدمت السفينة

---

(1) F. O. 76 - 7. P. 86.

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 145.

(3) S Eten Dearden: Anest of Corsairs. The fi Ghting Karramanlis of Tripoli: P. 147.

الإنجليزية الحربية الراسية بالميناء الطرابلسي وحيتها مدفعية الميناء ، وأمر «كامبيل» بحارته بالرد على هذه التحية بالمثل ، ثم نزل من سفينته وسط عدد من بحارته الإنجليز وتجول بميناء طرابلس البحري وآتجه بعد ذلك إلى القلعة لمقابلة يوسف باشا والتشاور معه فيما يتعلق بالقنصل الفرنسي والرعايا الفرنسيين الموجودين بالإيالة [1] .

وأثناء المقابلة آضطر يوسف باشا إلى الإستجابة لطلبات الأميرال الإنجليزي المتعلقة بتسليم القنصل الفرنسي وأربعين من الرعايا الفرنسيين الموجودين بالإيالة إلى القنصل الإنجليزي السير سيمون لوكاس «الذي نقلهم بدوره إلى سفينة الأميرال الإنجليزي كامبيل الذي نقلهم إلى مدينة «بالرمو بإيطاليا » حيث يوجد قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط الأميرال نيلسون الذي أمر بنقلهم إلى مدينة جنوة وسجنهم هناك [2] .

آضطر يوسف باشا نتيجة للضغط الإنجليزي إلى عقد معاهدة صلح مع الحكومة البرتغالية وإعلان الحرب رسمياً على الحكومة الفرنسية على الرغم من أنه كان يميل إلى الجانب الفرنسي منذ توليه السلطة بالإيالة [3] .

ولكن كان ذلك حرصاً منه على إرضاء الحكومة الإنجليزية ويتبين هذا من الرسالة التي وجهها يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بتاريخ شهر جمادي الثاني سنة 1215 هـ الموافق لشهر أكتوبر سنة 1800 م :

« . . . وفي تقديرنا فيك فيما فات وفيما يأتي مثل ما هو عندك العرض في السابق في كم من حاجة عملناها لأجل خاطركم ومحبتنا فيكم وكذلك

---

(1) F. O. 76 - 7. P. 86.

(2) IBID. , P. 76.

(3) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 147 .

المرة الأخرى قضية الفرانسيس سلمناهم إلى مركب البريتقيز(*) بمكتوب من الجنـرال الينسن وهذه حـاجة عمـرها مـا صارت ولا تصيـر عند غيـرنا أنـاس قاعدين تحت الأمان برجنير من قيرة(**) وأنتم أمر القيرة تعـرفوه أكثـر من كل أحد ، ولكن لأجل خاطركم حملنا في أنفسنا وحشومتنا قدام الأوجاقات(***) وبين أقراننا من المسلمين ولكن الذي هو يعجبكم يطيب عليه خاطرنا ويكون إن شاء المولى سبحانه حتى أنتم هكذا » (1).

يوسف باشا يحد من تعاونه مع فرنسا ويتجه للتعاون مع إنجلترا :

أدى التعاون الإنجليزي مع الإمبراطورية العثمانية إلى إلحـاق الهزيمـة بـالجيش الفـرنسي والإنسحـاب من الأراضي المصـريـة بعـد معـركـة كانوب(*) (2) ، وبالتالي إلى عقد معاهدة بين الحكومة الإنجليزيـة والفرنسيـة في مدينة أميان « Amian » ، الفرنسيـة نصت أحد بنـودها على أن ينسحب الجيش الفرنسي من جزيرة مالطا ، وتسلم الجزيرة إلى فرسان القديس يوحنا تحت إشـراف وحمايـة القوات الإنجليـزية ، غيـر أن الإنجليز آحتفـظوا بهـا وآحتلوها بشكل نهائي (3) .

(*) مركب البريتقيز ، سفينة برتغالية .

(**) برجينير من قيرة ، بعيداً عن الحرب .

(***) الأوجقات ، الولايات والمقصود بهـا في هذه الـرسالـة ايالات الشمـال الافريقي (تونس ـ الجزائر ـ مصر) .

(1) F. O. 76 - 5. P. 125.

(*) كانوب ، اسم اطلق على الجهة الشرقية عند باب رشيد بالإسكندرية .

(2) أحمد حسين موسوعة تاريخ مصر ، الجزء الثالث ، ص 903 - 904 .

(3) الدكتور عبد العزيز نوار والدكتور عبد المجيد نعنعي ، التاريخ المعـاصر لأوروبـا من الثورة الفرنسيـة إلى الحرب العـالمية الثـانية ، نشـر دار النهضة العـربية ، بيـروت ـ لبنان ، سنة 1973 ، ص 88 .

وأصبحت منذ ذلك الوقت حكومات الإيالات بالشمال الإفريقي تنظر إلى الإنجليز بصورة جدية وخاصة إيالة طرابلس الغرب القريبة جداً من هذه الجزيرة فكانت تخشى تحرك هذه القوات الإنجليزية المتواجدة في الجزيرة ، والتي كانت تحاول الحكومة الإنجليزية فرض الهيمنة من خلالها .

بدأ يوسف باشا يغير من سياسته وتأييده الغير محدود لفرنسا ، وأخذ يتجه إلى توثيق العلاقة والصلة مع حكومة إنجلترا ، فقد آستجاب إلى الطلب الذي تقدم به القنصل الإنجليزي لوكاس بناءاً على طلب ملكه الإنجليزي جورج الثالث بعقد معاهدة صلح مع حكومة نابولي على الرغم من أن مجلس الأعيان والوزراء في حكومته قد رفضوا الموافقة عليها مبدئياً ، إلّا بعد الإطلاع على الشروط التي ستتضمنها هذه الإتفاقية ، والتعرف على وجهة النظر الذي يريدها ملك نابولي .

كذلك فقد سمح للسفن النابولية بألّا يدفعوا الضريبة الجمركية على سفنهم أثناء رسوها بميناء طرابلس البحري وعدم التعرض لها من قبل البحارة الطرابلسيين أثناء مرورها بالقرب من الشواطىء الطرابلسية في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط في حالة حملها لجوازات سفر إنجليزية ورفعها فوق ساريتها العلم الإنجليزي ومعاملتها كأنها سفن إنجليزية ، وأرسل يوسف باشا رسالة إلى ملك إنجلترا جورج الثالث بتاريخ شهر جمادي الثاني سنة 1215 هـ الموافق لشهر أكتوبر سنة 1800 م قال له فيها :

« . . . . وإن سبب كتب هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب أن قنصلكم لوكس الذي هو عندنا أخبرنا أنه مرادكم ويجيء على بالكم وخاطركم ويكون على يديك عقد محبة صافية بيننا وبين ري نابل وتكون عقدة وصلح الذي هو يصلح بين الجانبين . تعلم يا محبنا هذا شيء ما يلحقك فيه شك وفي تقديرنا فيك فيما فات وفيما يأتي مثل ما هو عندك

العرض في السابق في كم من حاجة عملناها لأجل خاطرك ومحبتنا فيكم . . . ونحن يا محبنا عندنا داعي في صلح النابلطان(*) المذكور لأن إحنا ما يلحقنا شك فيكم أنكم تعملوه على مرادنا ولكن يا محبنا كيف آستشرنا مع الديوان والوزراء متاعنا مثل ما هو عادة عندنا وعند غيرنا فما آتفقوا فيما آستشرناهم قالوا : حتى ننظر الشروط وتفصيلها على أي وجه يريدها ري نابل وإن شاء الله المولى سبحانه يصلح بنا وبهم ونعملوه لأجل خاطركم ونحن نعزوكم كثيراً ومن جملة مراعاتنا لخاطركم إذننا قرصاناً على مراكب النابلطان الذي عندهم باصاوانتي متاع (**) الميداليو (***) متاعكم لم يجبروا عليهم » [1] .

كما هنأ يوسف باشا الملك الإنجليزي بالإنتصار الذي حققته قواته البحرية في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط ضد الأسطول الفرنسي وإبعاد القوات الفرنسية عن جزيرة مالطا وإحلال القوات الإنجليزية محلها ، كما أوضح له بأنه قد أبدى إستعداده للحاكم الإنجليزي في جزيرة مالطا « السيد بول Pool » لتزويده بالعتاد والذخيرة والمواد الغذائية واللحوم وغيرها من السلع التي تحتاج إليها القوات الإنجليزية أثناء إقامتهم بجزيرة مالطا ، وأنه قد أصدر أوامره إلى جميع التجار الطرابلسيين بتقديم كافة هذه المواد إلى التجار الإنجليز الموجودين بإيالة طرابلس الغرب وهذا يتبين من ختام الرسالة التي وجهها يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي والتي تقول :

« . . . وحمدنا المولى سبحانه يا محبنا الذي مالطا باتت بأيديكم وطردتم منها العدو فنحن فرحنا فرحاً شديداً بقرب الحبيب وبعد العدو ،

(*) النابلطان : احدى الممالك الإيطالية قبل إعلان الوحدة الإيطالية .
(**) باصاوانتي : جوازات سفر معترف بها .
(***) الميداليو : علامة أو شعار الدولة .
(1) IBID., 76 « 5. P. 125.

ونحن يا محبنا أخبرنا الكوماندنت بول(*) متاعكم الذي هو في مالطا إن هم مخصوصين في الذخيرة وغيرها ، ونحن أذنا أوناس بلدنا وجميع الوطن متاعنا أن يرفعوا لهم المأكول وجميع ما هو موجود في أرضنا مثل ما أخبرنا الكوماندنت المذكور. . .»[1] .

كما أكد يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي أنه حريص على إقامة علاقات وطيدة بين البلدين ، وأنه أول من يحافظ على المعاهدات والإتفاقيات المبرمة بين البلدين في عهد آبائه وأجداده ، ويفهم من نفس الرسالة التي تقول :

«. . . إلى رايس المملكة الإنجليزية المؤيدة الحمية المحب لجنابنا الري جورجو الثالث لا زال محمود العواقب مأثور المناقب ، فبعد تتمين أغصان الوداد وتأسيس فروع المحبة والإتحاد وثناء دائم الإمداد وصفاء الطوية وحسن الإعتقاد والنية لم تبرح العزائم على تأكيدها ساعية تعرض على مسامعك الواعية هو أننا على محبتكم الصافية الموارد المستول على عابينها بالشاهد لا نحول عن ذلك الحال ولا يطرقنا فتور ولا ملال بأكثر الجديدان وتعاقب الملوك ، إذ نحن أولى من يحافظ على تلك العهود الموروثة من الأباء والأجداد. . .»[2] .

وهكذا آتخذت سياسة يوسف باشا مع الحكومة الإنجليزية نمطاً جديداً يتشكل وفقاً لمصالح الباشا وإيالته وتبعاً لتطورات الظروف السياسية الدولية التي تدور في حوض البحر الأبيض المتوسط .

فقد آرتفعت مكانة القنصل الإنجليزي لدى الباشا وعند أعيان الحكومة

(*) الكوماندنت : آمر الفرقة البحرية ، وهي مأخوذة من الكلمة الإيطالية أو الاسبانية Commandqnt .

(1) IBID., P. 125.

(2) IBID., P. 125.

الطرابلسية ، فزاد من مكانته الهامة في الأوساط الأوروبية الأخرى ، وأصبح له دور في حل مشاكلها مع السلطات القرمانلية والوزراء في الحكومة الطرابلسية كما حدث مثلاً مع حكومة السويد التي تأخرت في تسديد ما عليها من التزامات مما جعل يوسف باشا يلغي المعاهدة المبرمة بينه وبين الحكومة السويدية وطلب ، لتجديدها في المستقبل دفع ستمائة ألف فرنك مقدماً مع إبقاء المبلغ السابق ، وهدد في حالة رفض الحكومة السويدية لهذا الطلب بأنه سوف يشن عليها حرباً لا صلح بعدها ، فاضطرت حكومة السويد أمام هذا التهديد للبحث عن وسيط يكون له تأثير على الباشا الطرابلسي ، فاتجهت إلى القنصل الإنجليزي [1] .

وبوساطة القنصل الإنجليزي تم عقد معاهدة بين الحكومة السويدية وإيالة طرابلس الغرب سويت فيها المشاكل المعلقة بين البلدين مع زيادة التبادل التجاري بينهما .

ويتدخل القنصل الإنجليزي أيضاً لدى يوسف باشا أمكنه إطلاق سراح الأسرى المالطيين الذين سبق القبض عليهم عندما دخلوا المياه الإقليمية لحدود مياه إيالة طرابلس عند شواطىء مدينة زوارة[*] وتم أسرهم ونقلهم إلى مدينة طرابلس الغرب وأعيدت إليهم كل ممتلكاتهم التي أخذت من على ظهر سفينتهم .

بل ولم يكتف يوسف باشا بذلك بل إعتقل البحارة الطرابلسيين الذين تمكنوا من أسر السفينة المالطية وإحضارها إلى مدينة طرابلس ، وقدمهم إلى القنصلية الإنجليزية لمحاكمتهم بمعرفتها ، ثم عفا عنهم بناء على طلب

---

(1) عمر علي بن إسماعيل ، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ، ص 122 - 123 .

(*) زوارة: مدينة بحرية غربي طرابلس بنحو 109 كم بالقرب من الحدود الليبية التونسية ، مرّ بها الرحالة المغاربة وذكروها في رحلاتهم . أنظر الطاهر أحمد الزاوي ، معجب البلدان الليبية ، ص 175.

الأسرى المالطيين أنفسهم ، وآنتهز القنصل الإنجليزي هذه المناسبة فأبدى نصحه وإرشاده للبحارة الطرابلسيين الذين حضروا هذه المحاكمة في القنصلية الإنجليزية وحذرهم من آرتكاب أي إهانة للرعايا المالطيين وسفنهم في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط لأنهم يعتبرون تحت الحماية الإنجليزية منذ مؤتمر اميان ، وإن القبض عليهم كأسرى يعد إهانة للعلم الإنجليزي ، ويتضح ذلك من الرسالة التي وجهها القنصل الإنجليزي وليم لانجنفورد إلى وزارة الخارجية الإنجليزية بتاريخ 7 من أغسطس سنة 1806 م والتي تقول :

«. . . إنه في يوم 15 من الشهر الماضي نزل بحارة جدد ينتمون إلى سفارة مالطية إلى شواطىء مدينة زوارة حيث تم القبض عليهم من قبل البحارة الطرابلسيين وأحضروهم إلى ميناء طرابلس البحري ولما بلغني الحادث هرعت إلى الباشا الطرابلسي للتحقيق في الأمر ، فقام على الفور بإعادة الرجال ومفقوداتهم التي تم الإستيلاء عليها من على ظهر سفينتهم ، وخلال بضعة أيام تم إعتقال البحارة الطرابلسيين الذين أسروا السفينة المالطية وأحضروا مقيدين إلى باب القنصلية الإنجليزية ليواجهوا العقوبة المعتادة لهذه الجريمة وهي قطع اليد ، ولكنه بناء على طلب الأسرى تم العفو عن الجناة ، وآنتهزت الفرصة عند ذلك لإسداء النصح للبحارة الطرابلسيين الذين حضروا بالمناسبة لسماع منطوق الحكم بأن يحذروا مستقبلاً الاعتداء على الرعايا والسفن الإنجليزية والمالطية» [1] .

وعلى أثر هذا المجهود الذي بذله القنصل الإنجليزي والمكانة التي حظي بها عند يوسف باشا بعث وزير الخارجية الإنجليزية رسالة إلى القنصل الإنجليزي في طرابلس بتاريخ 26 من ديسمبر سنة 1806 م أثنى فيها على مساعيه الحميدة لدى يوسف حتى تم الإفراج عن الأسرى المالطيين وأعيدت

---

(1) F. O. 76 - 6. p. 39 - 40.

إليهم ممتلكاتهم وجاء في هذه الرسالة قوله :

« . . . وكان واضحاً بأوامره حيث تم التعويض للبحارة المالطيين الذين كانوا قد أسروا ببعض من أناسه وتم نقل هؤلاء المالطيين إلى أيديكم ، وأنا سعيداً بأنك أديت الواجب المطلوب منك . . » [1] .

وقد حرصت الحكومة الإنجليزية من جانبها أيضاً على إقامة علاقات طيبة مع حكومة إيالة طرابلس رغم وجود بعض الصعوبات والمشاكل ، وطلبت من قنصلها عدم التدخل في الشؤون الداخلية لحكومة الإيالة .

ومنذ ذلك أيضاً أشارت إليه بعدم التدخل في شؤون مجلس الأعيان لحكومة الباشا ونصحته بأن يركز كل اهتمامه على توطيد العلاقات بين البلدين وكان القنصل الإنجليزي لانجفورد قد أرسل رسالة إلى حكومته يذكرهم فيها أن اثنين من مستشاري الباشا قد إنحازا إلى جانب المصالح الفرنسية ، ونصحا الباشا بأن يخفي عليه نبأ وصول بعض السفن الفرنسية إلى ميناء طرابلس البحري ، إلاَّ أن وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن أهملت هذا الموضوع وطلبت منه المحافظة على العلاقة الطيبة بين البلدين ، كما جاء ذلك في رسالة القنصل بتاريخ 7 من أغسطس سنة 1806 م :

« . . . إن مهام الباشا مدعاة للفخر لكنني أشعر بأسف شديد لأضيف بأن اثنين من كبار مستشاري الباشا وقف بالكامل إلى جانب المصالح الفرنسية ونصحاه بأن يخفي عني وصول مركب قرصان فرنسي يوم 17 يوليو من نفس السنة إلى ميناء طرابلس البحري في الوقت الذي كانت فيه سفينتان مالطيتان وسفينة روسية على إستعداد للإبحار ، وقد فضح عدم صبر الفرنسيين سرهما » [2] .

---

(1) IBID., P. 55.

(2) IBID., P. 40.

كذلك يتضح من الرسالة التي وجهتها وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن بتاريخ شهر ديسمبر 1806 م والتي تقول :

« . . . . إنكم تنظرون إلى إحترام وزارة الباشا لأجل فرنسا بالذات ، وأعتقد أنه ضرورياً تنبيهك ضد أي تدخلات في حزب المنافسات أو الخصام ، والتي قد تحدث بين أولئك الأعضاء في ديوان حكومة الباشا أو في أي حدث يرتبط بالإدارة في حكومة إيالة طرابلس والتي هي في آهتمام هذه البلاد غير معتبرة . . . » [1] .

---

(1) IBID., P. 55.

العلاقة الطرابلسية الانجليزية أثناء الأزمة الأميريكية الطرابلسية وبعدها في بداية حكم يوسف باشا

دور القنصل الإنجليزي في تسهيل مهمة القنصل الأمريكي الجديد في طرابلس :

آهتمت الولايات المتحدة الأمريكية منذ حصولها على إستقلالها على ضمان وسلامة مرور سفنها التجارية في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط ودون التعرض لها من قبل أساطيل إيالات الشمال الإفريقي ، وتتطلب ذلك إقامة علاقات سياسية مع هذه الإيالات وإنشاء قنصليات لها فيها ومن بين هذه الإيالات العثمانية إيالة طرابلس الغرب التي كان أسطولها آنذاك يلعب دوراً بارزاً في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويحاول حاكمها أن يفرض سيادته على الدول التي تتخذ هذا البحر مجالاً لنشاطها التجاري .

إتفقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مع حكومة إيالة طرابلس على إنشاء قنصلية بمدينة طرابلس وتعيين قنصل أمريكي جديد هو السيد « كات كارت Cath Cart » مقابل تقديم مبلغ مالي [1] .

---

(1) آيروين ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية

غير أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تف بوعدها وأرسلت قنصلها الجديد دون تسديد هذا المبلغ ، فرفضت الحكومة الطرابلسية إستقباله ولم يسمح له بالنزول من سفينته صوفيا Sofia الراسية بميناء طرابلس البحري ، مما أضطره للبحث على وسيط يكون له علاقة وتأثير قوي على يوسف باشا ، فأتجهت أنظاره إلى القنصل الإنجليزي لوكاس [1] .

وقد تمكن فعلاً من إقناع يوسف باشا بأستقبال القنصل الأمريكي الجديد والتحدث معه في هذا الشأن وأنتهى الأمر بينهما إلى إبرام معاهدة بين البلدين تدفع بموجبها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ عشرة آلاف دولار وتدفع أيضاً ثمانية آلاف دولار كتعويض عن السفينة صوفيا الذي سبق الإتفاق على تسليمها للباشا مع دفع أربعة آلاف دولار كهدية قنصلية للباشا حسب العادة المتفق عليها عند تعيين كل قنصل جديد بالإيالة وتمكن القنصل الأمريكي بعد ذلك من تسلم عمله الجديد من خلال هذه الوساطة الإنجليزية [2] .

تدهور العلاقات الأمريكية الطرابلسية وموقف القنصل الإنجليزي من هذا النزاع :

ولكن الحكومة الأمريكية ماطلت في تسديد المبلغ الذي تم الإتفاق

= 1776 — 1816 م ، ترجمة إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر سنة 1978 م ، ص 130.

(1) جلين تكر ، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر تعريب عمر اليراوي أو حجلة ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، ص 192 — 201.

(2) فادالا ، دراسة في تاريخ القرامانليين ، ترجمة خالد الأمين المغربي ، رسالة للحصول على شهادة المتريز سنة 1977 م - 1978 م ، ص 100.

عليه ، بل إن حكومة الولايات المتحدة أرسلت أسطولاً قوياً لتهديد يوسف ولم يلبث أن نشبت الحرب بين البلدين تمكنت من خلالها إيالة طرابلس من حجز السفينة الأمريكية فيلادلفيا وأسر عدد من البحارة الأمريكيين الذين كانوا على ظهرها .

آتجهت الحكومة الأمريكية مرة أخرى إلى القنصل المكلف بإدارة شؤون القنصلية الإنجليزية السيد « ماك دونوج Mac Donough » لتغيب القنصل الإنجليزي لوكاس لقضاء بعض الوقت في بلاده فتقدمت بطلب إلى ماك دونوج تطلب منه فيه تقديم المساعدة إليها ، ولكنه رفض هذا الطلب بحجة أن الحكومة الإنجليزية تحرص من جانبها كل الحرص على آستمرار العلاقة الطيبة بينها وبين إيالة طرابلس الغرب .

وقد أثار هذا الموقف من قبل السيد ماك دونوج المكلف بالشؤون الإنجليزية الشك والريبة لدى القنصل الدنمركي السيد «بيسن» المكلف بإدارة شؤون القنصلية الأمريكية بالإيالة الطرابلسية ، وآعتبره منحازاً إلى جانب الباشا الطرابلسي [1] .

لقد عملت الحكومة الأمريكية على إيقاع الفتنة بين الباشا الطرابلسي والحكومة الإنجليزية فتعرضت لإحدى السفن المالطية التي تقل ممتلكات الباشا وكانت تحمل العلم الإنجليزي على ساريتها .

لقد كان لهذا الحادث أثر عميق في نفوس الرعايا الإنجليز والقنصل الإنجليزي بإيالة طرابلس الغرب والذي سبق أن تعهد مع بقية قناصل الدول الأوروبية الأخرى على حماية نقل ممتلكاته على ظهر السفن الإنجليزية المالطية التي تحمل العلم الإنجليزي ويتضح ذلك من الرسالة الموجهة من القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد إلى وزارة الخارجية الإنجليزية والتي تقول :

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف القنصلية الأمريكية .

« . . . وبعد وقت قصير من الإعتراض الذي واجهته السفينة المالطية التي تقل ممتلكات للباشا من قبل الأسطول الأمريكي والذي آستولوا على الشحنة التي على متنها مما جعل الباشا الطرابلسي يشعر أنه قد أضير كثيراً حتى أن الإنجليز قد عانوا من الإستيلاء على هذه الممتلكات ذلك لأنها تحت حماية العلم الإنجليزي ، وإن القنصل الإنجليزي السابق قد أعطى عهداً مع بقية قناصل الدول الأوروبية بحماية نقل ممتلكاته وتأمينها» [1] .

ولكن الباشا لم يهتم كثيراً بهذا التصرف الذي كانت تسعى من ورائه الحكومة الأمريكية إلى بث الفتنة بين الحكومة الإنجليزية وإيالة طرابلس وآكتفى بآستدعاء القنصل الإنجليزي الجديد السيد لانجفورد للإستفسار منه ، فأبلغه بأنه أوفد السيد ماك دونج إلى جزيرة مالطا للتحقيق في الأمر مع الحاكم العسكري الإنجليزي للجزيرة السيد ألكسندر بول ومحاولة إيقاف مثل هذه الأعمال من قبل الأسطول الأمريكي بالبحر الأبيض المتوسط لأنها قد تسيء إلى العلاقات الإنجليزية الطرابلسية [2] .

لقد حرصت الحكومة الإنجليزية أيضاً على آستمرار العلاقات الطيبة بين البلدين فلم تتأثر عقب تمكن الأسطول الطرابلسي من أسر البحارة الأمريكان من على ظهر السفينة فيلادلفيا والذين كان أغلبهم من أصل إنجليزي ويعملون على ظهر سفن أمريكية حتى قبل حصول الولايات المتحدة الأمريكية على إستقلالها ، وكان الأسطول الأمريكي الجديد في حاجة إلى مثل هذه الخبرات الفنية وقد تخلت الحكومة الإنجليزية عن مسؤوليتها تجاه هؤلاء البحارة [3] .

---

(1) بدون تاريخ .F. O. 76 - 5. P. 189

(2) IBID., P. 190.

(3) جلين تكر ، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر ، ص 383.

ولـذلك لم يتقـدم القنصل الإنجليـزي بأي طلب إلى حكـومة الإيـالـة بشـأن إطلاق سـراحهم تمشياً مـع السياسـة المرسـومة لـه من قبل حكـومتـه الإنجليزية الحريصة على إستمرار العلاقـات الطيبـة بين البلدين كما ورد في المنشور الذي عممه يوسف باشا على قناصل الدول الأوروبية ، والناس عامة بمدينة طرابلس بتاريخ 19 من جمادي الثاني سنة 1217 هـ المـوافق 1 من نوفمبر سنة 1801 م ، والذي يقول :

« . . . من عبد ربه سبحانه المتوكل عليه في جميع أمـوره يوسف بـاشا ابن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا القرمانلي صاحب ولاية طـرابلس غرب في التاريخ بسدد المولى أحواله أمين إلى كافة من يقف على كتابنـا هذا من الخاص والعام وسائر الأنام أما بعد . . فالذي يكون في علمكم أن برنارد ماك دونغ وكيل الإنجليز عندنا الآن لم يتكلم معنـا بكلمة بخصـوص الأسرى الأمريكان ولا علمنا فيه ذلك مدة مكوثه عندنا وتردده علينا والتمام »[1] .

ومن أجـل آستمرار العـلاقة الـودية بين البلدتين حرص لانجفورد على آستمرارها ويتبين لدا ذلك من موقف القنصل الإنجليزي عندمـا طلب يوسف باشا من القناصل الأوروبيين المعتمدين بالإيالة عدم إبحار أو إقتـراب السفن الأجنبية التابعة لهم من الشاطىء الشرقي للإيالة على أثـر النزاع الـذي حدث داخل الأسرة القرمانلية ووصول أخيه أحمد باشا الذي كان منفياً في مصر إلى مدينة درنة بتأثير السياسة الأمريكيـة فقد أصـدر، لانجفورد أوامـره على الفور إلى جميع السفن الإنجليزية بالإبتعاد عن شواطىء مدينة درنـة كما ورد ذلـك في الرسالة التي وجهها القنصل الإنجليزي إلى يوسف باشـا بتاريـخ 29 من مارس سنة 1803م ، والتي تقول :

« . . . إلـى صاحب السمو يـوسف باشـا أمير هـذه المدينـة وتوابعهـا ، نتيجة للمحادثة التي تمت أمس مع سمـوكم ، ووفقاً لمـا عرفتمـوني بكتابتـه

---

(1) F. O. 76 - 5. P. 137.

إليَّ في هـذا التاريـخ فإني لم أتـأخر عن إعـطاء الأوامر رسميـاً بآسم جـلالة الملك المعظم الإنجليزي إلى القبطان ناركو كومندان قائد السفينة الإنجليزية سلايس الراسية بميناء طرابلس حالياً بأن لا يبحر لأي غرض كـان إلى مدينـة درنة وذلك للأسباب التي طرحتموهـا سموكم بمنـاسبة القـلاقل والثـورة التي يقودها شقيقكم ولن أتأخر بنفس الطريقة إبـلاغ نفس الأمر إلى سعـادة حاكم مـالـطا لينبـه على كـل سفينـة تحمـل علمـاً إنجليـزيـاً أن لا تـذهب إلى هناك . . » [1] .

وإزاء تفـاقم الأوضاع في درنـة وإعلان أحمـد باشـا الثورة ضـد أخيـه يوسف باشا في المنطقة الشرقية لإيالة طرابلس الغرب فقد طلب يوسف باشـا من القنصل الإنجليزي ومن داي الجزائر التوسط بينه وبين الحكومة الأمريكية التي آتبعت سياسة فرق تسد داخل الأسرة القرمانلية .

آستجاب القنصل الإنجليزي لهذا الطلب وقام بمشاورات بين الطرفين آنتهت إلى إيقاف الحرب بين الدولتين وإبرام معاهدة سلام بين إيالة طرابلس والحكومة الأمـريكية بتـاريخ 4 يـونيو سنـة 1805 م مكونـة من عشرين مـادة تعهـدت فيها حكـومة الـولايات المتحـدة الأمريكيـة بدفـع ستين ألف دولاراً مقـابل إطـلاق سراح الأسـرى الأمريكـان المسجونين لـدى حكومـة طرابلس الغـرب ، ويتضح ذلـك من رسالـة القنصل الإنجليـزي إلى وزير الخـارجيـة الإنجليزية بلندن بتاريخ 5 يونيو سنة 1805 م والتي تقول :

« . . . يشرفني أن أبلغ سيدي اللورد أن معاهدة سلام قد تم التصـديق عليهـا يوم أمس بين حكـومة الـولايات المتحـدة الأمريكيـة وحكـومـة إيـالـة طـرابلس. ويعتبر العقيـد لير المفـوض المعين من قبـل الـولايـات المتحـدة الأمـريكية للتفـاوض بشأن المعـاهدة والـذي إتفق على إعـطاء سمـو البـاشـا

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف القنصلية الإنجليزية .

الطرابلسي ستين ألف دولار كفدية عن القبطان بابن بريدج وضباط وطاقم السفينة الراحلة فيلادلفيا ، وسوف لن تدفع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أية اتاوة ولكن سترسل الهدايا مع قنصلها إلى الباشا الطرابلسي . . » [1] .

كما تعهدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة أحمد باشا إلى منفاه في مصر وعينت الحكومة الأمريكية قنصلاً جديداً لها بالإيالة .

وبفضل وساطة القنصل الإنجليزي آستمرت العلاقات الطيبة قائمة بين البلدين حتى سنة 1813 م حين قدمت أربع سفن أمريكية إلى ميناء طرابلس البحري وأطلقت لها مدفعية الميناء التحية إلاَّ أن هذه السفن لم ترد التحية بالمثل فأثار ذلك تحيراً عند يوسف باشا الذي أمر بآستدعاء القنصل الإنجليزي وتكليفه بآستقصاء الأمر [2] .

ولمكانة الحكومة الإنجليزية وقواتها العسكرية آنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فقد آستطاع القنصل الإنجليزي إقناع قائد السفن الأمريكية الأربع بالإنسحاب من ميناء طرابلس البحري والإبتعاد عن الشواطىء الطرابلسية .

توطد العلاقات الإنجليزية الطرابلسية وتزايد مكانة القنصل الإنجليزي في طرابلس :

وبفضل هذه المساعي من قبل القنصل الإنجليزي ، فقد تمتع بمكانة مرموقة في نظر الباشا وأعيان الحكومة الطرابلسية بصفة عامة ، وتجلى ذلك عندما قبل يوسف باشا تخفيف العقوبة الصارمة التي قرر تنفيذها على صهره

(1) F. O. 76 - 6. P. 11.

(2) برنيا ، طرابلس من 1510 إلى سنة 1850 م ، ص 291

ورئيس بحريته السيد مراد الريس وهو من أصل إنجليزي وذلك على أثر تدخل القنصل الإنجليزي .

وكان السيد مراد الريس قد أمر عبيده بالإعتداء على القنصل الأمريكي وآبنته أثناء قيامهما بنزهة خارج القنصلية في شوارع مدينة طرابلس وبصحبة سكرتيره والقنصل الدنماركي وأحد الحراس الإنكشاريين(*) المكلف من قبل الحكومة الطرابلسية بحراسة القنصلية الأمريكية .

وتوطيداً للعلاقات الطيبة بين البلدين تقدم ملك إنجلترا جورج الثالث بهدية ثمينة إلى يوسف باشا ومجلس الأعيان والوزراء بحكومة إيالة طرابلس الغرب وقدم هذه الهدايا الثمينة إلى الباشا وأعضاء حكومته القنصل الإنجليزي الجديد السيد وليام لانجفورد والتي تتضمن ثلاث ساعات فضية إلى الباشا الطرابلسي كما ورد في رسالة القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد إلى وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن والمؤرخة في شهر إبريل سنة 1805 م والتي تقول :

« . . . يشرفني أن أبلغكم بأن هدايا جلالة الملك قد وصلت بسلام أمس على متن سفينة مالطية ، وأن كافة المواد مطابقة للقائمة المرفقة برسالتكم والمؤرخة في 26 أكتوبر عدا ثلاث ساعات فضية بدلاً من أربع ، وقمت في هذا اليوم بحمل هذه الهدايا إلى القلعة وقدمتها بنفسي إلى سعادة

(*) الإنكشارية : تعني الجيش الجديد وهو الجيش الذي إستحدثه السلطان العثماني أورخان 1326 م وكان يتكون من أبناء النصارى في البلاد المفتوحة ، يؤخذون صغاراً كجزية ويربون قرب السلطان تربية دينية وعسكرية صارمة ، ولعب هذا الجيش دوراً هاماً في فتح القسطنطينية عام 1453 م وفي الإنتصارات التي أحرزها العثمانيون ، وعندما سمح لهذا الجيش بالزواج ضعفت قوته وحله عام 1826 م السلطان محمد الثاني ، والإنكشارية الطرابلسية آتخذوا زوجات عرب ، وخلفوا عنصراً جديداً هو القول آغلى أو الجند الترك .

يوسف باشا »[1] .

وقد تقبل يوسف باشا الهدايا بالإمتنان وأمر بإقامة حفل على شرف القنصل الإنجليزي الجديد تبودلت خلاله الكلمات بين القنصل الإنجليزي والباشا الذي كلفه بنقل إمتنانه وشكره على هذه الهدايا الثمينة إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث ، وأبدى إستعداده لتقديم كافة المساعدات الممكنة التي تحتاجها القوات الإنجليزية بجزيرة مالطا ويتضح ذلك من الرسالة نفسها التي تقول :

« . . . وأن سموه قد طلب متى بآسمه شخصياً رداً على كلمتي بعد تقديم الهدايا نقل إمتنانه وشكره وشكر إليك وضباطه وأعيان حكومته على هذه الهدايا من صداقة جلالته » .

ولقد وافق يوسف باشا على طلب الحكومة الإنجليزية بإرسال ثلاثمائة وخمسين بقرة وألف رأس من الغنم وثلاث وخمسين بغلاً وخمسة وثلاثين حصاناً إلى جزيرة مالطا مقابل تزويد إيالة طرابلس بأدوات ومواد بناء السفن لتقوية الأسطول الطرابلسي ويتبين ذلك من الرسالة التي وجهها لانجفورد إلى وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن ، والتي أبلغهم فيها بأن تمكن من الإبقاء على أفضل العلاقات الطيبة بين البلدين في هذه الرسالة :

« . . . إنني على رضا تام بإبلاغكم أنني آستطعت الإبقاء على أفضل العلاقات مع الباشا الطرابلسي ، ويسرني في نفس الوقت أن أؤكد لكم أننا حصلنا على معظم آحتياجاتنا ، وكنت آمل أنكم قد أحطتم علماً بالإمدادات من الماشية المرسلة إلى مالطا ، هذا العام على متن سفن تلك الجزيرة والتي كانت حوالي ثلاثمائة وخمسين بقرة وألف رأس من الغنم وثلاثة وخمسين بغلاً وخمسة وثلاثين حصاناً ، وقد أرسل جزء من هذا الإمداد من الباشا إلى وكيله في مالطا نزير أدوات لبناء السفن» [2] .

---

(1) F. O. 76 - 6. P. 3.

(2) IBID., P. 39.

توتر العلاقة بين القنصل الإنجليزي الجديد ويوسف باشا وتذبذبها بين الحين والآخر :

لقد كان القنصل الإنجليزي السابق سيمون لوكاس مديناً للرعايا اليهود بالإيالة الطرابلسية بمبلغ مالي كبير ، ثم توفى قبل سداده فلجأ الرعايا اليهود إلى يوسف باشا لمساعدتهم في إسترداد هذه المبالغ كما يتضح من الرسالة التي وجهها القنصل الإنجليزي الجديد لانجفورد إلى سكرتير وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن ، والتي جاء فيها :

« . . . في الواقع فقد توفى السيد سيمون لوكاس مديوناً وأن المبالغ المستحقة لليهود هي كما تظهر في الرسالة المؤرخة في 5 فبراير سنة 1794 م . . » [1] .

طلب يوسف باشا من القنصل الإنجليزي الجديد سداد هذه الديون ولكن القنصل رفض ذلك مما أثار الغضب الشديد لدى يوسف باشا وصمم على رد هذه الإهانة للقنصل الإنجليزي ووجد الفرصة مناسبة عندما قدم القنصل الإنجليزي إلى القلعة يطلب مقابلته بقصد التوسط لدى الرعايا المالطيين الذين قبض على بعضهم على أثر حادث إشتباك وقع بينهم وبين المسلمين المجاورين للكنيسة المالطية أثناء قيامهم بأحتفال ديني أثاروا فيه مشاعر المسلمين [2].

ثم رفض يوسف باشا مرة أخرى طلب القنصل الإنجليزي التوسط في شأن زورق مالطي دخل المياه الإقليمية الطرابلسية وتم القبض عليه من قبل البحارة الطرابلسيين فأسروا بحارته .

ورفض يوسف باشا أيضاً طلب القنصل الإنجليزي الخاص بإرسال

---

(1) F. O. 76 - 5. P. 191.

(2) DEARDEN. ; OP. CIT. P. 211.

ثلاثة آلاف رأس من الماشية إلى جزيرة مالطا [1] .

فأثارت هذه المواقف من جانب الباشا غضباً شديداً لدى القنصل الإنجليزي لانجفورد فأنزل علم بلاده من على سارية القنصلية الإنجليزية وغادر مدينة طرابلس في يوم 20 يوليو سنة 1807 م متجهاً إلى جزيرة مالطا تاركاً شؤون القنصلية الإنجليزية إلى القنصل الأمريكي .

قبل يوسف باشا أن يقوم القنصل الأمريكي جورج ديفز George Daiviz برعاية شؤون القنصلية الإنجليزية وحماية الرعايا الإنجليز الموجودين بمدينة طرابلس والدفاع عنهم في حالة تعرضهم لأي ضرر .

وعندما علمت الحكومة الإنجليزية بلندن بسوء تصرفات قنصلها لانجفورد عن طريق يوسف باشا فأصدرت أوامرها إلى حاكم جزيرة مالطا السيد وود Wood للتحقيق في الأمر وعهدت إليه إعادة العلاقات الطيبة بين البلدين إلى حالتها الأولى ، فأرسل سفينة حربية بقيادة سكنر [2] .

وفور وصول المبعوث الإنجليزي إلى مدينة طرابلس إجتمع مع يوسف باشا والقنصل البرتغالي والأمريكي الذين أوضحوا له سوء تصرفات القنصل لانجفورد وتدخلاته الكثيرة في الشؤون الداخلية بالإيالة .

أوضح المبعوث الإنجليزي ذلك بدوره إلى قائده السيد وود الذي طالب بعودة القنصل لانجفورد إلى مقر عمله والإعتذار ليوسف باشا عما بدر منه .

ولم يلبث أن عاد القنصل لانجفورد إلى مدينة طرابلس يوم 29 أغسطس سنة 1807 م وقابل يوسف باشا في اليوم التالي ، وقدم إعتذاره عن

---

(1) F. O. 76 - 7. P. 48.

(2) F. O. 76 - 6. P. 268.

سوء تصرفاته السابقة ، وتعهد للباشا بأنه سيعمل على إعادة العلاقات إلى حالتها الطبيعية الأولى [1] .

وأثناء هذه المقابلة طلب يوسف باشا من القنصل الإنجليزي أن يكون التحدث معه في المستقبل بطرق رسمية كبقية قناصل الدول الأوروبية الأخرى.

وعلى أثر تحسن العلاقات وإعادتها بين البلدين سمح يوسف باشا بتزويد القوات الإنجليزية في جزيرة مالطا بالمواد الغذائية والماشية ، وعبر القنصل الإنجليزي عن هذا التعاون بالإمتنان والشكر ويتضح ذلك من الرسالة التي وجهها إلى حكومته بتاريخ 13 من أكتوبر سنة 1808 م ، والتي تقول :

« . . . إنني أفتخر بفرصة مغادرة سفينة إنجليزية مرة أخرى من ميناء طرابلس البحري وعلى متنها الماشية الحية إلى قواتنا بجزيرة مالطا » [2] .

كما عرض يوسف باشا على القنصل الإنجليزي إقتراحاً بربط البلدين بعلاقات متينة عن طريق تحالف بينهما يؤكد العلاقات القديمة ، فاتصل القنصل الإنجليزي بحكومته موضحاً لها الأهمية التي ستجنيها دولته من هذا الإتفاق ، كما أبدى يوسف إستعداده لإحترام السفن التابعة للحماية الإنجليزية بأعتبارها تحمل على ساريتها علماً إنجليزياً ، كما ورد في الرسالة التي وجهها القنصل الإنجليزي إلى وزير خارجيته بتاريخ 25 من مايو سنة 1810 م والتي تقول :

« . . . وبهذه المناسبة تلقيت رسالة من اللورد الراحل كولنغ وود يصف فيها الوضع الراهن لجزر جوتيان وسفولونيا وزنلا وأتاكا وسيريغو ، وقد

---

(1) IBID., P. 269.

(2) IBID.; P. 148.

أجريت إتصالاً بنفسي مع الباشا الذي أعرب عن إستعداده لإحترام علم أي شعب يتمتع بحمايتنا ، وفوق ذلك فإنه على رضا تام وأبدى إستعداده لتلبية كل رغبة للحكومة الإنجليزية » [1] .

وفي التاسع والعشرين من مايو سنة 1810 م آستولت السفن الإنجليزية على سفينة طرابلسية قادمة من ميناء ليفورنو(*) وأوصلوها إلى مالطا وكانت هذه السفينة تحمل بضائع إلى إيالة طرابلس وقد تأثر يوسف باشا من هذا الحادث ورفعت حكومة إيالة طرابلس دعوى قضائية ضد السفينة الإنجليزية المعتدية [2] .

كذلك قدم يوسف باشا في نفس الوقت مذكرة آحتجاج إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث طلب منه إطلاق سراح السفينة وعدم الإعتداء على السفن الطرابلسية في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي مستقبلاً والسماح لبعض السفن الطرابلسية بإحضار البضائع الغير متوفرة في البلاد الإنجليزية ويحتاجها الأهالي لإيالة طرابلس ، وذلك عن طريق الدول الأوروبية وخاصة إيطاليا التي ترتبط الإيالة معها بعلاقات آقتصادية قوية ، وكانت الرسالة بتاريخ 21 جمادي الأولى سنة 1225 هـ وفيما يلي ننقل فقرات منها :

« . . . ثم إن سبب هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب إعلامكم يا من ليس مثله عندنا أحداً من الخلال فإن سبب بلادنا لكثرة من بر السودان

---

(1) F. O. 76 - 7. P. 24.

(*) ليفورنو : إحدى المدن الإيطالية الجميلة الواقعة على مياه البحر الأبيض المتوسط بتوسكانا إحدى الدول الإيطالية قبل الوحدة ، كانت ترتبط بعلاقات تجارية واسعة مع إيالات الشمال الإفريقي . أنظر المجلة التاريخية المغربية تونس العدد 7 بتاريخ 8 يناير سنة 1977 م .

(2) IBID.; P. 28.

وجميع ما يلزمنا من البضائع المالية يأتون بها من المصانع الإيطالية ، وكذلك ما يلزم أناس بلادنا وعساكرنا وأجنادنا . وقد لازمنا أن نرسل سفينة من مراكبنا الماخرة للفورنة لأجل أن تأتينا بالبضائع الحاضرة ، ثم أن السفينة المذكورة لما جاءت راجعة موسوقة من ذلك الخير أخذتها فرقاطة قرصان بيليك إنجليز وأدتها لمالطا وحكموا بأنها بون بريزة ولم يراعوا محبتنا وميلنا لدولتكم العزيزة ، ونحن على قولنا فإن عذرنا قائم وهو أنه لو كان هؤلاء البضائع يوجدوا في بلاد الإنجليز ما نحتاجه للغير وخصوصاً هذا الشيء لنا لازم وأيضاً فإنه لازم لأهل إيالتنا لتجرية معاشهم ولينتفعوا بحرمة دولتنا ، والآن لأجل ما لنا فيك من سابق الحب وبواعث الوداد والقرب طالبون حكمكم أنتم في رجوع هذه السفينة وأن لا تشمت فينا من يريد إختلال محبتنا المتينة وكذلك تسرح لنا في كل عام سفينة أو سفينتين من مراكبنا برزقنا ورزق أهل إيالتنا بسنجقنا ولا يتعرض لها أحد من مراكبنا برزقنا ورزق أهل إيالتنا بسنجقنا ولا يتعرض لها أحد في المشي ولا في الرجوع بوجه من الوجوه» [1] .

كما أبلغ يوسف باشا الملك الإنجليزي بأنه في المقابل مستعد لتقديم كافة المساعدات التي تحتاجها القوات الإنجليزية بجزيرة مالطا وخصوصاً المواد الغذائية واللحوم ، وإن موانىء إيالته مستعدة لإستقبال أية سفينة إنجليزية ، وأنه يحرص كل الحرص الإبقاء على العلاقات بينهما طيبة رغم الدسائس التي تحاك من قبل الفرنسيين والدول الأوروبية الأخرى من حين لآخر وذلك كما ورد في ختام الرسالة التي تقول :

«. . . كما أننا نحن لم يقع منا في مصالح جنابكم تقصير ، وكل ما يطلبه نصرنيكم مع شدة الحاجة إليه نعطوه لهم من قليل وكثير من جميع البضائع وخصوصاً من اللحم والماكول ، ولم نحجر عليهم مرسى من

---

(1) IBID.: P. 34.

مراسي إيالتنا في العرض والطول كل ذلك محافظة على بقاء المحبة والوداد والعهد الموروث عن الآباء والأجداد ، ومع ذلك لم نزل نسمع من الفرنسيس ما يغير خاطرنا على أجلكم » [1] .

لم يف القنصل الإنجليزي بتعهده السابق أمام يوسف باشا بوقف تدخلاته في الشؤون الداخلية ، فإنه عندما حدث نزاع بين أحد الرعايا المالطيين وآخر من الرعايا اليهود ، تقدم القنصل الإنجليزي إلى يوسف باشا بطلب القبض على اليهودي وإنزال أشد العقوبة عليه ، ولكن يوسف لم يستجب لطلبه وآعتبر ذلك تدخلاً منه في الشؤون الداخلية ، وطلب منه الخروج من القاعة وإنهاء المقابلة [2] .

أرسل يوسف باشا على الفور رسائل إلى كل من الحاكم الإنجليزي لجزيرة مالطا وقائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط مبلغاً عن سوء تصرفات القنصل لانجفورد وتعنته وتدخلاته الكثيرة في الشؤون الداخلية لحكومة الإيالة ، وطلب منهما نصحه بالكف عن هذه الأعمال التي قد تؤدي إلى توتر العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين .

وقد آستجابت الحكومة الإنجليزية لطلب يوسف باشا وأوفدت السفينة الحربية سكونر أورتنشيا Schoner Ortencia » بقيادة الملازم بلكوير Blquier » إلى مدينة طرابلس الغرب والتحقيق في أعمال القنصل الإنجليزي لانجفورد [3] .

وفور وصول المبعوث الإنجليزي إلى ميناء طرابلس البحري قام بزيارة يوسف باشا في بيته ، وأثناء هذه المقابلة أبلغ يوسف باشا المبعوث

---

(1) IBID.; P. 34.

(2) DEARDEN. OP. CIT. P. 216.

(3) F. O. 76 - 7. P. 123.

الإنجليـزي أن لانجفورد هـو المسبب في هـذه المشـاكـل ، وأبـدى يـوسف إستعداده لإنهاء هذه الخلافات وفتح صفحة جديدة معه ، وفي الرسالة ذكرى صريح بالإسم للقنصل وتصرفاته :

« . . . لو كان وليام لانجفورد لديه الـرغبة الأكيـدة في توطيـد العلاقـة بين البلدين وإرجاع الأمور إلى نصابها الأول لقام بزيارة لي وآعتذر عما جرى منه ، وبذلك يتحصل على نظرة كبيرة مني ومن أعيان حكومتي » [1] .

عاد المبعوث الإنجليزي وبرفقتـه لانجفورد إلى جـزيرة مـالطا ، وأبلغ قائده الحاكم العسكري لجزيرة مالطا السيد بول ما سمعه من يوسف باشا عن تصرفات القنصل الإنجليزي .

وبعد دراسة للموضوع من قبل الحاكم العسكري لجزيرة مالطا ، كلف الملازم بلكوير والنقيب هوب Hobe بالتوجـه مرة ثـانية إلى مـدينة طـرابلس وبرفقته القنصل لانجفورد على ظهر السفينة طـوباز Topaz لتقـديم الإعتذار إلى يوسف باشا وإجراء صلح بينه وبين لانجفورد [2] .

وأثناء هذه المقابلة آستجاب لطلبهما ، وآتفق معهمـا على وضع نـظام معين عند آستقبال القنصل له في المستقبل وأكد الـطرفان في نهـاية المقـابلة حرصهما على آستمرار العلاقة الطيبة بين البلدين .

غير أنهما بمجـرد مغادرة السفينـة طوبـاز ميناء طـرابلس البحري وعلى متنها المبعوثان الإنجليزيان ، عاد القنصل الإنجليزي لانجفورد إلى ممارسـة أعماله السابقة إذ طلب من يـوسف باشـا آعتبار اليهـودي م . ابريـدرهام .M Abrudur Hams من الرعايـا الإنجليز رغم أن الـوثائق المقـدمة من الشخص

---

(1) IBID., P. 129.

(2) DEARDEN. OP. CIT. P. 218.

نفسه تثبت أن لا صلة له بالإنجليز [1] .

كمـا أثـار المشـاكل المتعلقـة بجبـل طـارق ، والتي هي في نـظر الباشا تخص الحكومة الأسبانية وحدها دون الحكومة الإنجليزية ، كذلـك فقد أهان أحد قادة السفن الإنجليزية الراسية بميناء طرابلس البحري [2] .

كتب يوسف باشا رسالـة إلى الحاكم الإنجليـزي لجزيـرة مالـطا السيد بول أوضح فيها عن سوء تصرفات القنصـل الإنجليزي وليـام لانجفورد مـرة ثانية وطلب منه إبلاغ حكومته بالخصوص وإيقـافه في الحـال وتغييره بقنصـل آخر في أسرع وقت ممكن [3] .

وأمام هذه التدخلات الكثيـرة أوقف يوسف بـاشا لانجفـورد عن العمل وممـارسة إختصـاصاتـه ، وأمر بـأن تكون جميـع الإمتيازات التي تتمتـع بهـا القنصلية الإنجليزيـة تحت إشرافـه شخصياً ، ثم أوكـل إدارتها فيمـا بعد إلى القنصل الأسباني إلى حين تعيين قنصل جديـد من قبل الحكـومة الإنجليـزية بلندن ، وطلب من سكرتير وزارة الخارجيـة والمستعمرات سـرعة تغييـره قبل أن يضطر إلى طرده بنفسه [4] .

وعنـدما قـدمت السفينة المـالطيـة لاتيريسينـا La Teresina إلى مينـاء طـرابلس البحري ، كلف يـوسف باشـا قائـد السفينة الـطرابلسية Tripoline إدخـالها إلى الميناء وإبلاغ قـائـدهـا جيرسيبي بـونيت Gurseppe Bonett الإتصـال بالقنصـل الأسباني ، وعـدم الإقتراب من بيت القنصـل الإنجليزي الذي سبق أن أوقفه عن العمل ويتبين ذلك من الرسالـة التي وجهها القنصـل

---

(1) F. O. 76 - 7. P. 103.

(2) IBID., P. 102.

(3) F. O. 76 - 6. P. 269.

(4) IBID., P. 268.

الإنجليزي إلى وزارة خارجيته بلندن بتاريخ 23 من يناير سنة 1811 م والتي تقول :

«. . . وفي مساء يوم 19 من الشهر نفسه دخلت السفينة المالطية لاتيريسينا إلى هذا الميناء وظهر قائدها جيرسيبي بونيت في يوم 20 من نفس الشهر وألقى التحية ، وعند نزوله آتصل به ربان السفينة الطرابلسية الحاج معتوق وطلب منه تسليم الرسائل إلى الباشا الطرابلسي والقنصل الأسباني وعدم الإتصال بالقنصلية الإنجليزية بتاتاً » [1] .

كما منع يوسف باشا زوجة لانجفورد من مغادرة بيتها لحين مغادرة القنصل وأسرته مدينة طرابلس نهائياً ووصول القنصل الجديد وقد كانت تحاول الخروج ومغادرة ميناء طرابلس البحري على مركب شراعي تابع للقنصلية الإنجليزية قصد السعي للإبقاء على زوجها في منصبه بطرابلس.

وكتب يوسف باشا رسالة إلى ملك إنجلترا أبلغه فيها سوء تصرفات القنصل لانجفورد ، وأنه لا يعمل لمصلحة توثيق العلاقات بين البلدين ، وإنما لتخريبها وقطعها رغم النصائح التي وجهت إليه في السابق من الحاكم الإنجليزي لجزيرة مالطا وقائد الأسطول الإنجليزي في حوض البحر الأبيض المتوسط بالإبتعاد عن مثل هذه التصرفات إلاّ أنه آستمر في تدخلاته [2] .

كما طلب منه إبعاده عن إيالة طرابلس وتعيين قنصل جديد ، بدلاً منه ، وعرض عليه في نفس الوقت إستعداده بتزويد جزيرة مالطا بكل ما تحتاج إليه من مواد غذائية متوفرة بإيالة طرابلس الغرب كما ورد ذلك مفصلاً في الرسالة الموجهة من يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي بتاريخ شهر ذو القعدة سنة 1225 هـ الموافق لشهر يناير سنة 1811 م ، والتي نقتطف منها ما يلي :

---

(1) F. O. 76 - 7. P. 104.

(2) IBID. ; P. 120.

« . . . وبعد تعلم في أربعة من هذا الشهر أرسلنا جواباتنا إلى محبنا القيرندور متاع مالطا ، وكذلك للكماندنت الكبير متاع الظلالمة(*) الذي هو في البحر وعلمنا هما على التفصيل بالفعل الدوني الذي فعله القنصل لنفرد وطلبنا من المذكورين أن يعلموك بصورة الواقع . . . فالمطلوب منك يا محبنا بأن تعمل لنا وجه في هذا الراجل ومرة ، قبل هذا آشتكينا منه للمرحوم القبرندور بول وأعطانا الحق في كل شيء ، وكيف قدم عليه القنصل المذكور في حياته نحو ثلاثة سنين قبل التاريخ مسكه وأراد أن يبقيه في مالطا إلى أن يعلمك ، ولما رجع إلى عندنا إلاَّ من شأن كواغطه يريد يرفعهم ، ثم طاح في عرضنا وطلب منا أن نسامحه ويترك جميع أفعاله الردية ، والآن كيف حالته السابقة وأكثر والطبع لا يتبدل ، ونحن وإياكم يا محبنا على العهد القديم والمحبة الدائمة لا تبديل ولا تغيير وناس الإنجليز عندنا أعز الأجناس ، وهذا القنصل ما يسعى إلاَّ في الفساد بين الجانبين ، ولا فيه صلاح أبداً فالمطلوب منك يا محبنا أنك تريحنا منه وتبعده عنا وجميع ما يلزم الجزيرة المالطية من الأشياء الذي في عمالتنا كلها كرهني البال منه » [1] .

لقد آستجاب الملك الإنجليزي لطلب يوسف باشا وأمّر حكومته بآستدعاء لانجفورد وتعيين شخص آخر بدلاً منه .

وعقب ذلك أصدرت وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن أمراً بآستدعاء القنصل لانجفورد وعينت قنصلاً جديداً في طرابلس بدلاً منه هو السيد ويليكي Wilikie .

وفي أول يناير سنة 1812 م تسلم القنصل الإنجليزي لانجفورد قراراً بإعفائه من منصبه ، وطلب إليه الرحيل فوراً عن مدينة طرابلس في أول

(*) قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط .

(1) IBID., P. 217.

سفينة إنجليزية قادمة إلى ميناء طرابلس البحري [1] .

وصل القنصل الإنجليزي الجديد السيد ويليكي يوم 3 يناير سنة 1812 م إلى مدينة طرابلس الغرب وبرفقته سكرتيره الخاص السيد سومر فيل Somer Ville وأحضر معه هدية من ملك إنجلترا إلى يوسف باشا ، وأثناء تسليمها ألقى القنصل الإنجليزي الجديد كلمته بين يدي الباشا أكد فيها نوايا حكومته الطيبة نحو حكومة إيالة طرابلس ورغبتها في آستمرار توطيد العلاقات بين البلدين .

كما أبدى يوسف باشا إستعداده لتقديم كافة المساعدات الممكنة له للقيام بمهمته على أكمل وجه ، وأمر بإقامة إحتفال على شرفه وزعت خلاله على الحاضرين المشروبات وباقات الزهور ، وأطلقت مدفعية القلعة إحدى وعشرين طلقة مدفع تحية له .

وقد إستطاع القنصل الإنجليزي الجديد في فترة قصيرة التغلب على جميع المشاكل والصعوبات التي كانت تواجه الرعايا الإنجليز أثناء تجمد أعمال القنصل السابق ، كما أمكنه تسوية جميع الخلافات التي كانت معلقة بين القنصلية الإنجليزية والحكومة الطرابلسية .

ولم تلبث أن توطدت العلاقات بين القنصل الإنجليزي الجديد ويوسف باشا وأعيان الحكومة الطرابلسية مما رفع من مكانة بلاده أمام القناصل الأوروبيين في إيالة طرابلس الغرب .

وقد ساعده ذلك على التوسط بين حكومة إيالة طرابلس وحكومة مملكة الصقليتين ، وأمكنه إبرام معاهدة سلام وصلح بين الحكومتين ، وذلك بناء على طلب من حكومته الإنجليزية .

---

(1) DEARDEN., OP. CIT. P. 218.

وبعد ذلك طلب القنصل الإنجليزي الجديد من حاكم جزيرة مالطا مساعدته في العودة إلى لندن لفترة قصيرة لظروف خاصة به، فغادر مدينة طرابلس في شهر ديسمبر سنة 1812 م ، وأحال شؤون القنصلية الإنجليزية على سكرتيره الأول السيد سومر فيل إلى حين عودته [1] .

الخلاصة :

ومما تقدم يتضح أن العلاقات بين الحكومة الإنجليزية وحكومة يوسف باشا كانت متغيرة تبعاً للظروف والملابسات المختلفة ، ففي البداية رحبت الحكومة الإنجليزية بتولية يوسف باشا السلطة في طرابلس وقدمت عن طريق قنصلها السيد سيمون لوكاس الهدايا الثمينة فأستقبل يوسف باشا ذلك بآرتياح ، وآعتزم إتباع سياسة ودية مع الحكومة الإنجليزية والتصديق على المعاهدات المبرمة في السابق مع آبائه وأجداده ، كما حرصت الحكومة الإنجليزية على توطيد علاقاتها بحكومة إيالة طرابلس الغرب .

ونتيجة للتعاون الذي كان قائماً بين يوسف باشا والحكومة الفرنسية أثناء غزو نابليون بونابرت لمصر ومالطا، فقد توترت العلاقات بين الحكومة الإنجليزية ويوسف باشا وسعت الحكومة الإنجليزية لدى السلطان العثماني لوقف هذا التعاون الفرنسي الطرابلسي ، ثم تدخلت بالقوة لإرغام يوسف باشا على قطع علاقاته مع فرنسا

وبعد ذلك تحسنت العلاقات بين الحكومة الإنجليزية وحكومة يوسف باشا ، وأصبح للقنصل الإنجليزي مكانة مرموقة مكنته من القيام بدورها أثناء الأزمة التي حدثت بين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة الطرابلسية ، ولكن لم تلبث أن توترت العلاقات الإنجليزية الطرابلسية من

---

(1) F. O. 76 - 14. P. 62.

جديد نتيجة لموقف القنصل الإنجليزي الجديد وليام لانجفورد وسوء تصرفاته وتكرار تدخله في الشؤون الداخلية لحكومة طرابلس الغرب حتى آنتهى الأمر بإبعاده عن طرابلس بناء على طلب يوسف باشا .

وقد حاول القنصل الإنجليزي الجديد ويليكي إعادة العلاقات الطيبة بين البلدين إلى مجراها الطبيعي .

الفصل الثالث

العلاقات الطرابلسية الانجليزية في عهد وارنجتون

(1814 — 1826 م)

- إختيار وارنجتون قنصلا إنجليزيا في طرابلس الغرب .
- الصراع الإنجليزي الفرنسي ودور وارنجتون في الإيالة .
- نجاح وارنجتون في توطيد العلاقات بين البلدين .
- دور وارنجتون كوسيط لبعض الدول الأوروبية .
- فتور العلاقات بين البلدين ومحاولة إنجلترا فرض إحترامها على الباشا .
- قوة وارنجتون ومركزه بين الدول .
- أثر التقارب الطرابلسي الفرنسي وتدخل إنجلترا لإيقاف عمليات الغزو في البحر الأبيض المتوسط .
- زيادة هيبة إنجلترا لدى حكومة طرابلس.
- إستياء الباشا من تدخلات وارنجتون في الشؤون الداخلية لحكومته .
- تزايد أهمية الإيالة لدى إنجلترا وتحسن العلاقات بين البلدين .
- تطور الأحداث بين سردينيا وطرابلس وتهدئتها بواسطة وارنجتون .

(1814 — 1826 م)

آهتمت الحكومة الإنجليزية بتعيين قنصل إنجليزي جديد بطرابلس بعد رجوع قنصلها ويليكي في أواخر سنة 1812 م إلى لندن ، وأن يكون له القدرة الممكنة بخلق جو ودي مع حكومة يوسف باشا ، وله في نفس الوقت القدرة المالية التي يمكن أن تساعده في عمله وتقديم المساعدات المالية للرحالة الإنجليز الذين تقوم بإرسالهم الجمعية الجغرافية الإنجليزية لاكتشاف إفريقيا الوسطى بين الحين والآخر .

ولقد كانت إيالة طرابلس الغرب إبان تلك الفترة نقطة الارتكاز للدول الأوروبية ومكان التنافس بينهم ، وخاصة بين الحكومة الإنجليزية وبين الحكومة الفرنسية في عمليات الكشف الجغرافي ، والتي سنتطرق إليها بتوسع في الفصل القادم .

ولذلك حرصت إنجلترا على تعيين قنصل جديد لها بمدينة طرابلس الغرب يضمن لها سلامة تجارتها وحصول السفن الإنجليزية الراسية في موانىء صقلية ومالطا على مراكز تجارية وموارد اقتصادية جديدة من إفريقيا ،

التي كـانت تجلب منهـا إلى مـدينـة طـرابلس عن طـريق طـرق القـوافـل المتعددة .

وقـد آنتعش آقتصاد الإيـالـة من هـذه المـوارد وتمكنت حكـومتهـا من الوصول بالمدينة إلى درجة عالية من النظافة والإستقـرار إذا ما قـورنت بمدن الشمـال الإفريقي الأخـرى ، وجعل يـوسف باشـا ديوانـاً لإستقبال الضيـوف الأجانب .

إختيار وارنجتون قنصلا انجليزيا في طرابلس:

لقـد وجدت الحكـومة الإنجليـزية رجـلاً إنجليـزيـاً يتمتـع بـالصفـات المطلوبة ويدعى « ألفريد هانمر وارنجتون Hanmer Warrington »(*) وكـان يعمل أثناء ذلك ضابـطاً في القوات الإنجليـزية المحـاربة للقـوات الأسبانيـة بجبل طارق ، وكان هذا الضابط شجاعـاً في تلك الحرب ، ولكنـه كان على خلاف مع رئيسة الجنرال وارنجتون [1] .

ولما تم تعيينه قنصلاً بإيالة طـرابلس فرح كثيـراً وشكر وزيـر الخارجيـة

(*) وارنجتـون ، من أب يشتغل مـوظف في كنيسة بشمـال ويلز ، ولـد سنـة 1778 م ، ودخل الميدان العسكري وهو في سن السادسة عشرة برتبة ملازم في سلاح الفرسـان ثم تدرج إلى رتبة نقيب فرائد ، ثم أصبح قائداً لقوات الفرسان ، رقي بعده إلى رتبة مقدم وأرسل إلى أسبانيا وخاض معارك ضد فرنسا وآشتهر بالعقيد وارنجتـون ثم عين سنة 1814 م قنصلاً إنجليزياً بطرابلس وبقي بها حتى توفى في يوم 12 ديمسبـر سنة 1843 م ودفن بـالمقبـرة التي منحهـا يـوسف بـاشـا سنـة 1830م إلى المسيحيين البروتستانت والموجودة الآن بشارع الشط بمدينة طرابلس وكتب على قبره بأنه يحمل صفـات حميدة كثيـرة ومساوىء قليلة ، ولم يكن لـه إلاّ عدو واحـد لم يـذكـر ولكن أعتقد أنه القنصل الفرنسي روسو .

(1) DEARDEN, OP. CIT., P. 224.

الإنجليزية السيد « باتروست Bathurst » شكراً جزيلاً ذاكراً له أنـه سوف لا ينسى له هذا الجميل ، كما شكره على الهدية التي سوف يرسلها له لتقديمها إلى حاكم إيالة طرابلس ، ويتضح ذلك من الرسالة التي وجهها وارنجتـون وهو بمنطقة جبل طارق إلى وزير الخارجية الإنجليزية بتـاريخ 4 يـوليو سنـة 1814 م :

« . . . . إنني أعبر عن شعوري وتقديري العظيم لفخامتكم بتعييني قنصلاً بـطرابلس ، وإنني سـوف لن أنسى لكم هـذا العرفـان ، وأنـا دائمـاً تحت تصـرفاتكم وفي خـدماتكم التي تـطلبونهـا لأنك أنت المخـطط لـرحلتي إلى طرابلس ، كما أشكركم عن الهدية التي سترسلونها لي لتقديمهـا إلى البـاشـا الطرابلسي » [1] .

كلفت وزارة الخـارجية الإنجليـزية قـائـد السفينـة الإنجليـزيـة السيـد « فرانسيس دريك Francis Drake » بالإبحار من ميناء بروتس مـوت Ports Mouth إلى مينـاء جبـل طـارق ، وحمـل وارنجتون من هناك إلى مقـر عمله الجديد بإيالة طرابلس الغرب ، ومعه في نفس الوقت الهدايـا التي سيقدمهـا إلى يوسف باشا ويتبين هذا من الرسالـة التي وجهها وارنجتـون إلى حكومتـه بلندن بتاريخ 21 من يوليو سنة 1814م [2] .

إلاّ أن وارنجتون لـم يتحصل على القرار الذي يمنح زوجته الإبحار معه مما آضطره إلى مخاطبة وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن بالإسراع في إرسال القرار الذي يسمّح له ولزوجته بمرافقته إلى حيث سيتجه إلى عمله الجديد ، كما ورد في رسالته المؤرخة في 8 من يوليو سنة 1814 إلى وزارة الخارجيـة الإنجليزية [3] .

---

(1) F. O. 76 - 9. P. 5.

(2) IBID., P. 9.

(3) IBID., P. 3.

وفي يوم 27 من يوليو سنة 1814 م تلقى وارنجتون رسالة من وزارة الخارجية بلندن بالإذن له بالإبحار والإتجاه إلى مقر عمله الجديد بمدينة طرابلس على وجه السرعة ، وفي أقرب وقت ممكن مع إنهاء جميع الصعوبات والمشاكل التي قد تصادفه [(1)] .

وفعلاً آستطاع وارنجتون إنهاء الصعوبات التي واجهته بمنطقة جبل طارق والتي كانت بينه وبين رئيسه ، وأنهى كذلك الإشكال الذي حدث بينه وبين قائد السفينة فرانسيس دريك [(2)] .

إتجه وارنجتون على ظهر السفينة فرانسيس دريك إلى مدينة طرابلس ، إلاّ أنها توقفت في مدينة الجزائر ونزل منها وارنجتون منتقلاً إلى سفينة أخرى تاركاً مدينة الجزائر يوم 3 نوفمبر متجهاً ، إلى ميناء طرابلس البحري الذي وصله يوم 28 من نوفمبر سنة 1814 م [(3)] .

وحين وصول الخبر إلى الباشا الطرابلسي بوصول السفينة الإنجليزية التي تحمل القنصل الإنجليزي الجديد ، أمر بتحية العلم الإنجليزي الذي يرتفع على هذه السفينة وبقى القنصل الجديد بها مدة يومين لأنه لم يستطع النزول منها بسبب الرياح القوية التي جعلت من الصعب رسو السفينة بالمرسى .

وبعد أن هدأت الرياح نزل وارنجتون وآستقبله موظفوا القنصلية بإيالة طرابلس ، وكان برفقته زوجته جين أيلزا برايس هاملتون(*) Jone Eliza

---

(1) IBID. P. 15.

(2) IBID., P. 15.

(3) IBID., P. 24.

(*) جين إيلزا برايس هاملتون ، البنت الغير الشرعية للملك جورج الرابع ومن المحتمل جداً أن تكون تلك الرابطة هي التي جعلت الوزراء في الحكومة الإنجليزية يتغاضون =

Apryce Hamelton » وأبنـاؤه العشرة ومـربيـة هؤلاء الأولاد . ومـا أن وطئت أقـدامه أرض الميناء الطرابلسي حتى أنشـد لـه النشيـد الـوطني الإنجليـزي والطرابلسي تحية له ، وأطلقت المدفعية مرة ثانية إحدى وعشرين طلقـة تحية له شخصياً على قدومه قنصلاً جديداً لدولة صديقة ترتبط بالإيالـة الطرابلسيـة عامة وبالأسرة القرمانلية خاصة بصداقة وعلاقة وطيدة .

وفي صباح الأول من ديسمبر سنـة 1814 م قدم وارنجتـون إلى القلعة برفقة السكرتير الأول بالقنصلية الإنجليزية السيد سومـر ڤيل لاستقبـال يوسف بـاشا وتقـديم نفسه لـه كقنصل للحكـومة الإنجليـزيـة حـامـلاً معـه الهـدايـا المخصصة للباشا الطرابلسي من قبل حكومته الإنجليزية بلندن .

وتحـدث وارنجتون عن آستقبـال يـوسف بـاشـا لأول مـرة في رسـالتـه المؤرخة في 10 من ديمسبر سنة 1814 م إلى حكومته الإنجليزية بلندن بأنها كانت أكثر مما توقع فقد آندهش من المنظر الـذي رآه عند دخـوله إلى قـاعة الإستقبال فقد وجـد يوسف بـاشا في مـلابسه الفـاخرة النـاصعة المـرصوعـة بالذهب والفضة والحجرة مليئـة بالمقـاعد الـذهبية حيث يجلس عليهـا بيمينه وشمـاله أبنـاؤه وبعض من الحراس الـواقفين على رأسه مـدججين بغـدارات ومسدسات حـديثة الصنـع إبان تلك الفتـرة ، وكان على وارنجتـون في نفس الوقت ملابس فخمة حيث كان يرتدي قبعة المارشالات ومعطفاً ملوناً بالزرقـة والحمرة وحذاء طويلاً يزيده جمالاً وفخامة يناسب ذلك الموقف [1] .

تقدم وارنجتون بـالهدايـا والرسـالة المـوجهة إلى البـاشا من قبـل ولي العهد الإنجليزي وآستقبلهما يوسف بـاشا بكـل فرح وسـرور شاكـراً القنصل الإنجليزي وحكومته عليها معبراً عن مشاعره بقوله :

= عن أعمـاله وتصـرفاتـه . أنظر عبـد الجليل التميمي ، بحـوث ووثـائق في التـاريخ المغربي ، ص 268 . وفيرو ، الحوليات الليبية ، الكتاب الثاني ، ص 576.

(1) IBID., P. 24.

« . . . إن إنجلترا دائماً صديقتي وأنا دائماً أحاول أن تستمر هذه الصداقة بيننا . . » [1] .

كما طلب من القنصل الجديد العمل من جانبه على توطيد هذه الصداقة وإبلاغ ولي العهد الإنجليزي بإرسال بندقيتين له ولوزيره تكونان من صنع إنجليزي دقيق ، كذلك تزويده بأربع ساعات فضية [2] .

لقد تقبل وارنجتون هذا الطلب بالقبول الحسن متمنياً للباشا دوام الصحة والعافية ومؤكداً له بأن جلالة ولي العهد وحكومته الإنجليزية بلندن سوف لا تتردد في إرسال هذا الطلب لما تكنه للحكومة الطرابلسية وحاكمها يوسف باشا من تقدير وآحترام ، وستعمل لتوطيد وآستمرار العلاقة الودية بين البلدين .

آندهش القنصل الإنجليزي الجديد من الإستقبال الذي وجده من قبل يوسف باشا الذي أحاطه بكل حفاوة وتكريم ، فقد أمر بإقامة حفل خاص له بعد تقديم أوراق إعتماده قنصل لبلاده ، وأبلغ الباشا وارنجتون في هذا الإحتفال بأنه مرتاح كثيراً لما حققته القوات الإنجليزية في فتوحاتها ضد القوات الفرنسية في الماضي ، وما تحققه حالياً من آنتصارات في ميدان المعركة [3] .

كذلك فقد سعد يوسف باشا كثيراً بالخبر الذي زفه له القنصل الإنجليزي الجديد برفع العلم الإنجليزي على مدينة واشنطن ، فقد كان يوسف باشا يكن الحقد والكراهية للحكومة الأمريكية المستقلة حديثاً والتي دخلت في حرب معه وساعدت أخاه أحمد الهارب إلى الأراضي المصرية

---

(1) IBID., P. 24.

(2) IBID., P. 25.

(3) DEARDEN, OP. CIT., P. 231.

للجلوس على كرسي الحكم بدلاً منه ، ولذلك فما أن سمع من القنصل الإنجليزي برفع علم بلاده على مدينة واشنطن حتى أعلن توقفه عن دفع الأقساط المالية التي يدفعها عن القرض المالي الذي أخذه في السابق من القنصل الأمريكي [1] .

بعد مقابلة وارنجتون ليوسف باشا باشر عمله في اليوم التالي بالقنصلية الإنجليزية ، وتسلم جميع الأختام والأوراق من السكرتير الأول السيد سومر فيل المكلف مؤقتاً بإدارة شؤونها ، والذي كان كما يقول وارنجتون في رسالته بتاريخ 10 من ديسمبر سنة 1814 م بأنه مخلص وحريص جداً على مصلحة بلاده ، وأنه آستطاع في فترة بسيطة تتراوح بين العامين من القضاء على جميع الصعوبات والمشاكل التي كانت سائدة بين القنصل الإنجليزي السابق وليام لانجفورد والحكومة الطرابلسية ، وأنه تمكن من الارتفاع بمكانة بلاده في نظر الحاكم الطرابلسي [2] .

وقد وجد وارنجتون بيت القنصلية الإنجليزية في حاجة إلى إصلاح وترميم ، وأن المالك لهذا البيت لا يرغب في ترميمه لأن إيجاره بسيط يقدر بحوالي ستين دولاراً في السنة ، وأنه يطالب بزيادة قيمة الإيجار . كذلك مبنى القنصلية يحتاج إلى ترميم أيضاً وبناء عليه طلب وارنجتون من حكومته الإنجليزية بلندن زيادة المخصصات المالية ، وأرسل قائمة بأسماء المتطلبات التي تتطلبها عملية الترميم ، وهذه رسالة وارنجتون بالخصوص في 10 من ديسمبر سنة 1814 م إلى وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن :

« . . . إن بيت القنصلية الذي نزلت فيه متعب جداً ويحتاج إلى ترميم وإنني سأرفق قائمة التكاليف التي يحتاجها ، وأملي وطيد بأن تلقى الموافقة منكم . إن هذا البيت إيجاره يصل إلى ستين دولاراً منذ فترة طويلة والآن

---

(1) F. O. 76 - 9. 26.

(2) IBID., P. 26.

صاحب البيت له رغبة في زيادة الثمن ، وإنه لا يرغب في ترميمه بسبب الإيجار البسيط » (1) .

وأبلغ القنصل الإنجليزي حكومته بلندن أن الحكومة الطرابلسية تعامل الأسرى المسيحيين على مختلف جنسياتهم معاملة طيبة وأنهم لم يتلقوا أية معاملة قد تسيء إليهم ويجدون كافة الرعاية والعناية من مأكل وملبس .

كما طلب رسم خطة واضحة لكي يسير عليها للتباحث مع الباشا الطرابلسي بخصوص إطلاق سراح هؤلاء الأسرى ، كما نصت عليه رسالته إلى حكومته بتاريخ 10 من ديسمبر 1814 م (2) .

كذلك طلب وارنجتون من حكومته إرسال طبيب يزيد عمره عن الأربعين سنة ليعمل طبيباً خاصاً للباشا خلفاً للطبيب المالطي « توماس Thomas » والذي كان يتقاضى راتباً عالياً يبلغ حوالي ألفي جنيه استرليني في السنة مؤكداً أن الباشا على إستعداد لزيادة هذا المبلغ لثقته في الأطباء الإنجليز ، وأشار بأن إرسال مثل هذا الطبيب سيزيد من تقوية العلاقات بين البلدين (3)

الصراع الإنجليزي الفرنسي ودور وارنجتون في الإيالة :

إنعكس الصراع الفرنسي الإنجليزي على علاقات الدولتين الفرنسية والإنجليزية بالإيالة ، وأخذ وارنجتون هذا الوضع بعين الإعتبار حال إستلامه عمله كقنصل لبلاده في الإيالة الطرابلسية .

وكان أول آصطدام له مع القنصل « ديلابورت Delaporte » الذي

(1) IBID., P. 26.

(2) IBID., P. 26.

(3) IBID., P. 27.

خلف القنصل الفرنسي الأسبق السيد « جيس Guys » فقد فوض ديلابـورت من قبل « لويس الثـامـن عشر XVIII « Louis » بـرفع العلم الملكي الفـرنسي على مبنى القنصليـة الفرنسيـة بطرابلس ، ولكن في مـارس سنـة 1815 م ، آستطاع نابليون الوصول إلى طولون [1] .

ومـا أن سمع وارنجتـون هذا الخبـر حتى أعلن أنـه سيمنـع رف العلم الجمهـوري الفرنسي على مبنى القنصليـة الفرنسيـة بطرابلس ، وأسـرع إلى مقابلة الباشا وطلب منه عدم السماح للقنصل الفرنسي بـرفع هـذا العلم على القنصلية الفرنسية إذ كانت الحكومة الطرابلسية لها الرغبة في آستمرار تـوثيق العلاقات الطيبة مع الحكومة الإنجليزية .

كما أبلغ وارنجتون يوسف باشا عن الإستفزاز الـذي أثاره ثـلاثة جنـود من البحارة الفرنسيين تابعين للقنصلية الفرنسية أمام مبنى القنصلية الإنجليزية بغنائهم نشيد الثورة الفرنسيـة ، وطلب منه ضـرورة معاقبتهم ووضـع حراسـة مشددة على مبنى القنصلية الإنجليزية تحسباً لأي طارىء .

وقد آستجاب يوسف لطلب وارنجتون وأعطاه عهداً بأنه سيمنع القنصل الفرنسي من رفع العلم الجمهوري ، وأمر بـوضع حـراسة مشـددة على مبنى القنصليـة الإنجليزيـة وأصدر قـراراً برفـع الحمايـة الدبلومـاسية على الجنـود الفرنسيين وآتهمهم بالفوضى وأمر بسجنهم إرضـاء للقنصل الإنجليـزي الذي قام على الفور بتحرير رسالة إلى حكومته بلندن يعلمها بالخصوص [2] .

(1) DEARDEN, OP. CIT., P. 232.

(2) IBID., P. 235 - 237.

نجاح وارنجتون في توطيد العلاقات الطرابلسية الإنجليزية :

بدأت مكانة وارنجتون تزداد في نظر أعيان الحكومة الطرابلسية ، فقد آستجاب يوسف باشا لطلب تقدم به بتحرير سفينتين تحملان جواز سفر من القنصل النابولي ، وكان قد قبض عليهما البحارة الطرابلسيون في الشواطىء الطرابلسية نظراً لعدم وجود معاهدة بين البلدان تسمح بمرور السفن الأجنبية التي تحمل جوازات سفر نابولية بالإقتراب والرسو في الشواطىء والموانىء الطرابلسية مما جعل البحارة الطرابلسيين يستولون عليهما ويحضورونهما إلى الميناء الطرابلسي ويقدمونهما إلى يوسف باشا كهدية وأسر البحارة الموجودين عليهما ، ولكن آستجابة لوارنجتون ، فقد أمر يوسف بأطلاق سراحهما ، وتم ذلك على مرحلتين متواليتين .

أخذت العلاقات الطرابلسية الإنجليزية تسير في مجراها الطبيعي وقد يسودها أحياناً التوتر وخاصة أثناء قيام القوات البحرية الطرابلسية بدورياتها العادية في مياه البحر الأبيض المتوسط ومطاردتها لبعض السفن الأجنبية الأوروبية والتي لا يكون لديها جوازات سفر مسموح المرور بها من قبل القناصل الأوروبيين المعتمدين في الإيالة الطرابلسية .

ففي بداية عام 1815 م أنشئت في مالطا منظمة بخصوص النقل البحري وقامت بتزوير جوازات السفر مما أدى إلى حدوث بعض الإلتباسات لدى البحارة الطرابلسيين وعدم آستطاعتهم معرفة جوازات السفر الحقيقية من المزورة في هذه الشركة ، وعلى سبيل المثال فقد حدث خطأ في شهر أكتوبر سنة 1815 م بأن أخذت سفينة مالطية كان لديها جواز سفر صادر من القنصل الإنجليزي بإيالة طرابلس وأخذت غنيمة من قبل البحارة الطرابلسيين وجروها إلى الميناء الطرابلسي وسلبت البضائع التي كانت على ظهرها ، وثم أسر البحارة التي عليها [1] .

---

(1) IBID., P. 239.

وعندما علم القنصل الإنجليزي بالحادثة تقدم على الفور بمذكرة آحتجاج إلى الحكومة الطرابلسية التي عقدت إجتماعاً في الحال تحت إشراف يوسف باشا الذي عرض على القنصل الإنجليزي قتل قائد السفينة الطرابلسية التي قامت بآختطاف السفينة المالطية دون علم بأنها تحمل جواز سفر حقيقي صادر من القنصلية الإنجليزية .

فآتصل وارنجتون بقائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط الموجود بمالطا موضحاً له أن الباشا قد عرض عليه إعدام قائد السفينة الطرابلسية ولكنه ليس مخولاً بمثل ذلك ولهذا فقط طلب من الباشا أن يبقى قائد السفينة الطرابلسية سجيناً حتى يشير عليه قائد الأسطول الإنجليزي بهذا الشأن .

وقد أشار قائد الأسطول على وارنجتون بعدم قطع رأس قائد السفينة والإكتفاء بدفع غرامة مالية مقابل هذا الخطأ الذي قام به مع آسترجاع البضائع التي أخذت من على ظهر السفينة المشار إليها إلى مالطا ، وإطلاق سراح جميع البحارة الذين كانوا عليها .

وقد تم ذلك فعلاً فقد دفع قائد السفينة الطرابلسية غرامة مالية قدرها خمسمائة فرنك للمحكمة الإنجليزية بمالطا [1].

دور وارنجتون كوسيط لبعض الدول الأوروبية :

ونظراً للمنزلة التي كان يتمتع بها وارنجتون ، فقد حصل على ثقة كثير من حكومات الدول الأوروبية حيث طلب إليه التوسط لدى الباشا الذي كثيراً ما تقوم بحارته بعمليات غزو لسفنهم التجارية في مياه البحر الأبيض المتوسط، ومثال ذلك نجد أن الحكومة النابولية تطلب عن طريق وزير

---

(1) عمر علي بن إسماعيل ، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ، ص 138 .

خارجيتها « الماركيزي دي شير شيللو IL Marcheze Dicircello » وساطة وارنجتون في أن يتمتع رعاياها بنفس المزايا الملاحية الممنوحة إلى رعايا مملكة صقلية بموجب الهدنة المعقودة بينهما وبين الإيالة الطرابلسية وآعتبار مملكة نابولي إحدى المملكتين التابعتين لأمير واحد مع مملكة صقلية ، وتحمل سفنها نفس العلم الذي تحمله السفن الصقلية ، كما طلب ملك نابولي من وارنجتون القيام بمهام قنصلية نابولي أسوة بمهام قنصلية صقلية التي كلف بها في السابق، وطلب منه أيضاً الحصول من يوسف باشا على الموافقة على آمتداد الهدنة بين الإيالة الطرابلسية وبين المملكتين صقلية ونابولي إلى غاية سنة 1816 م ، وأبلغ سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقلتين وارنجتون هذا في رسالة بتاريخ 14 يوليو سنة 1815 م :

« . . . كما أعلم سيادتكم أن الملك عازم عزماً وطيداً على أن يبرم صلحاً ثابتاً ومستديماً مع الإيالة ، وريثما يتسنى الوقت الكافي لإتمام المداولات وتجهيز الشروط فأنا في حاجة إلى أن تتكفلوا سيادتكم بالحصول من سمو الباشا على آمتداد الهدنة للمملكتين إلى غاية سنة 1816 م ، وحتى يتم ذلك فقد كلفكم الملك بمهام قنصلية نابولي ، كما أنتم مكلفون بنفس المهام لصقلية ليتمتع رعاياها بنفس المزايا »[1] .

إلاَّ أن يوسف باشا آعتبر الهدنة التي تم الإتفاق عليها بين إيالته والحكومة الصقلية سنة 1812 م لا تشمل مملكة نابولي على آعتبار أنها لم يتم إبرام إتفاق معها ، وهذا ما نصت عليه رسالة وارنجتون بالخصوص إلى سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين بتاريخ 20 من أكتوبر سنة 1815 م .

« . . . إن الباشا يعترف بربط العلاقة بين طرابلس ونابولي سنة

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف قنصلية نابولي .

1813 م التي كانت بوساطة القبطان سميث أما المعاهدة المبرمة فقد كانت مع صقلية فقط ، ولذلك فقد أخذ الطرابلسيون هذا المركب باعتباره من نابولي وإن الإتفاقية لا تنص على ذلك » [1] .

وعلى ذلك فلم يمنع الباشا بحارة أسطوله من تفتيش السفن النابولية في مياه البحر الأبيض المتوسط ، والذي تعده إيالات الشمال الإفريقي المطلة عليه بأنه بحيرة عربية إسلامية وعلى ذلك فقد تمكن البحارة الطرابلسيون من الإستيلاء على سفينة ومركب محملتين زيتاً وحريراً وإحضارهما إلى ميناء طرابلس وأسر بحارتهما البالغ عددهم اثنان وعشرون بحاراً ، وكان ذلك يوم 21 من يوليو سنة 1815م كما جاء في رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بتاريخ 2 من أغسطس سنة 1815 م :

« . . . إن سفينة لاتينية نابولية ذات ثلاث قلاع آسمها سانتا ماريا دي بورتو تحت قيادة القبطان فليبودي روزيكون ، تحمل زيتاً وعليها أربعة عشر بحاراً ، وكذلك سفينة أخرى بنفس الاسم تحت قيادة جيوفاني بروكوبيو حاملة أسلحة حربية وبها ثمانية بحارة ، فقد صودرتا في 21 من يوليو الماضي » [2] .

وبناء على ذلك فقد تقدم سكرتير الدولة ووزير الخارجية بمملكة الصقليتين إلى وارنجتون يطلب منه التوسط لدى يوسف باشا بإطلاق سراح البحارة النابوليين وإرجاع السفينتين وبضائعهما إلى الحكومة النابولية ويقدم له شكره عن المجهودات التي يقوم بها وعزيمته التي يتصف بها في سبيل

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين بتاريخ 20 أكتوبر سنة 1815 م ، ملف قنصلية نابولي .

(2) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين لوارنجتون بتاريخ 2 أغسطس سنة 1815 م ، ملف قنصلية صقلية .

خدمة الرعايا الإيطاليين بصفة عامة ، كما أوضح وزير الخارجية بأنه على آستعداد للدخول في حرب مع الأسطول الطرابلسي إذا ما آستمر في مثل تلك الأعمال العدائية ضد سفن الأسطول التابعة لمملكة الصقليتين وهذا ما ورد في نص الرسالة :

« . . . إن جلالته يعتمد على همتكم وعلى مقدرتكم لإقناع الحكومة الطرابلسية لوضع حد نهائي لمثل هذه المنازعات ولإحترام الهدنة الحالية والعلم الملكي وذلك حتى يجهز شروط معاهدة السلام بين الدولتين أما إذا تهاونت الحكومة الطرابلسية أو أبدت حججاً واهية في رد ما نطلب رده على حق ، أو في وقف آستمرار أعمال القرصنة(*) فيرغب جلالته في أن تعلموا سيادتكم الباشا أن المسافة بين الدولتين ليست ببعيدة ، كما أن وجود القوات البحرية الملكية سيعطي الملك الوسيلة بأن يسحق حالاً وبكل شدة مثل هذه الغزوات وإصدار أوامره إلى قباطنة سفنه الحربية إغراق السفن الطرابلسية التي يقابلونها في رحلاتهم »[1].

لقد آعتبر يوسف باشا هذا التهديد بأنه إعلان حرب من قبل الحكومة النابولية على الشعب الطرابلسي وآستدعى القنصل الإنجليزي إلى مكتبه في الحال ، وأوضح له أن هذا الأمر خطير ويعمل على إساءة العلاقة بين الحكومة الطرابلسية والحكومة النابولية وطلب منه تبليغ ذلك الأمر إليها فرفضت هذا الخبر على لسان وزير خارجيتها في رسالة له إلى وارنجتون بتاريخ 30 من ديسمبر 1815 م والتي جاء فيها :

« . . . بالإحالة إلى كتابكم المؤرخ في 16 من نوفمبر الماضي أفيد

(*) القرصنة، مفهوم غربي يقابله عند المسلمين الجهاد البحري ، وهي أسلوب فرضته طبيعة المرحلة على العلاقات الدولية خلال تلك الفترة .

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى وارنجتون بتاريخ 1 من سبتمبر سنة 1815 م ، ملف قنصلية نابولي .

سيادتكم بأني في يوم 18 من الشهر المذكور أرسلت جواباً على خطابكم السابق المؤرخ في 20 أكتوبر مؤكداً بأنه لا يوجد فعلاً أي إعلان حرب من جلالة الملك ضد الإيالة التي كلفتكم بآسم جلالته بمطالبتها بالسفن التي سلبت بمعرفة القرصان الطرابلسيين »[1] .

وقد كلفته في نفس الوقت بالدفاع عن حماية رعايا الصقليتين بصفة عامة ، والموجودين بإيالة طرابلس في كل الأحوال والظروف التي قد تواجههم في مياه البحر الأبيض المتوسط وبمدينة طرابلس .

وقد نجح وارنجتون في الدفاع عن شؤون مملكة الصقليتين إذ آستطاع أن يقنع يوسف باشا بوضع السفينتين النابوليتين اللتين تم أسرهما من قبل البحارة الطرابلسيين تحت إشرافه كأمانة ومعهم ثمانية من البحارة النابوليين أحضرهم من السجن وبقوا في القنصلية الإنجليزية فترة من الوقت حتى تم إطلاق سراح سفينتين طرابلسيتين وستة عشر بحاراً طرابلسياً كانوا على ظهر هاتين السفينتين تم أسرهم من قبل بحارة الأسطول النابولي في مياه البحر الأبيض المتوسط وقد ورد ذلك في رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي بتاريخ 13 من مارس 1816 م :

« . . . بما أني رأيت من واجبي آطلاع الملك على فحوى كتابكم المؤرخ في 24 من يناير الماضي بخصوص السفينتين الصقليتين اللتين آغتنمتا رغم الهدنة وسلمتا لكم كأمانة هما وثمانية من رعايا جلالته حتى تطلق الحرية للسفينتين الطرابلسيتين وستة عشر طرابلسياً »[2] .

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى وارنجتون بتاريخ 30 من ديسمبر سنة 1815 م ، ملف قنصلية نابولي .

(2) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي بتاريخ 13 من مارس سنة 1816 م ، ملف قنصلية نابولي .

وقد أوضح ملك الصقليتين إلى يوسف باشا عن طريق وارنجتون بأن جنوده لم يأسروا أية سفينة طرابلسية رغم إعترافه على لسان وزير خارجيته الماركيز دي شير شيللو في رسالته للقنصل الإنجليزي بتاريخ 23 من مايو سنة 1816 م عن وجود سفينتين صغيرتين عليهما العلم الطرابلسي في الموانىء الإيطالية.

« . . . بتاريخ 12 مايو الجاري أخطرني القنصل الملكي بكورفو أن القبطان بنايوني كوندوري الذي وصل إلى ميناء تريستا بعلم إنجليزي يوم 10 من نفس الشهر أفاد أنه ترك في مياه دورا تزو شبكتين وسفينتين صغيرتين عليهما العلم الطرابلسي ومعهما سفينة تجارية نابوليتانية فالرجاء من سيادتكم ملاحظة عودة السفينتين المذكورتين »[1].

كما ألح في نفس الرسالة عليه بضرورة التدخل لإطلاق سراح السفينة النابولية وغيرها من السفن التي قد تكون موجودة في ميناء الإيالة الطرابلسية وإبلاغ يوسف باشا بعدم شرعية هذه الغنيمة كما تنص المادة الأولى من معاهدة الهدنة المعقودة في 10 مايو سنة 1812 بين الحكومة الطرابلسية وحكومة مملكة صقلية والتي تنص كما جاء في رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية الماركيزي دي شيرشللو إلى وارنجتون بتاريخ 13 يناير سنة 1816 م على أنه :

« . . . . إبتداء من تاريخ هذه المعاهدة تثبيت هدنة كاملة بين حكومة ملك الصقليتين وسمو الباشا الطرابلسي ودوليتهما وبلادهما ورعاياهما والخاضعين لهما سواء في البحار أو في البحر ، وذلك خلال كل الوقت الذي تبقى فيه جنود جلالة ملك إنجلترا في جزيرة صقلية »[2].

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى وارنجتون بتاريخ 23 من مايو سنة 1816 م ، ملف قنصلية نابولي .

(2) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، رسالة سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة =

وكـان للنجاح الـذي حققه وارنجتـون في التـوسط عنـد يـوسف بـاشـا لصالح مملكـة الصقليتين أثره في جعـل حكومـة سردينيـا تحذو حـذو مملكة الصقليتين وتطلب منه التـوسط لها عنـد يوسف بـاشا بـآطلاق سـراح السفينة السردينية كولميا وبحارتها الذين كانوا على ظهرها والذين تم أسـرهم من قبل بحـارة الأسطول الـطرابلسي ، وتم بيع السفينـة بميناء طـرابلس البحري إلى أحد التجار اليهود المقيمين بمدينة طرابلس [1] .

فتور العلاقات بين البلدين ومحاولة إنجلترا فرض إحترامها على الباشا :

وهكذا سادت علاقات طيبة ومحترمة بين القنصلية الإنجليزية وحكـومة الإيـالة الـطرابلسية ، وعـادت إلى طبيعتها التي كـانت عليها من عهـد الآبـاء والأجداد للأسرة القرمانلية .

ولكن حدث أمر عــكر صفوهـا قليلاً فقـد قام عبـد مسيحي في لحظة غضب بمحاولة قتل يوسف باشا ، ولكن محـاولته بـاءت بالفشـل وتم القبض عليـه وقطعت رقبتـه في الحال ، إلَّا أن المسـدس الذي آستعمله في عمليـة الإغتيال وجد من صنع إنجليزي مما أثار الكثير من الشكوك لدى يوسف باشا الذي كان في حـالة تـوتر وغضب شـديدين ، وأمـر الديـوان بالإجتمـاع فوراً والتبـاحث في الأمر وعمـا إذا كان وارنجتـون من وراء هذا العمـل ، أو على علم مسبق به؟ ولكن رغم كل التحقيقات التي أجريت من قبل رجال يـوسف باشا في هـذا الموضـوع ، فلم يجدوا أيـة أدلة من بعيـد أو قريب تشيـر إلى تدخل وارنجتون في هذا الخصوص [2] .

= الصقليتين إلى وارنجتـون بتاريـخ 13 من ينايـر سنة 1816 م ، ملف قنصليـة صقلية رقم 2.

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة وارنجتون إلى الحكومة السردينية بتـاريخ 20 نوفمبر سنة 1815 م ، ملف القنصلية السردينية .

(2) DEARDEN., OP. CIT., P. 240.

إلاّ أنه رغم عدم وجود أية شبهة للقنصل الإنجليزي في هذا الحادث المغضب ، فقد أحدث جفوة في العلاقات الطرابلسية الإنجليزية ، وأحدث تباعداً قليلاً بين يوسف ووارنجتون ، وأتاح هذا التباعد الفرصة للبحارة الطرابلسيين من أجل القيام ببعض الهجمات ضد السفن الإنجليزية والمالطية في مياه البحر الأبيض المتوسط ، فقد تمكن أحدهما الإستيلاء على سفينة تجارية إنجليزية في المياه الواقعة بين الشواطىء الطرابلسية والمياه الإقليمية لجزيرة مالطا .

ولما وصلت هذه الأخبار إلى يوسف باشا قبل وصول السفينة الإنجليزية إلى ميناء طرابلس كان في حالة غضب شديد على وارنجتون ، فلم يمانع من إحضار هذه السفينة الإنجليزية التي تم أسرها من قبل البحارة الطرابلسيين إلى ميناء طرابلس الغرب، بل إنه أصدر أوامره إلى رئيس الأسطول الطرابلسي والمشرف على ميناء طرابلس البحري بإدخال السفينة الإنجليزية إلى الميناء في سرية تامة ودون أداء أية تحية لها من قبل مدفعية الميناء كما كانت العادة تجري عندما يحصل البحارة الطرابلسيون على أية غنيمة من أساطيل الدول الأجنبية في مياه البحر الأبيض المتوسط [1] .

وما أن دخلت السفينة الإنجليزية الميناء الطرابلسي حتى تناهت أخبارها إلى مسامع وارنجتون الذي أهرع مسرعاً في قاربه إلى ميناء طرابلس البحري فوجد على سارية السفينة الإنجليزية العلم الإنجليزي الذي تتوسطه العلامة البيضاء ، وتقدم إلى قائد السفينة مستفسراً منه عن هذا العلم تأكيداً منه بأن السفينة إنجليزية والعلم إنجليزي أم هناك تزوير في الخصوص ، فأخبره قائد السفينة بأن العلم إنجليزي والسفينة إنجليزية وتم أسرها وهي في مياه البحر الأبيض المتوسط من قبل البحارة الطرابلسيين .

وقد طمأن وارنجتون قائد السفينة وذكر له بأن الأمر بسيط وسيتم إطلاق

---

(1) IBID., P. 241.

سراح السفينة والبحارة التي على متنها ، وأنه ذاهب في الحال لمقابلة يوسف باشا أو وزيره بالخصوص ، كما هو واضح في رسالة وارنجتون إلى وزير الخارجية الإنجليزية بتاريخ 11 من نوفمبر سنة [1] 1816م .

وقد آعتذر وزير الخارجية الطرابلسية إلى القنصل الإنجليزي عما حدث من قبل البحارة الطرابلسيين ، وأنه سيتم إطلاق صراح جميع البحارة الإنجليز وسفينتهم وأبلغ القنصل الإنجليزي بأنه متجه في الحال إلى ميناء طرابلس البحري لمشاهدة الأمر على أرض الواقع وآتفقا على اللقاء هناك وهذا تقرير القنصل الإنجليزي إلى حكومته بتاريخ 11 نوفمبر سنة 1816 م :

« . . . وعند مقابلتي لوزير الباشا بالخصوص أبدى إستعداده لمحاكمة قبطان السفينة الطرابلسية في الحال إذا رغبت سعادتي فرفضت التدخل في الشؤون الداخلية ، ولكنني طلبت منه إنزال أشد العقوبة على الأشخاص الذين يتجرؤون على إهانة العلم الإنجليزي » [2] .

ذهل وزير الخارجية الطرابلسية عندما رأى العلم الإنجليزي على سارية السفينة الإنجليزية بميناء طرابلس البحري ، فآقترب من وارنجتون الموجود على مقربة منه مقدماً له إعتذاره وذاكراً له بأنه على إستعداد لعمل أي شيء في سبيل ترضيته ، فرد القنصل الإنجليزي عليه وهو في حالة غضب شديد أنه لا يرغب في التدخل في الإجراءات الداخلية للإيالة ، ولكنه كممثل للحكومة الإنجليزية في طرابلس يطالب بإنزال أشد العقوبة على قائد السفينة الطرابلسية الذي قاد السفينة الإنجليزية إلى هذا الميناء ، وأنه آعتبر هذا العمل من قبل البحارة الطرابلسيين إهانة للعلم الإنجليزي ومخالفة لإتفاقية السلام المعقودة بين الدولتين لا يمكن السكوت عنها .

---

(1) F. O. 76 - 11. P. 5.

(2) IBID., P. 5.

وقد طلب وارنجتون من الحكومة الطرابلسية شنق قائد السفينة الطرابلسية على نفس الحبل الذي يرتفع عليه العلم الإنجليزي على سارية السفينة الإنجليزية التي تم أسرها ، وأن يكون الشنق على أيدي البحارة الإنجليز مع إطلاق جميع الأسرى الذين كانوا على ظهر السفينة ، ثم السماح للسفينة بمغادرة الميناء الطرابلسي والتي تحمل على ظهرها كمية كبيرة من الملح وتقدر بحوالي ثلاثمائة طن أخذت بالقرب من مدينة لشبونة البرتغالية بحوالي اثني عشر ميلاً في يوم 25 سبتمبر سنة 1815 م ، كما جاء في رسالة وارنجتون إلى وزارة الخارجية الإنجليزية بلندن بتاريخ 11 من نوفمبر سنة 1816 م :

« . . . . وأعيد الأسرى على ظهر السفينة ومعهم ثلاثمائة طن من الملح أخذت بالقرب من مدينة لشبونة بحوالي اثني عشر ميلاً ونصف في يوم 25 سبتمبر من نفس السنة » [1] .

كما طلب وارنجتون من وزير خارجية يوسف تعويض قائد السفينة الإنجليزية بمبلغ مالي نظير تعطيل رحلته الطبيعية في مياه البحر الأبيض المتوسط .

وقد حاول يوسف باشا المماطلة في إجابة طلب وارنجتون ، وأراد أن يعدل بعض الشيء فيه وأرسل رئيس بحريته والمشرف على ميناء طرابلس البحري السيد مراد الرايس الذي هو من أصل إنجليزي وصديق عزيز عند وارنجتون ، ومعه بعض من الضباط المقربين ليوسف باشا .

وقد تقدم مراد الرايس متوسلاً إلى وارنجتون أن يتم الشنق بأيدي البحارة الطرابلسيين ، وألا يكون بأيد مسيحية حيث أن هذا يعد مخالفاً للدين الإسلامي وبالتالي سيثير الكثير من الغضب عند أهالي مدينة طرابلس

---

(1) IBID., P. 7.

ضد الرعايا الإنجليز بالإيالة والباشا الطرابلسي في نفس الوقت .

ولكن رغم كل هذا فقد رفض وارنجتون طلب مراد الرايس ويوسف باشا وصمم على ضرورة الانتقام من قائد السفينة الطرابلسية ليكون عبرة لغيره من البحارة الطرابلسيين .

ولقد تخوف يوسف باشا من تطور الأحداث فلم يجد بداً من الرضوخ لأمر القنصل الإنجليزي ووافق على شنق قائد السفينة الطرابلسية على الحبل الذي يرتفع عليه العلم الإنجليزي على سارية السفينة الإنجليزية التي سبق أسرها وبأيد مسيحية وأمام البحارة الطرابلسيين وأهالي مدينة طرابلس الغرب ليكون عبرة لهم ، ويتبين هذا من الرسالة المؤرخة في 11 من نوفمبر سنة 1816 م :

« .... وفي الوقت الذي كان يعلق فيه رأس القبطان الطرابلسي في حبل سارية السفينة وأن هذا سيكون درساً لجميع البحارة الطرابلسيين ليتجنبوا مثل هذه الأعمال في المستقبل » [1] .

كذلك فقد وافق على إطلاق سراح البحارة الإنجليز الذين تم أسرهم وتعويض قائد السفينة الإنجليزية السيد هان « HAN » بمبلغ مالي يدفع على دفعات إلى القنصلية الإنجليزية بطرابلس على أن يدفع وارنجتون في الحال إلى قائد السفينة مقدم ثلاثة أشهر أي حوالي أربعمائة وواحد وثلاثين دولاراً ، وأبلغ حكومته بذلك بتاريخ 11 نوفمبر سنة 1816 م [2] .

هذا وقد أعيد العلم الإنجليزي على سارية السفينة الإنجليزية وتحت إطلاق إحدى وعشرين طلقة مدفع تحية له من مدفعية القلعة وكتب وارنجتون إلى حكومته بلندن رسالة يعرض عليها فيها ضرورة الاتصال بالحكومة

---

(1) IBID., P. 7.

(2) IBID., P. 8.

الطرابلسية ويوسف باشا بخصوص هذا الموضوع حتى لا يتكرر ذلك مستقبلاً وأوضح لها أيضاً أن الوقت مناسب للدخول في معاهدات سلام مع الدول الأوروبية الأخرى التي هي في حالة حرب مع الحكومة الطرابلسية والتعاون معها لمنع يوسف باشا إرسال السفن الحربية إلى البحر الأبيض المتوسط والقيام بنشاطات السفن الإنجليزية والمالطية وبقية السفن الأوروبية الأخرى وهذا ما ورد في رسالة وارنجتون إلى حكومته بالخصوص :

« . . . أرى أنه من المناسب الآن الدخول في معاهدات سلام مع الدول الأوروبية التي لها رغبة الدخول في إعلان الحرب ضد هذه الإيالة وإحضار سفنها إلى ميناء طرابلس ومنع الباشا من إرسال سفنه إلى البحر وقيامهم بقرصنة ضد السفن الأوروبية » [1] .

قوة وارنجتون ومركزه بين الدول :

إن هذا التخطيط الدبلوماسي الذي أتبعه وارنجتون آستطاع من خلاله الحصول على المكانة المرموقة في نظر الدول الأوروبية وقناصلها المعتمدين بالإيالة ، وعند الرعايا الأجانب المقيمين بمدينة طرابلس منذ مدة طويلة مما حدا بكثير من الدول الأوروبية أن تطلب منه تمثيلها في إيالة طرابلس الغرب والدفاع عن مصالحها ورعاياها عند الحكومة الطرابلسية ، حتى أصبح في نهاية سنة 1815 م بمثابة ممثل لكل من مملكة الصقليتين ونابولي والبرتغال وهولندا والنمسا وهانوفر وتوسكانيا وروسيا [2] .

وفي نفس الوقت كان يعتبر ممثلاً للمعهد الإفريقي بمالطا الذي يعمل

---

(1) IBID., P. 8.

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 182.

على تحرير الأسرى الأوروبيين الذين تم أسرهم على أيدي بحارة أساطيل الإيالات الإفريقية الثلاث تونس والجزائر وطرابلس ، وكان أغلب هؤلاء الأسرى من الإيطاليين والإسبانيين واليونان حيث كانوا يباعون في الأسواق الإفريقية علانية إلاَّ إذا تقدمت حكوماتهم أو أسرهم بدفع مبالغ مالية كبيرة مقابل تحريرهم من هذه الحكومات الإفريقية أو إلى البحارة الذين تمكنوا من أسرهم من على سفنهم في وسط مياه البحر الأبيض المتوسط [1] .

ورغم هذه الخطوة التي حظي بها القنصل الإنجليزي من قبل الدول الأوروبية وعند يوسف باشا فإنه فشل في بعض الأمور وخاصة فيما يتعلق بعمليات الجهاد التي يقوم بها البحارة الطرابلسيون ضد الأساطيل الأجنبية والتي تحصل من خلالها على موارد مالية كثيرة تدعم اقتصاد إيالة طرابلس الغرب ، فقد كلف وارنجتون من قبل ملك الصقليتين بالتوسط لدى يوسف باشا في عقد معاهدة صلح بين حكومته وحكومة مملكة الصقليتين ومع الحكومة النمساوية أيضاً قصد إيقاف عمليات الغزو والجهاد ضد أساطيلهم في مياه البحر الأبيض المتوسط ولكنه فشل في ذلك ولم يتمكن من فرض إرادته على يوسف باشا والحكومة الطرابلسية رغم وجود علاقات وطيدة بين الحكومتين الطرابلسية والإنجليزية والمكانة الطيبة التي يتمتع بها وارنجتون عند يوسف باشا ووزير خارجيته وأعيان الحكومة الطرابلسية السيد مراد الرايس الذي كان يجالسه دائما في المساء بحديقته ويتبادلان أطراف الحديث معاً في أغلب الأيام .

---

(1) DEARDEN, OP., CIT. P. 241.

أثر التقارب الطرابلسي الفرنسي وتدخل إنجلترا بالقوة لإيقاف الغزو في البحر الأبيض المتوسط :

وإن سقوط نابليون بونابرت وعودة أسرة البوربون إلى عرش فرنسا وإرسال قنصل فرنسي جديد إلى طرابلس في سنة 1815م . هو السيد مير Mure جعل العلاقات السياسية بين يوسف باشا والحكومة الفرنسية تعود شيئاً فشيئاً إلى حالتها الطبيعية الأولى في الوقت الذي بدأت فيه العلاقات ـ الطرابلسية الإنجليزية تبتعد شيئاً فشيئاً حتى أن قنصلها وارنجتون لم يعد له المكانة الأولى التي كان يحظى بها عند يوسف باشا .

وحينما أعلمت الحكومة الإنجليزية بهذا عن طريق قنصلها بطرابلس السيد وارنجتون قررت ضرورة تطبيق قرارات مؤتمر فيينا فيما يتعلق بأعمال الغزو البحري وأسترقاق المسيحيين وكونت أسطولاً قوياً لتحقيق ذلك ، وأسندت قيادته إلى اللورد اكسماوت « Lord Exmoutt » وأمرته بالإبحار إلى كل من الجزائر وتونس وطرابلس وكلفته في نفس الوقت بإجبار يوسف باشا على عقد صلح مع كل من دولة سردينيا ومملكة الصقليتين .

وقد وصل اللورد اكسماوت أمام الشواطىء الطرابلسية يوم 27 من إبريل سنة 1816م ، وفي اليوم التالي تمكن من مقابلة يوسف باشا وبصحبته وارنجتون ، وفرض شروطاً على يوسف وهذه بعض منها ، كما جاء في الوثيقة الموجودة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس بتاريخ 29 من إبريل سنة 1816 م [1] .

1) أن تعترف إيالة طرابلس الغرب بالحماية الإنجليزية على الجزر الإيونية وهانوفر .

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، المعاهدة الميرمة بين يوسف باشا وملك سردينيا عقب مؤتمر فيينا سنة 1815 م ، ملف الأسرة القرمانلية .

2) أن تعقد إيالة طرابلس الغرب مع كل من ملك سردينيا وملك الصقليتين معاهدة سلام لمدة عشر سنوات وتسمح بتعيين قناصل لهما في طرابلس وذلك مقابل دفع مبلغ مالي قدره أربعة آلاف قرش أسباني كهدية قنصلية عند بدء تعيين كل منهما ودفع مبلغ مماثل عند تعيين أي قنصل بعد ذلك .

3) إيقاف تجارة الأرقاء المسيحيين ومعاملة الأسرى معاملة حرب فلا يباعون ولا يشترون .

4) إطلاق سراح مائة وأربعة وأربعين أسيراً من سردينيا وجنوا دون أي تعويض وإطلاق سراح أربعمائة وثلاثة وثلاثين أسيراً من نابولي مقابل تعويض قدره خمسون ألف قرش كما تتعهد حكومة سردينيا بدفع منحة سنوية للباشا الطرابلسي كأحد شروط معاهدة السلام بين الدولتين .

وقد مثل ملك سردينيا في التوقيع على المعاهدة المبرمة بينهما بتاريخ 3 من جمادي الأولى سنة 1231 الموافق 29 من إبريل سنة 1816 م بالنيابة اللورد اكسماوت والقنصل الإنجليزي بطرابلس السيد وارنجتون .

وفي نهاية سنة 1816 م عرضت الحكومة النابولية على الحكومة الطرابلسية عن طريق وارنجتون بيع كمية كبيرة من البارود الذي يستعمل حربياً وبسعر مخفض ويكون الثمن إما دفعة واحدة أو على دفعات كمساعدة منها إلى الحكومة الطرابلسية على أثر تحسن العلاقات بين الدولتين وسمحت لوكلائها التجار المقيمين بمدينة طرابلس الغرب بحرية التفاوض والإتفاق مع الحكومة الطرابلسية لارساء الشروط المطلوبة والإتصال بوارنجتون لإنجاز الإتفاق وتوقيعه ويتضح ذلك من الرسالة التي أرسلها سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي بطرابلس بتاريخ 20 من ديسمبر سنة 1816 م والتي يقول فيها :

« . . . إن المجلس الأعلى للحرب قرر أن يبيع للخارج كمية كبيرة من

البارود وربما بسعر مخفض ويكون الدفع محدداً دفعة واحدة أو على دفعات في نابولي .

نأمل من سعادتكم إبلاغ ذلك الإعلان إلى الحكومة الطرابلسية وإحالة الطلبات التي تصل إليكم إلى الإدارة الملكية للبارود في المملكة للحصول على كميات البارود المطلوبة والإذن لوكلاء هذه الحكومة المقيمين هناك بالتفاوض وإرساء الشروط »[1] .

زيادة هيبة إنجلترا لدى حكومة طرابلس :

لقد زادت حملة اللورد اكسماوت من هيبة إنجلترا لدى حكومة الإيالة الطرابلسية ورفعت من مكانة قنصلها وارنجتون وضمنت له أسبقية على قناصل الدول الأوروبية الأخرى المعتمدين بإيالة طرابلس الغرب عند آستقبال الباشا لهم في المناسبات والأعياد الدينية فعند الدخول يتقدم القنصل الإنجليزي أولاً ثم يدخل من بعده بقية القناصل الآخرين .

وقد أثار هذا غضباً شديداً عند بقية القناصل الأوروبيين وعلى الأخص القنصل السويدي والقنصل الأمريكي فمثلاً عند آحتفال الباشا بعيد ميلاده يوم 15 من أغسطس سنة 1817 م رفض القنصل الأمريكي تحية يوسف باشا والركوع له عند آستقباله لأن القنصل الإنجليزي كانت له الأسبقية في الدخول كما ورد في رسالة وارنجتون إلى حكومته بتاريخ 20 من أغسطس سنة 1817 م :

« . . . وبمناسبة الحفل الذي دعى إليه الباشا يوم 15 من أغسطس

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بتاريخ 20 من ديسمبر سنة 1816 م ، ملف قنصلية نابولي .

حضر جميع القناصل وكالعادة فإن كل قنصل يجيء الباشا على أن تكون الأسبقية لقنصل جلالة ملك إنجلترا ثم يتوالى بقية القناصل الآخرين ومن بينهم القنصل الأمريكي الذي رفض تحية الباشا والركوع له عند استقباله » [1] .

كذلك فإن القنصل السويدي تأثر كثيراً هو أيضاً ففي اليوم الثاني عند مقابلة يوسف باشا والاجتماع به تحدث القنصل السويدي مع قناصل الدول الأوروبية الأخرى بعبارات تسيء إلى العلم الإنجليزي وواصفاً الملك الإنجليزي بأنه مجنون وأن ولي عهده مدمن في الخمر طول الوقت وهذا الاجتماع لم يحضره وارنجتون لوعكة صحية ألمت به فكانت فرصة انتهزها القنصل السويدي للإقلال من قيمة القنصل الإنجليزي وحكومته أمام يوسف باشا كما تبين هذا من نفس الرسالة المؤرخة في 20 من أغسطس سنة 1817 م إلى حكومته بلندن والتي قال فيها :

« . . . وعلمت أن القنصل السويدي تأثر هو أيضاً وأنه في اليوم الثاني للمقابلة أثناء الاجتماع قد أهان العلم الإنجليزي إهانة كبيرة وتحدث مع بقية القناصل الأجانب الآخرين ذاكراً لهم بأن الملك الإنجليزي مجنون وولي العهد له مخمور طول الوقت » [2] .

إلَّا أن القنصل الهولندي السيد « كيمبين Kempen » الصديق العزيز لوارنجتون لم يرضَ بهذه الإهانة ونقلها في الحال إلى صديقة وارنجتون الذي تأثر كثيراً كما جاء في الرسالة التي وجهها وارنجتون إلى حكومته بتاريخ 20 من أغسطس سنة 1817 م . والتي وصف فيها بالتفصيل الإهانة التي حدثت من القنصل السويدي واقترح الإتصال بالحكومة السويدية ومطالبتها بمعاقبة قنصلها بطرابلس الغرب لما صدر منه حتى يكف عن مثل

---

(1) F. O. 76 - 11. p. 86.

(2) IBID., P. 86.

هذه الأعمال في المستقبل ضد الحكومة الإنجليزية :

«. . . وقد أعلمني القنصل الهولندي المستر كيمبين بأن القنصل السويدي قد أهان العلم الإنجليزي أثناء الاجتماع مع الباشا في اليوم التالي الذي لم أكن موجوداً فيه .

إنني أرسلت صورة من الاحتجاج هذا إلى حضرتك لكي ترسل منه صورة إلى الحكومة السويدية وقد طلبت من قنصلها أن يسحب كلماته السابقة التي ذكرها ضد الشعب الإنجليزي وملكه وولي عهده ويعتذر لي في إجتماع عام أمام كل الديوان عن الإهانة التي صدرت منه » [1] .

كما تقدم وارنجتون في نفس الوقت إلى الباشا بمذكرة احتجاج شديدة اللهجة عن تصرف القنصل السويدي وما قاله في معية الباشا وذكر له بأن هذا يعتبر تدخلاً في شؤون الغير ومخالفاً لأعمال القناصل حسب اللوائح الدبلوماسية التي تربط الدول بعضها ببعض وقد ورد هذا في رسالة وارنجتون إلى حكومته والتي قال فيها :

« . . . أنا حالاً قابلت الباشا وبلغته احتجاجي حرفياً » .

والجدير بالذكر أنه بمجرد مغادرة الأسطول الإنجليزي بقيادة اللورد اكسماوت المياه الإقليمية لإيالة طرابلس الغرب أصدر يوسف باشا أوامره إلى البحارة الطرابلسيين بالاستمرار في غزواتهم البحرية ضد الأساطيل الأجنبية وتمكنوا من الاستيلاء على بعض السفن للدولة البابوية وبعض آخر من سفن دولة توسكانيا وعومل كل من على ظهر هذه السفن كأسرى حرب .

ولما كانت الحكومة الإنجليزية ذات مكانة عالية في نظر الباشا اتجهت أنظار حكومة البابا وتوسكانيا إلى القنصل الإنجليزي بطرابلس ، وطلب منه

---

(1) IBID., P. 87.

التوسط عند يوسف باشا بإطلاق سراح السفن والأسرى الذين تم أسرهم من قبل البحارة الطرابلسيين على ظهر سفن هاتين الدولتين ومحاولة عقد معاهدة صلح بين دولتيهما وبين الباشا الطرابلسي مثل معاهدة سردينيا والصقليتين مع الحكومة الطرابلسية التي تم توقيعها في 29 إبريل سنة 1816 م .

وقد استطاع القنصل الإنجليزي التوسط عند يوسف باشا ، وتمكن من عقد معاهدة صلح بين إيالة طرابلس ومملكة هانوفر ، وبين إيالة طرابلس وحكومة الباشا في 24 ديسمبر سنة 1818 م وبين إيالة طرابلس ومملكة توسكانيا ، كما جاء في الرسالة التي وجهها حاكم مالطا بتاريخ 18 يناير سنة 1819 م إلى حكومته بلندن :

« . . . في 11 يناير من نفس السنة وصل إلى جزيرة مالطا قنصل إنجلترا في طرابلس السيد وارنجتون ، ومعه آتفاقية السلام التي بين توسكانا وروما وإيالة طرابلس الغرب ، ومعه أيضاً رغبة الباشا في إحلال السلام تحت وساطة الأمير ولي العهد »[1] .

لقد تم توقيعهما بواسطة وارنجتون نيابة عن ملك توسكانيا وتحصل من هذا الملك على وسام مقابل المجهودات التي بذلها من أجل الرعايا التوسكانيين ، فآتصل وارنجتون بحكومته لأخذ الإذن منها بقبول هذا الوسام وآنتهز الفرصة فطالب بزيادة المخصصات العالية بحجة أنه يقوم بعمل إنساني عظيم بتحرير الكثير من الأسرى المسيحيين الذين يتم أسرهم من قبل بحارة الشمال الإفريقي :

استسمحكم الإذن لي بقبول الوسام المقدم من قبل ملك توسكانيا، كما أنني أتقدم إليكم بزيادة المخصصات الشهرية إلى ألف ومائتي جنيه إسترليني لأنني أقوم بعمل إنساني في سبيل تحرير الأسرى الأوروبيين »[2] .

---

(1) F. O. 76 - 13 - 33.

(2) F. O. 76 - 14. p. 23.

ومما يذكر أن مسألة أمن مياه حوض البحر الأبيض المتوسط قد عرضت في مؤتمر « اكس لاشابيل Aix La Chapelle » سنة 1818 م ، وعهدت الدول الأوروبية المجتمعة فيه إلى كل من إنجلترا وفرنسا بإبلاغ إيالات الشمال الإفريقي - تونس ، الجزائر ، طرابلس - بأن أي إعتداء على تجارة الدول الأوروبية أو سفنها بصفة عامة سوف يقابل ذلك بالقوة ، وأن الأسطولين الإنجليزي والفرنسي هما اللذان سينفذان هذا الرد بالقوة ضد السفن المهاجمة .

إستياء الباشا من كثرة تدخلات وارنجتون في الشؤون الداخلية لحكومته :

غضب يوسف باشا من تدخلات وارنجتون الكثيرة في الشؤون الداخلية لإيالته وخاصة فيما يتعلق بعلاقة طرابلس والدول الأوروبية الأخرى وأبلغ يوسف باشا هذه التدخلات إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث في رسالة مطولة(*) له بتاريخ 5 من رجب سنة 1233 هـ الموافق 10 من مايو سنة 1818 م ، عرض فيها مجموعة من القضايا نسبت إلى وارنجتون كان من بينها على سبيل المثال [1] :

إنه ذات مرة تمكن أحد البحارة الطرابلسيين من غزو سفينة صقلية صغيرة تحمل قمحاً في مياه حوض البحر الأبيض المتوسط بالقرب من الشواطىء الطرابلسية وباع البحار هذه البضاعة بمبلغ أربعمائة وخمسين ريال دولار ، وكان هذا البحار ليس لديه علم بمعاهدة الصلح المبرمة بين حكومة الإيالة والحكومة الصقلية لخروجه بسفينته قبل توقيع هذا الصلح .

وعندما تناهت أخبار هذه السفينة إلى وارنجتون طلب من الباشا إطلاق

---

(1) F. O. 76 - 12. p. 29 - 37.

(*) هذه الرسالة باللغة العربية والإنجليزية والإيطالية وتنشر لأول مرة.

سراح السفينة في الحال ودفع المبلغ المالي الذي تحصل عليه البحار ولكنه لم يكتف عند هذا الحد بل إنه بعد مدة طلب من الباشا دفع مبلغ مالي آخر هو ثلاثة عشر ألف ريال دولار بخصوص حق القمح المباح رغم أن يوسف باشا قد دفع له في السابق ثمانية آلاف دولار .

وأمام هذا فقد طلب يوسف باشا من الملك الإنجليزي إبداء النصح والإرشاد إلى وارنجتون وأن يكف يده عن التدخلات لدى حكومة إيالة طرابلس الغرب في المستقبل ويتضح ذلك من ختام الرسالة التي تقول :

« . . . وها نحن بينا لكم جميع الأحوال تفصيلاً لا إجمالاً ويتبين لكم أمرنا وصفاء محبتنا ومن جملة مودتنا فيكم أنها لما وقعت عندكم القيرة بقينا نبعتوا لمالطة فيما يلزمهم من المصالح وخصوصاً أمر اللحم والمأكول وهذا كله يشهد به قنصلكم المقيم عندنا لأنه على يديه وبمرأى عينيه وليس عندنا زيادة ولا تقصير ولم نزل على هذا المنوال، في كل الأحوال والمحبة بيننا تجدد وتزيد في كل يوم جديد لا نحول عن هذا الحال ما دامت الأيام والليال تكون المودة ناشئة بيننا مدة مائة وعشرين سنة ونحن وارثينها من الآباء والأجداد من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ثم المطلوب من همتكم السامية وكلمتكم الماضية أن تعرفونا بجواب وتبينوا لنا جميع ما شرحنا لكم في هذا الكتاب وتوصوا قنصلكم وتنهوه عما صدر منه بأن يكف يده عنا في المستقبل ونحن بيننا لكم ما في ضمائرنا وأعلمناكم بما آنطوت عليه سرايرنا والأمر مفوض إليكم فيما ترونه من الصلاح والسداد »[1] .

---

(1) IBID., P. 29.

تزايد أهمية الإيالة لدى إنجلترا وتحسن العلاقات بين البلدين :

شعرت إنجلترا بأهمية إيالة طرابلس الغرب ومكانها المرموق وسط الشمال الإفريقي وقربها من أواسط إفريقيا وإمكانية جعلها نقطة إنطلاق للرحالة الإنجليز في رحلاتهم الكشفية إلى أواسط إفريقيا والسودان الغربي مما جعل الحكومة الإنجليزية تحرص على سلامة سير العلاقات الجيدة مع الحكومة الطرابلسية وجعلت وارنجتون يعدل عن تدخلاته السابقة في الشؤون الداخلية لصالح الدول الأوروبية الأخرى محاولاً التقرب من يوسف باشا والحكومة الطرابلسية مع تنفيذ رغباتهما .

وفي هذا الشأن طلب وارنجتون من الحاكم الإنجليزي لجزيرة مالطا إصلاح إحدى السفن الطرابلسية المعطلة بإحدى ترسانات موانيء جزيرة مالطا والتي تقع تحت إشراف الأسطول الإنجليزي ، ويتضح هذا من رسالة الأدميرال تشارلز إلى مكتب المستعمرات الإنجليزي المؤرخة في 23 مارس سنة 1819 م يقترح فيها الإذن له بإصلاح السفينة الطرابلسية بناء على الطلب المقدم له من القنصل الإنجليزي بإيالة طرابلس الغرب [1] .

هذا وقد توصل وارنجتون من خلال لقاءاته بيوسف باشا إلى إبرام معاهدة سلمية بين الدولتين ووافق يوسف باشا على طلبه زيادة عدد الموظفين الإنجليز بالقنصلية الإنجليزية وتم بعد ذلك تعيين السيد وود Wood كمساعد للقنصل بمدينة بنغازي كما تبين من رسالة وارنجتون إلى وزير الخارجية الإنجليزي بتاريخ 20 من إبريل سنة 1821 م والتي يقول فيها :

« . . . . أعلمكم بأنه قد تم لي الاجتماع مع الباشا مرتين ومن خلال هذين الاجتماعين تم إبرام إتفاقية سلم بين الدولتين كذلك فإنه من خلالها تمكنت من الحصول على موافقة الباشا زيادة عدد موظفي القنصلية » [2] .

---

(1) F. O. 76 - 15. p. 90.

(2) F. O. 76 - 15. p. 96.

كما وافق يوسف باشا على طلب وارنجتون بإطلاق سراح تسعة أشخاص من البحارة الإيطاليين تم أسرهم من قبل البحارة الطرابلسيين ووافق أيضاً وفي نفس الوقت على الطلب المقدم من وارنجتون للقيام بزيارة إلى المدن الأثرية بمدينة بنغازي وإحضار بعض المقتنيات الأثرية منها وإرسالها إلى وزير الخارجية الإنجليزي بلندن ويتضح ذلك من رسالة وارجنتون بتاريخ 2 من نوفمبر سنة 1821 :

« . . . أطلب منكم السماح لي بالتوجه إلى منطقة برقة والتي تكلف الرحلة إليها مائتين وخمسون دولاراً لإحضار بعض المقتنيات الأثرية وإن ثمنها يتكلف أكثر من تكاليف الرحلة وإنني سأقوم بإرسال البعض منها ذات القيمة إلى حضرتكم »[1] .

وهكذا نرى حرص يوسف باشا على أستمرار وتوطيد العلاقة بينه وبين الحكومة الإنجليزية ولا أدل على ذلك من تعيينه لصهره حسونة الدغيسي سفيراً لإيالة طرابلس الغرب لدى الحكومة الإنجليزية ونراه يطلب من وارنجتون مخاطبة اللورد باتروست وزير الخارجية والمستعمرات الإنجليزية تكليف سفينة إنجليزية تابعة للأسطول الإنجليزي بالبحر الأبيض المتوسط الاتجاه إلى ميناء طرابلس البحري لنقل السيد حسونة إلى إنجلترا ليباشر عمله المنوط به بلندن ، كما ورد في رسالة وارنجتون إلى وزير الخارجية الإنجليزية بتاريخ 25 من أكتوبر سنة 1821م والتي قال فيها :

« . . . إن صاحب المعالي الباشا الطرابلسي طلب مني أن أكتب لسيادتكم على لسانه تقديم معروف خاص وهو مساعدة قريبة حسونة الدغيسي للسفر إلى لندن على ظهر سفينة إنجليزية لتأدية واجبه المكلف به من قبل الباشا »[2] .

---

(1) IBID., P. 97.   (2) IBID., P. 55.

وعندما علم يوسف باشا بوفاة ملك إنجلترا جورج الثالث وتنصيب آبنه جورج الرابع من بعده كلف سفيره بلندن السيد حسونة الدغيسي تقديم التهاني إلى الملك الجديد وأرسل معه خطاباً بالخصوص بتاريخ 3 صفر سنة 1237 هـ الموافق 16 من نوفمبر سنة 1821 م ، أبلغه فيها بأنه قد سعد كثيراً لتوليه مقاليد العرش ببلاده بعد وفاة والده جورج الثالث ، كما أكد له بأنه على المحبة القديمة من الآباء والأجداد سائر وأن العلاقات بين البلدين لا يمكن أن تتبدل أو تتغير مهما تباعدنا خاصة وأنه كان يحرص دائماً على حفظها وزيادتها يوماً بعد يوم حتى أصبح الرعايا الإنجليز بإيالة طرابلس الغرب يتفوقون على الأجناس الأخرى حيث صار لهم مطلق الأسبقية في المزايا التي كان يتمتع بها الرعايا الأجانب . وهذا جزء من الرسالة :

« . . . . إن السبب الداعي لتسطير هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب هو إعلامكم بما نحن عليه من المحبة القديمة السابقة والمودة الأكيدة الصادقة التي لا تتغير بمداولة الأزمنة ولا تتبدل بمباعدة الأمكنة ونود أن لا تمر ساعة فلكية أو برهة زمنية إلَّا عن مكاتبات تتردد ومراسلات تتجدد . . . . . وتأكد بيننا وبينكم شروط المودة ولم يزل ذلك ينمو ويزيد في كل يوم جديد حتى أنه شاع عند جميع الناس أنه لا يماثلكم عندنا جنس من الأجناس » [1] .

كما طلب يوسف باشا من الملك الإنجليزي جورج الرابع تقديم كافة المساعدات والإمكانيات إلى صهره وسفيره حسونة الدغيسي وآستقباله آستقبالاً حسناً لأنه من أعز الأقارب إليه وقد فوضه في تقديم التهاني بالخصوص والتحدث نيابة عنه في كل الأمور بين البلدين كما نرى في الرسالة التالية :

---

(1) F. O. 76 - 16. p. 473.

«. . . . ولما أن كان الأمر كذلك تعين علينا إرسال هذه التهنئة على في باشا دورنا(*) الذي هنالك لينوب عنا في تهنيئتكم ويتكلم على لساننا معكم وهو الأجل الأرض الأكمل الأحض الأديب الأريب البطل اللبيب ولدنا وصهرنا سي حسونة الدغيسي بن المحترم والمبجل المهذب المكمل أقرب ما لدينا من العمال وعين الخواص، عندنا من الرجال وزيرنا سي محمد الدغيس نوبناه عنا في تبليغ هذا الغرض لأنه عندنا من أوكر المفترض فالمرغوب منكم الظن الجميل فيكم بأن تباشروا به عند الملة وتعاملوه بأنواع التبجيل والميزات وأن تكونوا منه ببال ونظركم السديد شامل له في كل الأحوال» [1] .

وفي ختام الرسالة أوضح يوسف باشا بأن حكومته آعتادت أن تقدم كافة المساعدات الممكنة للرحالة الإنجليز أمثال الرحالة كلابرتون وريتش وكل ذلك من أجل المحبة القديمة منذ عهد الآباء والأجداد وأنه مستعد لتقديم كافة المساعدات ولديه الرغبة القوية في زيادة التبادل التجاري بين البلدين وأنه كلف بالخصوص صهره وسفيره حسونة الدغيس للنظر في جميع البضائع الموجودة ببلاد الإنجليز ويخبر بها التجار الطرابلسيين ليتوجهوا إلى هناك وآحضارها إلى أسواق إيالة طرابلس الغرب وذلك فيما يلي :

«. . . كما أننا جميع من يرد علينا من جنابكم نحترموه ونراعوه ونبجلوه ونفخموه خصوصاً أناسكم الواردين من جنابكم وهم العقلاء الأدباء الفطناء الأذكياء من فهمهم ثاقب ورأيهم صايب كلابرثون المتوجه لبورنو وريتش ومن معه المتوجهين لبلدان عمالتنا بني غازي ودرنة في البر فإننا عاملناهم بالمبرة والقبول وأصفينا لهم عند المثول وشملهم نظرنا في كلية الأحوال ولم نقصر في شيء بحبهم على البال كل ذلك محافظة على المحبة

(*) باشا دورنا : سفيرنا بلندن .

(1) IBID., P. 473.

الكانية من الأوايل . . . . وقد أمرنا الباشا دور صهرنا المذكور أن ينظر جميع البضائع بعمالتكم التي تباع عندنا و. . . لناحيتكم ويكون من جميع ذلك على بصيرة لأجل أن يتوجهوا لطرفكم التجار ويكثر التسبب بين. . . . هو ما تعرض لكم من حاجة في جنابنا عرفونا بها تقضي في الحين »[1] .

وفي 5 من رجب سنة 1237 هـ الموافق 28 من مارس سنة 1822 م كتب يوسف باشا رسالة إلى وزير الخارجية الإنجليزية « اللورد باترست Lord Bathurst » أخبره فيها بأنه قد أرسل في السابق رسالتين إلى ملك المملكة الإنجليزية بتاريخ 5 من صفر سنة 1237 هـ الموافق 18 من نوفمبر سنة 1821 م احداهما عن طريق وارنجتون والثانية مع سفيره حسونة الدغيسي الذي تم تعيينه في المدة الأخيرة سفيراً لإيالة طرابلس الغرب لدى الحكومة الإنجليزية بلندن وعند وصوله إلى هناك أبلغ الباشا بأن الرسالة المرسلة معه إلى الملك الإنجليزي قد تم تسليمها إليه .

أما الرسالة التي أرسلت مع وارنجتون إلى الملك الإنجليزي فلم يتم تسليمها إليه ولم تصل حتى إلى لندن ويتعجب يوسف باشا من مثل تلك التصرفات من طرف وارنجتون وذكر أنه لم يعرف حتى ذلك الوقت الأسباب التي تجعله يمتنع عن توصيل الرسائل الموجهة من طرفه إلى الحكومة الإنجليزية رغم أنه يقدم إليه كافة المساعدات والطلبات التي يمكن إنجازها وتقديمها من ناحية إلى الرعايا الإنجليز وإلى الرحالة الإنجليز بصفة عامة الذين يتم إرسالهم من قبل الحكومة الإنجليزية :

« . . . . صاحب الفعل السديد والنظر البعيد محب جنابنا المبجل من أحبابنا لورد باتروست الصيفر تاريو امتاع الكولتي بعد التبجيل والإكرام ومزيد التحية والإكرام إننا على محبتكم الصافية ومودتكم الوافية وكذا السابق كتبنا

---

(1) IBID., P. 473.

جوابين لكبير الجماهير الإفرنجية. ورايس المملكة الإنجليزية محبنا رأي الإنجليز مؤرخين في خمسة أيام في شهر صفر سنة التاريخ وأرسلناهم له واحد على يد القنصل برنقطون والثاني على يد المحترم المبجل المهذب المكمل صهرنا سي حسونة الغيسي لكونه نصبناه باشا دور بناحيتكم يقف في مصالحنا الواردة عليه من جانبنا والآن وقت الكتب ورد علينا جواب من الباشا دور المذكور وعرفنا فيه بأن الجواب المرسول لراي الإنجليز على يديه بلغه إليكم وذكر بأنه سمع منكم أن الجواب الذي بعثناه على يد برنقطون للراي لم يصل إليه ولا عرفنا ما المانع له . . . كما أننا لم يقع منا تقصير مع جميع ناسكم الواردين علينا من جنابكم» [1] .

وفي ختام الرسالة طلب يوسف من وزير الخارجية الإنجليزية معاملة الطرابلسيين بمثل المعاملة التي يتلقاها الرعايا الإنجليز من طرف الحكومة الطرابلسية وذكر أن المعاملة الطيبة من طرف الحكومة الإنجليزية لسفيره وصهره سوف تزيد من توطيد العلاقة الطيبة بين البلدين في المجالين السياسي والإقتصادي :

«. . . . ونطلب منكم أن تكونوا ناسجين على هذا المنوال ويكون عقد المحبة بين الجميع دايم الاتصال وتحترموا صهرنا المذكور لكونه من أعز عمالنا وأقرب الخدام عندنا ووالده محمد الدغيسي أخص الخواص عندنا ولم يماثله عندنا أحد من العمال الملازمين لنا فلما بيننا من المحبة إنكم تعاملونه بما يليق به من التعظيم والتفخيم » [2] .

وبتعيين سفير طرابلس جعل الاتصال بالحكومة الإنجليزية لم يعد حكراً على وارنجتون وحده وربما هذا يزعزع موقف وارنجتون بعض الشيء

---

(1) IBID., P. 478.

(2) IBID., P. 478.

ويغير من تصرفاته بصورة تجعله أكثر ثقة لدى الباشا.

ولقد بدأ وارنجتون يتقرب إلى يوسف باشا أكثر من ذي قبل وأخذ يستجيب للطلبات المقدمة إليه من قبل يوسف وأعضاء الحكومة الطرابلسية ويحاول إقناع حكومته بتنفيذ هذه الطلبات على وجه السرعة وبقدر الإمكان ويتبين هذا من رسالته التي وجهها إلى حكومته بتاريخ 7 من يناير سنة 1824 م والتي أوصى فيها بإجابة طلب الباشا الطرابلسي للحصول على بندقية دقيقة الصنع من صناعة إنجلترا لاستعماله الخاص وطلب من حكومته الاستعجال في إرسالها وأبلغ أن ذلك سيزيد من مكانته عند الباشا الطرابلسي ويكون للحكومة الإنجليزية الأسبقية في جميع الامتيازات التي تمنح للرعايا الأجانب في إيالة طرابلس الغرب :

«. . . . لقد أصبح لي مكانة مرموقة ونفوذ لدى الباشا وأعضاء ديوان الحكومة الطرابلسية أكثر من ذي قبل كما أطلب منكم إرسال بندقية مصنوعة في إنجلترا لاستعمال الباشا الخاص وإن إرسال هذه البندقية بوجه السرعة سيزيد من نفوذي عند الحكومة الطرابلسية» (1).

وهكذا فقد توطدت علاقة وارنجتون مع الأسرة القرمانلية الحاكمة بإيالة طرابلس الغرب فإنه كثيراً ما كان يستضيف الباشا وأبناءه في بيته، ويقيم لهم الحفلات بين الحين والآخر.

ومن ذلك ما حدث ليلة الأحد 12 من جمادي الثاني سنة 1240 هـ الموافق لشهر يناير سنة 1852 م، فقد أقام وارنجتون حفلة عشاء لعثمان باي بن يوسف باشا ومعه الحاج محمد بيت المال وابن شيخ البلد وبعض الحراس الذين يحرسون عثمان باي.

كما أقام في الليلة الثانية مباشرة حفلة عشاء أخرى على شرف الباشا نفسه، وكان برفقته الكثير من الحراس واستمرت الحفلة التي أعقبت وجبة

---

(1) F. O. 76 - 18. P. 3 - 4.

العشاء إلى ساعة متأخرة من الليل، والباشا يتبادل أثناءها عبارات المودة مع وارنجتون[1] .

وحرصاً من وارنجتون على عدم تعكير صفو العلاقة الطيبة بين البلدين إنجلترا وطرابلس ، فقد رفض طلباً تقدم به أحد الرعايا الإنجليز وهو التوسط لدى يوسف باشا بالإذن بالبقاء له بمدينة طرابلس وعدم مغادرتها بناء على طلب الحكومة الطرابلسية ، إلاَّ أن وارنجتون رفض هذا الطلب لأنه لا يرغب التدخل في الشؤون والإجراءات الداخلية للباشا وأن وزارة خارجيته قد أبلغته بالكف والتوقف عن مثل هذه التدخلات وأوضح وارنجتون أنه لا يمكنه العمل إلاَّ بعد موافقة من وزارة الخارجية الإنجليزية وذلك كما ورد في رسالته إلى حكومته بتاريخ 4 من أغسطس سنة 1825 م :

« . . . . استلمت طلبكم والإجابة الوحيدة التي ممكن إعطاؤها لكم بناء على عزم وتصميم الباشا على مغادرتكم . آمركم بالاستعداد للمغادرة حيث أنه تحت الظروف الحالية لا أستطيع أن أتخذ أي قرار يكون في صالحكم إلاَّ في حالة وجود أمر من الوزارة في إنجلترا »[2]

كما رفض وارنجتون أيضاً التدخل في حالة أي سوء تفاهم قد يقع بين الحكومة الطرابلسية والدول الأوروبية الأخرى ، فعندما طلب منه القنصل السرديني التدخل والتوسط لصالح الرعايا التجار السردينيين وإعفائهم من الضرائب الجمركية المفروضة على بضائعهم من قبل الحكومة الطرابلسية ، رفض وارنجتون هذا الطلب معللاً ذلك أنه لا يستطيع في غيبة الأوامر من حكومته الإنجليزية بلندن . بل أشار على القنصل السرديني الابتعاد عن أي إجراءات متطرفة لأنها ليست مضمونة النجاح وإن أي فشل لسياسة الحكومة

---

(1) حسن الفقيه الحسن ، اليوميات الليبية 1551 — 1832 ، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر ، طرابلس ـ ليبيا ، الجزء الأول ، (تحت الطبع) رقم اليومية 425 ، 427.

(2) F. O. 76 - 19. P. 215.

السردينية ضد إيالة طرابلس ستؤدي إلى مزيد من الضغط الطرابلسي على الحكومة السردينية ، ونصح وارنجتون قنصل سردينيا بمراعاة تقديم الاحتجاجات الرسمية الدبلوماسية المعترف بها لدى الحكومة الطرابلسية ، وإن آتباعه لهذا الأسلوب سوف يجنبه المساس بشرف علمهم وحماية رعاياهم السردينيين المقيمين بمدينة طرابلس وضواحيها ، ويتبين ذلك من رسالة وارنجتون إلى وزير الخارجية لمملكة سردينيا بتاريخ 10 من سبتمبر سنة 1816 م :

« . . . غير أنني أرى أن اللجوء إلى إجراءات متطرفة ليست مضمونة النجاح وتعد سياسة خرقاء إذ أن فشلها من شأنه دوماً أن يؤدي إلى جعل القوة البربرية أكثر عدواناً ، وإنني أنصح بأن تقدموا آحتجاجكم على خرق المعاهدة وتقترحوا نفس الإجراء على حكومتكم ، وبمثل هذا الأسلوب تتجنبون المساس بشرف علمكم ، في الوقت التي لا تتورطون فيه في المسؤولية »[1] .

وقد أوضح وارنجتون إلى القنصل السرديني السيد نيجري Negri » إن الرعايا الإنجليز لإيالة طرابلس لا يدفعون ضرائب جمركية على مادة الخمور التي يستهلكونها إذا لم يكونوا مبالغين في هذا الاستهلاك لأن المعاهدة المبرمة بين حكومة طرابلس الغرب والحكومة الإنجليزية تمنح الرعايا الإنجليز التمتع بميزات الأمم التي تنال معاملة خاصة من طرف الحكومة الطرابلسية ، وحيث أن رعايا الأمم الأخرى كانوا يتمتعون بهذه الميزة فمن حقهم في ذلك الوقت التمتع بها حسب ما نصت عليه الاتفاقية المبرمة بين البلدين ، كما جاء في رسالة وارنجتون إلى القنصل السرديني بتاريخ 8 من أغسطس سنة 1826م :

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة وارنجتون إلى وزير خارجية سردينيا ، ملف القنصلية السردينية .

«. . . . إن الرعايا الإنجليز لا يدفعون ضرائب على الخمور التي يستهلكونها شريطة إلَّا يكون آستهلاكهم مبالغاً فيه وإن المعاهدة التي تربط دولته بحكومة طرابلس لا تنص على الاستهلاك ، ولكن حيث أن رعايا الأمم الأخرى يستمتعون بهذه المزية فإن قنصل إنجلترا يطالب بها مستنداً إلى المادة التي تنص على أن لدولته حق الاستمتاع بمزايا الأمم التي تنال معاملة خاصة » [1] .

وقد تعهد وارنجتون بأنه سوف يتقدم بطلب إلى يوسف باشا لمنح الرعايا السردينيين بالإيالة بنفس الميزة التي يتمتع بها الرعايا الإنجليز في هذا الخصوص ، ولكنه طلب إليه أن يكون ذلك سراً وألَّا يبوح به إلى بقية القناصل الأوروبيين الآخرين ، فقد يرفض يوسف باشا هذا الطلب الذي من حقه نظراً لعدم وجود نص صريح وقاطع يمكن الاستناد إليه ، يخول السردينيين هذا الحق لدى الحكومة الطرابلسية ، وأبلغ وارنجتون القنصل السرديني لذلك في نفس الرسالة المؤرخة في 8 أغسطس سنة 1826 م . ونقتطف منها هذه الفقرة :

«. . . . ويطلب إبقاء هذه المعلومات سراً لأنه في حالة ما إذا رفض الباشا منح السردينيين هذه الميزة فإنه لن يكون من السهل اللجوء إلى نص قاطع يمكن الاستناد عليه للمطالبة بها كحق من الحقوق » [2] .

تطور الأحداث بين سردينيا وطرابلس وتهدئتها بواسطة وارنجتون :

غير أنه لما تطورت الأحداث بين حكومة طرابلس الغرب والحكومة السردينية بسبب رفض سردينيا دفع مبلغ مالي أثناء آستدعائها لقنصلها

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، رسالة وارنجتون إلى صديقه القنصل السرديني بتاريخ 8 من أغسطس سنة 1826 م ، ملف القنصلية السردينية .

(2) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، نفس المصدر .

وإحلال قنصل آخر محله فقد أغضب ذلك يوسف باشا لأنه مخالف لما هو متفق عليه حسب الإتفاقية المبرمة بين البلدين بتاريخ 29 إبريل سنة 1816 .

وعلى أثر ذلك أنذر يوسف باشا القنصل السرديني الجديد بإنزال علم بلاده من دار القنصلية السردينية إلى أن يتم الدفع المالي حسب الإتفاق المبرم بين البلدين [1] .

ولكن الحكومة السردينية رفضت هذا الطلب وأعتبرت ذلك بمثابة إعلان للحرب عليها وجهزت أسطولاً بحرياً وأمرته بالتوجه إلى شواطىء مدينة طرابلس وتهديد حاكمها وأهلها .

ووصل الأسطول السرديني ميناء طرابلس يوم 25 من سبتمبر سنة 1825 م ونزل منه سيفوري قائد الأسطول ، وتباحث مع ممثل الحكومة الطرابلسية الحاج محمد شلبي بيت المال بدار القنصلية الإنجليزية وتحت إشراف وارنجتون إلاَّ أنهما لم يتوصلا إلى إتفاق مما أدى إلى رجوع سيفوري إلى أسطوله وأمر بقذف السفن الطرابلسية الموجودة في الميناء الطرابلسي ، كما نزل بعضاً من بحارته تحت جنح الظلام وأشعلوا النيران في سفينة طرابلسية حربية ومدمرة كانتا راسيتين بالقرب من القلعة .

وهذا الأمر أثار غضباً شديداً عند يوسف باشا ، فبادر بطلب التدخل والتوسط من القنصل الإنجليزي للوصول إلى إتفاق ودي بين البلدين .

وقد آستطاع وارنجتون فعلاً أن يوفق بينهما وعاد الأسطول السرديني إلى سواحل بلاده ، كما عاد القنصل السرديني الأول السيد بارودي إلى إستلام عمله مرة ثانية بمدينة طرابلس، وحصل يوسف باشا مقدماً على

---

(1) عمرو علي بن إسماعيل ، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ، ص 132.

الهدية الخاصة بالقنصل السرديني الجديد الذي تقرر إرساله بعد ستة أشهر لأن الملك السرديني كان قد أصدر مرسوماً بتاريخ 7 من نوفمبر سنة 1825 م بتعيين السيد باولو نجري قنصلاً عاماً لمملكة سردينيا بإيالة طرابلس الغرب [1] .

الخلاصة :

يستخلص من هذا الفصل أن العلاقات الطرابلسية الإنجليزية قد دخلت مرحلة جديدة بتعيين وارنجتون قنصلاً إنجليزياً بطرابلس ، فقد آستطاع هذا القنصل منذ وصوله إلى مدينة طرابلس أن يفوز برضا الباشا وأعضاء حكومته ورئيس بحريته السيد مراد الرايس الذي هو من أصل إنجليزي .

وبهذه الثقة التي نالها وارنجتون من الباشا اكتسبت قوة ، وأصبح له وضعاً متميزاً لدى ممثلي الدول الأوروبية الأخرى في طرابلس ، وحاز على ثقتهم حتى أصبح في نهاية سنة 1815 م بمثابة ممثل لكل من مملكة الصقليتين وسردينيا والبرتغال وهولندا والنمسا وهانوفر وتوسكانيا وروسيا ، وينوب عن المعهد الإفريقي الذي أنشىء بمالطا لتحرير الأسرى الأوروبيين الذين يقعون في أيدي بحارة أساطيل إيالات الشمال الإفريقي ـ تونس ، والجزائر ، طرابلس .

كما آستطاع وارنجتون تقريب العلاقات بين إيالة طرابلس الغرب والدول الأوروبية وخاصة الممالك الإيطالية ، فقد أبرم نيابة عن ملك سردينيا ونابولي معاهدة سلام بينهما وبين حكومة طرابلس الغرب في 29 من إبريل سنة 1816 م ، وبين مملكة البابا وطرابلس في 24 من ديسمبر 1818 م ،

---

(1) عمرو علي بن إسماعيل ، نفس المصدر ، الوثيقة رقم 19 ، ص 424.

وكذلك بين مملكة هانوفر وطرابلس في نفس السنة ، وبين مملكة توسكانا وطرابلس في سنة 1821 م ، وبذلك فقد زادت هيبة إنجلترا لدى حكومة طرابلس ، فقد أمكن قنصلها أن يتوسط أيضاً لتهدئة الموقف بين سردينيا وطرابلس عقب الأحداث التي وقعت مؤخراً .

ونتيجة لتزايد ضعف يوسف باشا في مواجهة قوة إنجلترا ، فقد آستغلت المواقف الدولية لفرض شروط أخرى على حكومة طرابلس ، وآكتفت بالمحافظة على الحد الأدنى من العلاقات الودية بين البلدين .

وفي الفترة الأخيرة كان وارنجتون لا يكف عن التدخل في الشؤون الداخلية ويتوسط حتى في الصفقات التجارية ، وهذا الأمر كان يضايق يوسف باشا .

ولكن شعور إنجلترا بأهمية موقع إيالة طرابلس وسط إيالات الشمال الإفريقي ، وقربها من أواسط إفريقيا مما يجعلها نقطة إنطلاق للرحالة الإنجليز في عملياتهم الكشفية إلى وسط إفريقيا كل ذلك دفع إنجلترا إلى توطيد علاقاتها مع الحكومة الطرابلسية .

وعلى أثر ذلك فقد بادر وارنجتون بالكف عن تدخلاته السابقة وحاول التقرب بشتى الوسائل إلى الباشا وأعيان حكومته .

وتبع ذلك تعيين الباشا لصهره حسونة الدغيس سفيراً له في لندن ، وأعرب الباشا عن رغبته الأكيدة في آستمرار علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين ، وأبدى آستعداده لتقديم كافة المساعدات الممكنة للرحالة الإنجليز الذين يفدون على بلاده .

الفصل الرابع

البعثات الكشفية الانجليزية
وأثرها على العلاقات الطرابلسية الانجليزية

(1830 — 1818)

- اهتمام الجمعية الإفريقية اللندنية بالمجال الكشفي .
- مهمة القبطان سميث في طرابلس .
- بعثة جوزيف ريتشي وجورج ليون .
- بعثة والتر أودني وكلابرتون وديكسون .
- بعثة لانج وأثرها على العلاقات بين البلدين .
- البدء في التحقيق مع حسونة الدغيس وأخيه بخصوص وثائق لانج .
- الإتفاقية الطرابلسية الفرنسية وأثرها على العلاقات الطرابلسية الإنجليزية .

وكذلك بين مملكة هانوفر وطرابلس في نفس السنة ، وبين مملكة توسكانيا وطرابلس في سنة 1821م ، وبذلك فقد زادت هيبة إنجلترا لدى حكومة طرابلس ، فقد أمكن [illegible] تهدئة الموقف بين [illegible] وطرابلس عقب الأحداث التي وقعت [illegible]

[illegible] قوة إنجلترا [illegible] طرابلس [illegible] وأكدت بالمحافظة على [illegible] الودية بين البلدين

[illegible] لا [illegible] التدخل في الشؤون الداخلية [illegible]

[illegible] الإنجليز [illegible]

وعلى أثر ذلك فقد بادر وارينجتون بالكشف عن تدخلاته السابقة [illegible] التقرب [illegible] الوصول إلى الباشا [illegible]

وتبع ذلك تعيين الباشا لصهره حسونة الدغيس سفيراً له في لندن ، وأعرب الباشا عن رغبته الأكيدة في استمرار علاقات الصداقة والمودة بين البلدين ، وأبدى استعداده لتقديم كافة المساعدات الممكنة للرحالة الإنجليز الذين يفدون على بلاده .

آتجهت أنظار الحكومة الإنجليزية في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى القارة الإفريقية ، حيث نالت النصيب الأكبر في عمليات الكشف الجغرافي [1] .

ولقد كانت المعلومات في السابق قاصرة على المناطق الساحلية القريبة من الموانىء والتي يمكن للسفن الإنجليزية الرسو فيها ، والتعامل مع سكانها تجارياً ، ولكنهم لم يجدوا عندهم المعرفة والمعلومات الكافية عن أسرار وطبيعة القارة الداخلية ، لأنه لم يتمكن أبناؤها من دراستها دراسة علمية على عكس ما كان متوفراً لدى الأوروبيين الآخرين خلال تلك الفترة .

وقد كان توغل الأوروبيين داخل القارة يتم تحت ستار ، إنقاذ القارة من الجهل والظلام ، وعلى حد تعبيرهم خدمة الإنسانية ، والواقع أنهم كانوا يعملون لصالح أنفسهم ، ويستغلون خيرات ومقدرات هذه القارة لهم ولأبنائهم .

---

(1) الجامعة الليبية ، ليبيا في التاريخ ، ص 314.

ولقد بدأت عمليات الكشف في البداية بمجهودات فردية ، وكانت تعتري هؤلاء الأفراد المغامرين والتواقين إلى الإطلاع والمعرفة أمراض معدية وخطيرة تنتهي بهم إلى الموت في أغلب الأحيان .

ثم تطورت الإستكشافات في هذه الفترة التي ندرسها نظراً لزيادة آهتمام الدول بالقارة الإفريقية لأسباب آقتصادية ولأطماع آمبريالية ، ولمحاولة كسب مكانة دولية ، فأصبحت تأخذ طابعاً جديداً آتسم بتبني الدولة لها وحمايتها وتقديم العون لها .

إن الأفراد الذين يقومون برحلات آستكشافية تقف الصحراء أمامهم عائقاً كبيراً لا يمكنهم التغلب عليه كما أنهم لا يستطيعون تأجير مرشدين من نفس تلك المناطق لكي يرشدوهم إلى منابع المياه ويدلوهم على أقصر الطرق بسبب قلة المال اللازم لدفعه لهـؤلاء المرشدين الذين لهم معرفة واسعة في مجاهل الصحراء أمثال المشائخ وزعماء القبائل الإفريقية .

وقد بدأت الدول الأوروبية تركز جهودها وآهتمامها بعمليات البحث الجغرافي داخل القارة الإفريقية وبصفة خاصة تلك المناطق التي لم تصلها أيد بشرية ، وأعطتها دراسة علمية جيدة، فشجعت الحكومات الأوروبية ومعها الإنجليزية على إنشاء الجمعيات ، وعلى الأخص الجمعيات الجغرافية على أن تكون هذه الجمعيات تحت إشراف الحكومة ، وتتمتع بمساعدة الدولة ودعمها المالي الكبير .

جهود الجمعية الجغرافية الإفريقية اللندنية :

آهتمت إنجلترا بالمجال الكشفي ، فتأسست بها جمعية جغرافية إفريقية سنة 1788 م ، وآقتنع مؤسسو هذه الجمعية بأن البحث الداخلي لقارة إفريقيا يجب أن ينطلق من الشمال الإفريقي وخاصة منطقة أراضي إيالة

طرابلس الغرب[1] .

هذا وقد جعلت من ميناء طرابلس منطلقاً أساسياً لبدء الرحلات الكشفية لأواسط إفريقيا لاعتمادهم الأساسي على التعاون القديم المرتبط بين طرابلس والبلدان الداخلية للقارة الإفريقية ولسهولة الإتصال بهذه المدينة من قبل السفن والتجار الأوروبيين طول السنة مما يساعد على آنتقال التجارة والوصول بأسرع وقت ممكن إلى المدن الداخلية لهذه القارة [2] .

كما أن طرابلس قد عرفت في وقت مبكر من القرن الثامن عشر الميلادي بآعتبارها أقرب البوابات المؤدية إلى أواسط إفريقيا ، فقد قدم إليها الكثيرون من الرحالة الأوروبيين بصفة عامة متخذين من أراضيها ممراً إلى داخل القارة الإفريقية .

وقد شهدت إيالة طرابلس منذ بداية القرن التاسع عشر صراعاً وتنافساً دوليين من جانب فرنسا وإنجلترا للفوز بآمتيازات معينة من قبل حكام هذه الإيالة ، وللحصول على الأسبقية في عمليات الكشف لمناطق هذه القارة .

ولقد آتجهت الجمعية الإفريقية اللندنية منذ أن تأسست إلى تكريس جهودها المتواصلة في آرتياد أراضي واسعة في داخل القارة الإفريقية متحدية كل الظروف الصحراوية الصعبة ، ففي عام 1796 م تقدم لها شاب ألماني يدعى « هورنمان Horneman » تحدوه رغبة قوية في القيام برحلة جغرافية كشفية داخل القارة الإفريقية ، ولكن تعوزه الناحية المادية في تحقيق هذه الرغبة ، فقبلت طلبه ووافقت على آتجاهه إلى منطقة إفريقيا الداخلية ماراً

---

(1) اتيليو موري ، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الإحتلال الإيطالي ، تعريب خليفة محمد التليسي دار الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى 1971 م ، ص 10.

(2) DEARDEN. OP. CIT., P. 245.

عبر أراضي إيالة طرابلس ، وتمكن من القيام بزيارة إلى منطقة فزان في سنة 1799 م ، ونجح في القيام بدراسة آنتروبولوجية لقبائل التبو والطوارق ، ثم آنطلق منها إلى مدينة « بوكاني Bokani » القريبة من النيجر وتوفى بها [1] .

مهمة القبطان[*] سميث لدى باشا طرابلس :

توقف هذا النوع من الرحلات لفترة قصيرة إلى أن حانت الفرصة من جديد للسيد « سميث Smith » أحد قباطنة قادة الأسطول الإنجليزي بالبحر الأبيض المتوسط ، والذي كلف بتنفيذ قرارات مؤتمر فيينا الخاص بمنع تجارة الرقيق والتي كانت آنجلترا إحدى الدول التي أنيط بها مهمة تنفيذه .

آنتهز القبطان سميث هذه الفرصة وتقدم بصحبة وارنجتون المتحمس بجعل طرابلس قاعدة لمشروع الكشف الجغرافي إلى إفريقيا الوسطى بزيارة إلى يوسف باشا وأجريا مقابلة معه للحصول منه على بعض المعلومات عن مدى إمكانية مساعدة الرحالة الإنجليز الذين لديهم الرغبة في القيام برحلات جغرافية آستكشافية لمناطق وسط إفريقيا ، ومدى آستعداده وقوة عزيمته لتشجيع الكشف عبر أراضي إيالته ، وعن مدى صفاء نيته ونظرته بآتجاه الرحالة الإنجليز بصفة عامة [2] .

وقابل كذلك القبطان سميث علي بك الابن الأكبر ليوسف باشا وولي عهده ، فوجد منه حماساً وتشجيعاً ووعداً بتقديم كافة المساعدات حفاظاً

---

(1) DEARDEN. OP. CIT., P. 245.

واتيليو موري ، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الإحتلال الإيطالي ، ص 14.

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 211 .

(*) القبطان : كلمة لاتينية الأصل تطلق على البحارة الأوروبيين ، وكذلك على البحارة الأتراك ، بينما تستعمل في المقابل لها كلمة الرايس عند البحارة الطرابلسيين .

على آستمرار السلام بين إيالة طرابلس والحكومة الإنجليزية وتوطيداً للعلاقات السياسية الطيبة القائمة بينهما .

وفي مقابلة ثانية أجراها سميث مع يوسف باشا بحضور كل من القنصل الإنجليزي ومراد الرايس صهر الباشا ورئيس البحرية الطرابلسية استفسر سميث فيها من يوسف باشا ورئيس بحريته عن الرحالة الأوروبيين الذين قاموا برحلات إلى داخل القارة الإفريقية عن طريق أراضي إيالة طرابلس الغرب ، وهل كان من بينهم رحالة إنجليز ؟ كما سأل عن الرحالة الألماني الأصل هورنمان الذي قام ببعثته الكشفية على حساب الجمعية الإفريقية اللندنية وعن المدة التي قضاها خلال هذه الرحلة ووجهتها بصفة عامة [1] .

وعلم من الإجابة أنه كان من بين هؤلاء الرحالة وأنه مكث فترة طويلة تتراوح ما بين الخمس عشرة والست عشرة سنة وقدم له المسؤولون في طرابلس كافة المساعدات الممكنة داخل حدود الإيالة .

وكذلك آستفسر القبطان سميث من الباشا عن أمن وسلامة الطريق إلى بورنو الذي يعد حاكمها من ضمن الأصدقاء الأعزاء ليوسف باشا وهل سيتعرض الرحالة الإنجليز أثناء قيامهم برحلاتهم للتفتيش أو أية متاعب؟ كما تقدم القبطان سميث برجاء إلى يوسف باشا ببعث رسائل خطية مع الرحالة الإنجليز إلى حكام ومشائخ القبائل والدول المجاورة لحدود إيالته والتي ستكون هدفاً للرحلات المقبلة التي سيقومون بها .

آستجاب يوسف باشا إلى جميع هذه الطلبات كما أكد له حرصه على الحفاظ على سلامة الرحالة الإنجليز ، والحيلولة دون تعرضهم لأذى من أي شخص داخل الأراضي الطرابلسية ، مبدياً آستعداده لتحمل مسؤولية أي

---

(1) F. O. 76 - 15. P. 13 - 14.

متاعب تقع لهم .

وقد أعلم الباشا القبطان سميث بأن مدينة أسواط(*) هي المحطة الرئيسية للقوافل المتجهة إلى بورنو ، ونظام الحكم فيها جمهوري، يساعده مشائخ القبائل التابعة له، وهذا النظام قائم أيضاً في منطقة الهوسا وتمبكتو(*).

كما أبلغ يوسف باشا القبطان سميث بأن إيالته على علاقة طيبة مع بعض القبائل والمدن الإفريقية ، وأن هناك تعاملاً تجارياً وتبادلاً آقتصادياً معها :

« . . . . إن هذا الإسلام كان من بينهم، وإنه مكث في طرابلس مدة تتراوح ما بين الخمس عشرة والست عشرة سنة ، وقدمت له كافة المساعدات داخل حدود الإيالة، وأبدى آستعداده لتقديم رسائل خطية إلى مشائخ القبائل وحكام الدول الإفريقية المجاورة لحدود الإيالة ، والذين يرتبطون معه بعلاقة وصداقة طيبة ، وإن الرحالة الإنجليز سوف لن يتعرضون إلى تفتيش داخل أراضي إيالته وإن الطريق إلى بورنو كآستعمال طريق

(*) أسواط : إحدى المدن الإفريقية داخل أراضي بورنو .

(*) تمبكتو : مدينة في مالي على نهر النيجر ، نشأت في أواخر القرن الخامس الهجري نشأة إسلامية خالصة وتكاملت عمارتها في أواسط القرن العاشر ، وآزدهرت بها التجارة والثقافة حتى غدت أهم مركز للثقافة الإسلامية في إفريقيا الغربية ، وأشتهرت تمبكتو (تنبكتو) بنشاطها التجاري الذي كان يتصل عبر شمال إفريقيا بأوروبا ، ولقد كان الوصول إلى تمبكتو حلماً راود الأوروبيين ، وأصبحت بعد ذلك مجال صراع بين إنجلترا وفرنسا حتى إحتلتها الأخيرة سنة 1313 هـ الموافق سنة 1893 م. أنظر ، دائرة المعارف الإسلامية ، النشرة العربية الثانية ، المجلد العاشر ، ص 46 — 49 . ومصطفى عبد الله بعيو ، المختار في مراجع تاريخ ليبيا ، جـ 3 ، ص 101 — 105 .

بنغازي ، وله صداقة مع القبائل والمدن التالية - انجارا ، اكواتورا كشنا، زنجارا، بمبارا، هوسا، تمبكتو»(*) (1) .

هذا كما أبلغ يوسف باشا سميث أنه يوجد بين هذه القبائل والمدن تجار طرابلسيون مستقرون يعملون في تجارة الرقيق، وأصناف أخرى ويمكنهم تقديم كافة المساعدات للرحالة الإنجليز .

هذا وقد أبدى الباشا آستعداده لتزويدهم برسائل خطية إلى هؤلاء التجار ، الذين هم على آتصال دائم بأسرهم وبأعيان الحكومة الطرابلسية وخاصة مع أسرة الدغيس(*)، التي لها آرتباط عائلي وتجاري وثيق معهم حيث يتبادلون اللوبان والجلود والتمور والذهب والفضة والفواكه .

كما أرشد يوسف باشا سميث إلى طريق آخر جديد يتوفر فيه الماء ويلتقي فيه التجار من جميع الجهات وهو طريق طرابلس اغدامس(*) ثم

(*) بمبارا : مجموعة قبائل بمالي تقع على نهري السنغال والنيجر .
جوبـا : إحدى المدن الإفريقية الواقعة حالياً داخل الأراضي السودانية .
اكواتورا : إحدى القبائل الإفريقية الواقعة على خط الإستواء .
كشنـا : إحدى المدن الإفريقية الواقعة بشمال النيجر .

(1) IBID., P. 13 - 14.

(*) أسـرة الدغيش : عـائلة تركيـة وصلت إلى مدينـة طرابلس الغـرب في أواخر القـرن السابع عشر الميلادي ، وتقلد جدهم الأول منصب نائب الوالي العثماني في الـولاية الطرابلسية ، وتدرجت هذه الأسـرة في المناصب العليـا بالـولاية ، ففي بـداية حكم يوسف باشا القرمانلي تقلد محمد الدغيس منصب وزيراً للخارجية الطرابلسية ، كمـا تقلد آبنه حسونة في أواخر حكم يوسف نفس المنصب .

(*) أغـدامس : واحة جنـوب غربي طـرابلس بنحو 495 كم ، تقـع بـالقـرب من إلتقـاء الحـدود الليبية التـونسية الجـزائريـة ، تمتعت قبل بـداية العصـر الحديث بشيء من الإستقـلال ، ثم تـأرجحت تبعيتهـا بين تـونس وطـرابلس إلى أن استقـرت بتعيينهـا للأخيرة فيمـا بعد . وفي سنـة 1221 هـ - 1806 م ، آنتفضت أغدامس على يـوسف =

تمبكتو أو اتوات(*)، ورفع سميث تقريراً بهذا الخصوص إلى حكومته مقترحاً توجيه عناية الرحالة والبعثات الجغرافية إلى هذا الطريق ، على أن تكون مدينة طرابلس الغرب نقطة الإنطلاق للرحالة الإنجليز ، وذكر في تقريره مدى العلاقة الطيبة التي تربط يوسف باشا بالحكومة الإنجليزية ، كما أشاد أيضاً بالقنصل الإنجليزي ونشاطه وعلاقته الطيبة مع أعيان الحكومة وزعماء القبائل بالإيالة ، وكذلك مع الرعايا الأجانب والتجار الطرابلسيين المنتشرين داخل القبائل والمدن الإفريقية ، وأشار إلى حرصه الشديد على الحيلولة دون تقرب الفرنسيين من الباشا ، وآمكانية الحصول على مساعدات منه في عمليات الكشف الجغرافي [1] .

وهكذا فقد آطمأن المبعوث الإنجليزي سميث للإجابة التي تلقاها عن آستفساراته من يوسف باشا ومراد الرايس وبعض الأعيان ، كما إرتاح القنصل الإنجليزي للتعاون الذي أبداه الباشا وآعتبر ذلك بادرة طيبة مشجعة للرحالة الإنجليز الذين يرغبون في القيام برحلات كشفية إلى داخل القارة الإفريقية عن طريق أراضي إيالة طرابلس الغرب ، حيث ينزلون في عدة مدن إفريقية لم تطأها قدم أوروبية من قبل ، وسوف يتمكنون في نفس الوقت من نشر الديانة المسيحية فيها والآستفادة من خيراتها [2] .

= باشا فأرسل إليها بآبنه علي بك سنة 1225 هـ ـ 1810 م ، الذي آستولى عليها وعين بها حاكماً طرابلسياً وكانت غدامس تعتمد بالدرجة الأولى على تجارة القوافل وكان هناك أربع طرق تنفذ إلى دواخل إفريقيا عن طريقها . أنظر ، طاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ص 241 — 242 .

(*) اتوات : إحدى المدن الإفريقية الواقعة داخل الأراضي الجزائرية .

(1) F. O. 76 - 18. P. 357.

(2) F. O. 76 - 15. P. 13 - 14.

بعثة جوزيف ريتشي وجورج ليون :

وبناء على المعلومات التي تلقتها الحكومة الإنجليزية من القبطان سميث ، كلفت وزارة الخارجية والمستعمرات الجمعية الإفريقية اللندنية بإرسال بعثة جديدة إلى داخل إفريقيا وقامت فعلاً بتكليف الدكتور « جوزيف رتشي Dr. Joseph Ritchie » في خريف عام 1818 م ، القيام بهذه المهمة ، كما كلفت « جورج ليون George Lyon » لمرافقة الرحالة ريتشي ، وتم لقاؤهما في مالطا ، ورافقهما صانع السفن المالطي « جون بلفورد John Belford » الذي صمم على بناء قارب إذا تمكنوا من الوصول إلى نهر النيجر [1] .

وقد نزل ريتشي وليون بميناء طرابلس البحري يوم 22 مارس 1819 م ، وآستقبلهما وارنجتون بأرض الميناء حيث شرح له المهمة التي أنيطت بهما من قبل الجمعية الإفريقية اللندنية .

تعهد وارنجتون بتقديم كافة المساعدات لهما وتذليل الصعاب التي يمكن أن تقف عائقاً في طريقهما أثناء رحلتهما، وطلبا منه الحصول من الباشا على رسائل رسمية إلى مشائخ وزعماء القبائل بالمنطقة الجنوبية لإيالة طرابلس، وإلى زعماء الممالك والمدن الإفريقية التي تحظى الحكومة الطرابلسية بعلاقات وصداقات وطيدة معها .

آقترح يوسف باشا على وارنجتون بقاء الرحالة الإنجليز بمدينة طرابلس إلى حين سفر السيد محمد المكني (*) المعين بحكم مدينة فزان لتتوفر لهم

---

(1) DEARDEN. OP. CIT., P. 247.

(*) المكني : يرجع أصل أسرة المكني من صفاقس ، وكان المكني حاكماً عليها ولما آستولى درغوت باشا عليها أيام ولايته على طرابلس ، أصبح المكني تابعاً له وتحت نفوذه ، وعندما نقل درغوت باشا جماعة من الصفاقسيين إلى طرابلس ليشتغلوا بالتجارة والزراعة والصناعة جعل المكني رئيساً عليهم وأصبح بعد ذلك أحد =

الحماية خلال الرحلة إلى مدينة مرزق [1] .

وبناء على هذه النصيحة مكث ريتشي وليون بمدينة طرابلس مدة خمسة أشهر تمكنوا خلالها من دراسة تقليد وعادات السكان في لباسهم وقد أثار ذلك غضباً عند وارنجتون ، وطلب من حكومته نصح الرحالة الإنجليز في المستقبل بالإبتعاد عن مثل هذه التصرفات التي آعتبرها إقلال من شخصيتهما ، وأرسل رسالة إلى اللورد باتروست(*) بتاريخ 1 يوليو سنة 1820 ميلادية بالخصوص [2] .

وعند وصول البعثة إلى مدينة مرزق أصيب ريتشي ببعض الأمراض المعدية مما آضطره إلى البقاء هناك ، وقام حاكم مدينة فزان الشيخ المكني بتقديم كافة المساعدات الممكنة لهما وآستضافهما طيلة إقامتهما بالمنطقة .

غير أن ريتشي توفى متأثراً بمرضه في 20 نوفمبر سنة 1819 م ، وعزم زميله على مواصلة الرحلة وحده ، ولكن الأموال لم تعد تكفيه فآضطر إلى الإستدانة من الشيخ المكني ، وبذلك آستطاع الرحالة الإنجليز ليون مواصلة رحلته وأمكنه تسجيل الكثير من العادات الاجتماعية لأهالي منطقة جنوب مرزق ، ثم رجع إلى مدينة طرابلس ماراً بسوكنة وبني(*) وليد ولبدة(**) [3] .

= أعضاء مجلس إدارة الوالي والمقربين لديه ، وتدرج أفراد هذه الأسرة فيما بعد حتى أنه في عهد يوسف باشا تم تعيين محمد المكني حاكماً على منطقة فزان التي تدر مبالغ كبيرة على خزانة الإيالة من ضرائب وتجارة القوافل . أنظر طاهر أحمد الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص 80 .

(*) هنري باتروست : منشىء وزارة المستعمرات التي ترأسها كوزير ثالث للخارجية من سنة 1812 م إلى سنة 1827 م . أنظر هامش رحلتان عبر ليبيا ، ص 181.

(1) اتيليو موري ، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا ، ص 25.

(2) F. O. 76 - 14. P. 21 - 22.

(*) بني وليد : إلى الجنوب من طرابلس بنحو 170 كم ، وهو موطن مجموعة قبائل =

بعثة والتر أودني وكلابرتون وديكسون :

ونظراً لأن ليون لم يتمكن من تحقيق الغرض الذي كلف من أجله ، فقد قامت الجمعية الإفريقية اللندنية بتنظيم بعثة جديدة أسندت مهمتها إلى « الدكتور والتر أودني Dr. Walter Oudney » والقبطان « كلابرتون Captain Clapperton » ، وآنضم إليهما فيما بعد « الميجور دنهام ديكسون Denham Dixon » .

وقد آنطلقت البعثة المذكورة من مدينة طرابلس في أوائل شهر مارس سنة 1821 م بعد حصول وارنجتون على تصريح لها من الباشا للقيام بهذه الرحلة من خلال الأراضي الطرابلسية ، كما تحصل لهم على رسائل رسمية منه موجهة إلى زعماء القبائل لهذه المناطق ، كما قدم لهم المساعدات المادية اللازمة ، وأرسل يوسف باشا رسالة إلى الملك الإنجليزي بتاريخ 28 من يناير سنة 1828 م يؤكد له فيها بأنه لم يتردد يوماً في تقديم كافة المساعدات والإعانات المالية للرحالة الإنجليز وتمكينهم من مواصلة رحلاتهم الجغرافية داخل القارة الإفريقية عبر أراضي الإيالة [1] .

= غلب عليها آسم ورفلة ـ آسم بطن من بطون قبيلة هوارة . أنظر طاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، صفحة 356 — 357 . ودي أغسطيني ، سكان ليبيا ، جـ 1 ، ص 309 — 327.

(**) لبدة : مدينة أثرية إلى الشرق من طرابلس بنحو 125 كيلو متر أسست في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، وكانت تشكل إحدى المدن الثلاث التي يضمها إقليم طرابلس ، والآن تتبع بلدية الخمس . أنظر الدكتور دي لاشيلا ، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في سنة 1817 م ، 33 — 37.

(3) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم : أسرة القرمانلي ، ص 212 .

. . . .

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، تعريب محمد مصطفى بازامة ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بنغازي 1965 ، ص 19 — 22 .

وقد سلك أفراد البعثة طريق بني وليد وسوكنة ووصلوا إلى مرزق يوم 18 إبريل سنة 1821 م ، ولكنهم تعرضوا لبعض الصعوبات عند وصولهم إلى تلك المنطقة وذلك رغم كل التسهيلات التي قدمها لهم يوسف باشا قبل الشروع في رحلتهم . مما آضطر دنهام ديكسون إلى العودة إلى مدينة طرابلس، والتباحث مع وارنجتون في ضرورة تزويدهم بحراس مسلحين من قبل الباشا فتقدم وارنجتون بهذا الطلب إلى يوسف باشا ولقى موافقة منه على ذلك وتم فعلاً تزويدهم بمجموعة من الحراس المسلحين لمرافقتهم وحمايتهم من كل اعتداء قد يتعرضون إليه في الطريق ، وذلك مقابل دفع مبلغ عشرة آلاف قرش نقداً لخزينة الباشا [1] .

وقد آستطاعوا بهذه الحماية التي قدمها لهم يوسف باشا آجتياز طريق الجنوب مروراً بالقطرون ، وتمكنوا من دخول السودان ، والوصول إلى بورنو حيث أمكنهم آكتشاف بحيرة تشاد ، وقدم لهم زعيم بورنو الشيخ محمد الأمين الكانمي (*) كافة المساعدات الممكنة وخاصة بعد أن سلموه الرسالة الموجهة إليه من صديقه يوسف باشا .

ولقد سر وارنجتون بهذه المعاملة الطيبة التي لقيتها البعثة، فعبر عن ذلك برسالة شكر للشيخ الكانمي ذاكراً فيها آمتنان وشكر جلالة الملك

---

(1) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 213.

(*) محمد الأمين الكانمي : من مدينة كانم ، آستقر في بلاد بورنو في أوائل القرن التاسع عشر وأصبح مستشاراً لملك تلك البلاد وساعده في طرد قبائل الفولا ويقول أحمد النائب الأنصاري : إنه تلقى علومه بمدينة طرابلس ويقول أيضاً : إنه في سنة 1814 آنتفضت بعض قبائل بورنو على حاكمها الكانمي وعجز عن تأديبهم فآستنجد بيوسف باشا فأرسل إليه الشيخ محمد المكنى فأخضعهم ، كذلك في سنة 1825 أعلن بعض القبائل أيضاً الشقاق عنه فآستنجد بيوسف للمرة الثانية فأرسل إليه العساكر التي على رأسها عبد الجليل سيف النصر فأخضعهم وعاد محملاً بالهدايا إلى يوسف باشا .

الإنجليزي ، ومؤرخة في شهر ذي الحجة سنة 1239 هـ الموافق لشهر يوليه سنة 1824 م ويقول فيها :

« . . . . إن ملكي يكون من المقربين لك بالمعروف بالفعل دون القول، وأما عن تباعك بعد أسبوعين يتوجهون إليك ببعض مصالحك ومصالح أناسنا ، وأطلبه بعد أن يحفظك ويفسح لنا وأولادك في عمرك وما في اللسان إلّا من بعض ما في الضمير »[1].

هذا وقد ذكر في نفس الرسالة بأنه إستلم الرسائل المرسلة إليه من طرفه ، وكذلك صندوقين من الهدايا وهنأه بالإنتصار الذي حققه ضد غزاة القولا ، كما أبلغه بأن هناك رحالة إنجليز سيقومون في المستقبل بالبحث عن تحديد نهر النيجر ، وطلب منه مساعدتهم وتمكينهم من الوصول إلى تحقيق غرضهم في هذا الشأن .

وهكذا فقد آستطاعت هذه البعثة الإنجليزية بمساعدة حكومة طرابلس والقنصل الإنجليزي بالإيالة أن تحقق أعظم النتائج في تاريخ الإكتشافات الإفريقية .

بعثة ألكسندر غوردون لانج[*] وأثرها على العلاقات الطرابلسية الإنجليزية :

وكان هذا النجاح حافزاً للجمعية الجغرافية الإفريقية لإرسال بعثات أخرى لتحقيق المزيد من المعلومات عن القارة وخاصة عن نهر النيجر الذي

---

(1) F. O. 76 - 22. P. 24 - 8.

(*) لانج : ولد ألكسندر غوردون لانج في 27 ديسمبر سنة 1794 م بمدينة أدنبرة وأنهى دراسته الجامعية بها في سن يناهز الخامسة عشرة سنة وأستهل حياته كمدير مدرسة =

ما زال غامضاً فكانت البعثة التي ترأسها ضابط إنجليزي يدعى « ألكسندر غوردون لانج Elexander Gordon Laing » ، والتي صحب رحلته كثير من سوء التفاهم والتوتر في العلاقات الطرابلسية الإنجليزية .

وكانت مشكلة الكشف على مجرى ومصب نهر النيجر من أهم المشاكل التي تشغل بال المهتمين بكشف مجاهل إفريقيا أمثال لانج ، فبعد رجوعه من سيراليون وجمع الكثير من المعلومات الجغرافية التي آكتسبها أثناء إقامته فيها، وآقتناعه من خلال ذلك بأن الإستكشافات الميدانية هي الطريق الوحيد للحصول على معلومات صحيحة ومؤكدة ، وقد وجد تعاطفاً في هذا الإتجاه من اللورد باتروست وزير الخارجية والمستعمرات الإنجليزية ، والذي كان متأثراً بتقرير القبطان سميث السالف الذكر الخاص بالطريق الجديد ، وهو طريق اغدامس تمبكتو أو اتوات، فشجع لانج على مواصلة رحلته وآتخاذ مدينة طرابلس قاعدة إنطلاق لها .

سافر لانج من إنجلترا في 5 من فبراير سنة 1825 م ممتلئاً حماساً لمباشرة هذه المهمة ، ووصل إلى مدينة طرابلس في شهر يونيو من نفس السنة ، فآستقبله وارنجتون على أرض الميناء الطرابلسي لدى نزوله من السفينة التي كانت تقله ، وصحبه إلى بيته الجديد بالمنشية ، وأنزله في حجرة خاصة بمنزله رغم كبر حجم أسرته ، وفي اليوم التالي قدم وارنجتون الرحالة الإنجليزي لانج إلى يوسف باشا ، بقصد التعارف بينهما والحصول

= إبتدائية بمدينة نيوكاسل ، ثم آنتقل إلى مساعد مدير مدرسة لأبيه في مدرسة أدنبرة ثم تركها وإلتحق بكلية المتطوعين بالجيش الإنجليزي ، وخرج مع الجيش عام 1811 م بجزر الهند الغربية ، ورقيٌ إلى رتبة ملازم أول هناك ثم آنتقل إلى سيراليون ، وقام هناك برحلات لفتت نظره إلى ضرورة القيام برحلة داخل القارة الإفريقية ، ونقل هذه الفكرة رئيسه شسهولم Sheshollem وإلى وزير الخارجية والمستعمرات الإنجليزية .

على تصريح لزيارة مدينة اغدامس والقيام برحلته الكشفية عن طريقها [1] .

وقد آقترح الباشا على لانج ووارنجتون أن تبدأ رحلته من المنطقة الشرقية الجنوبية من مدينة الخمس وبني وليد ، نظراً لأن منطقة غريان[*] كانت تموج ببعض الفتن الداخلية المناوئة لسلطة الباشا، وقد يصعب المرور منها، ولكن يوسف باشا كان يماطل في الموافقة على البدء في الرحلة مراعياً مصلحة بلاده في الحصول على أكبر قدر ممكن من المال والمساعدة من قبل الحكومة الإنجليزية ، مما آضطر وارنجتون إلى مراسلة حكومته بلندن طالباً منها تحديد المبالغ التي تكلفها رحلة لانج ، ومقدار المساعدات التي يمكن تقديمها لباشا طرابلس حسب المتتبع في البعثات الجغرافية الكشفية السابقة .

كما أكد هذا الطلب الرحالة الإنجليز لانـج في رسالة له إلى اللورد باتروست في 24 مايو سنة 1825م يطلب فيها السماح للقنصل الإنجليزي العام بطرابلس بالتصرف في الناحية المادية بخصوص الرحلة وأبلغه أيضاً بأن يوسف باشا متردد في بدء الرحلة لأنه غير راضٍ عن المبلغ المطلوب الذي عرض عليه من جانبهم ، ولفت آنتباهه إلى أنه في حالة عدم تقديم المبلغ المطلوب فسوف يتعرض للخطر من بعض القبائل وقطاع الطرق [2] .

---

(1) شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي جـ 2 ، ص 608.

(2) رحلتان عبر ليبيا ، نقله إلى العربية دار الفرجاني ، نشر مكتبة الفرجاني طرابلس - ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1974 م ، ص 252.

(*) غريان : آسم بطن من قبيلة ليبية قديمة غلب آسمها على منطقة واسعة في الطرف الشرقي من الجبل الغربي (جبل نفوسه) تضم عدة قرى وتكون إحدى المراكز الرئيسية بالجبل وتقع إلى الجنوب من طرابلس بنحو 94 كم أنظر طاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، ص 244 — 245.

وأخيراً تمكن القنصل الإنجليزي من إقناع الباشا بمساعدة الرحالة لانج والحصول على موافقته على بدء الرحلة ، على أن تكون بعد شهر رمضان وعيد الفطر لصعوبة السير في الصحراء خلال شهر الصيام بالنسبة لمرافقيه من المسلمين ، فقبل وارنجتون هذا الشرط بغية الحصول على رضا الباشا وتم الإتفاق معه على أن يدفع المبلغ المتفق عليه على ثلاثة أقساط تكون الدفعة الأولى قبل بداية الرحلة ، والثانية عند وصول الرحلة إلى مدينة اغدامس ، والدفعة الأخيرة تكون عند رجوع لانج مرة ثانية إلى مدينة طرابلس بعد آتمامه الرحلة ورجوعه سالماً .

هكذا كما زوده الباشا برسائل خطية موجهة إلى زعماء القبائل ولكنه نبهه وقبل بدء رحلته إلى أنه غير مسؤول عما يتعرض له وراء الحدود لمدينة غدامس ، إذ أن سلطته لا تتعدى حدود تلك المدينة ، كما حذره بصفة خاصة من قبائل الهجار Haggar لما آشتهروا به من عداوة وكراهية شديدة للأجانب الأوروبيين بصفة عامة [1] .

ومع ذلك فقد كان تصميم لانج قوياً لتنفيذ خطته في أسرع وقت ممكن ، ولم يأبه لهذه التحذيرات ، وقد طلب من الباشا تزويده بملابس تركية لاستعمالها في التخفي ، نظراً لأن الأتراك كانوا يتمتعون بالاحترام لدى القبائل الإفريقية بآعتبارهم مسلمين وحماة لراية الإسلام .

وبقصد حماية الأمن على الطرق التي تعتزم الرحلة أن تسلكها ، فقد قرر يوسف باشا إرسال جيش إلى منطقة غريان يتكون من خمسة آلاف رجل مسلحين وذلك بناء على توصية وارنجتون الذي عرض على الباشا ضرورة إرسال قوة عسكرية إلى غريان قبل أن يبدأ لانج رحلته خشية تعرضه لأي خطر من قبل هؤلاء المتمردين ، أو قد تسبب عرقلة وصول الشيخ محمد

---

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 12.

باباني(*) الذي طلب إليه الحضور من مدينة اغدامس لمرافقة الرحالة لانج في رحلته [1].

بدء سير الرحلة :

وفي أغسطس سنة 1825 م غادر لانج مدينة طرابلس الغرب متجهاً إلى مدينة اغدامس برفقة الشيخ محمد باباني المكلف من قبل يوسف باشا بتوصيله إلى تمبكتو، وكان برفقته مائة وخمسون حارساً كلفهم الباشا بحراسته حتى مدينة بني وليد، ومنها تابع رحلته بدون حراسة إلى مدينة اغدامس ، وعندما رحب به شيخها أحمد الحبيب بكل حفاوة وتكريم بآعتباره مرسلاً من قبل يوسف باشا [2].

وبعد ذلك آنطلق لانج إلى مدينة أتوات بالجزائر عبر الصحراء وعند وصوله إليها سلم إلى زعيمها الشيخ مختار الختناوي رسالة يوسف باشا التي يحثه فيها على تقديم كافة المساعدات الممكنة إليه ومساعدته على الوصول إلى مدينة تمبكتو.

وقد آستجاب الشيخ مختار الختناوي لمطلب يوسف باشا وأرسل معه أحد أفراد عائلته لمرافقته وإرشاده في الطريق ، ومع ذلك فقد تعرضت قافلته إلى غارة على يد طوارق الهجار توفى على أثرها الشيخ محمد باباني

(*) محمد باباني : أحد تجار مدينة أغدامس قضى فترة طويلة من حياته بمدينة تمبكتو تصل إلى أثنين وعشرين سنة ، تعهد باباني ليوسف بتوصيل الرحالة الإنجليزي لانج إلى تمبكتو خلال شهرين ونصف مقابل الحصول على مبلغ مالي معين .

(1) رحلتان عبر ليبيا ، نشر مكتبة الفرجاني ، نقله إلى العربية دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1974 م ، رسالة وارنجتون إلى وزير خارجيته اللورد باتروست بتاريخ 18 مايو سنة 1825 م ، ص 226.

(2) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 13.

الغدامسي ، وتولى من بعده قيادة القافلة أحد أبناء عمومته ويدعى الشيخ الخضر بن الحاج متيتن الغدامسي [1] .

قلق وارنجتون لانقطاع أخبار رحلة لانج عن طرابلس وموقف الباشا من ذلك :

ومنذ أن غادر لانج مدينة أتوات متجهاً إلى مدينة تمبكتو ، فقد آنقطعت أخباره عن مدينة طرابلس ، وترددت الإشاعات السيئة عن رحلته مما أثار قلقاً شديداً عند القنصل الإنجليزي وارنجتون ، فألح على يوسف باشا للتأكد من صحة هذه الأنباء .

وعلى أثر ذلك آضطر يوسف باشا إلى توجيه رسالة إلى الشيخ مختار الختناوي بتاريخ 20 من جمادي الثاني سنة 1242 هـ يطلب فيها منه موافاته بحقيقة أخبار رحلة لانج بالتفصيل [2] .

وفي هذه الرسالة أبلغ الباشا الشيخ مختار الختناوي آستعداده لدفع كل ما يتم صرفه في سبيل هذه الأخبار ولوازم الرحلة ، وتعهد بسداد الديون التي قد يقترضها منه لانج لتكملة مصروفات الرحلة .

كما أرسل يوسف باشا رسالة ثانية إلى السيد محمد الوحيشي أحد تجار اغدامس المشهورين . كلفه فيها بالاتجاه إلى مدينة اتوات هو أواحد أبنائه للبحث أيضاً عن أخبار لانج ومساعدته عند الضرورة وموافاته بذلك على وجه السرعة، ويتبين ذلك من رسالة الوحيشي إلى يوسف باشا في شهر رجب سنة 1242 هـ :

« . . . . إن كتابكم المبارك الأعز بلغ إلينا وقرأناه وحمدنا الله على

---

(1) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 214 .

(2) F. O. 76 - 22. P. 31.

أنكم في صفاء وعافية ، وذكرت لنا فيه أمر النصراني وأننا نمشو إليه إلى توات فإن وجدناه فيها أتينا به ، وإلاَّ كتبنا أخباره ، فترانا ممتثلين أمركم لا جيميل لنا في السعي إلاَّ ما فيه غرضكم وإن رجل خبير يخبر تلك الأرض يسافر بأحد أولادنا وقاطعنا وقبل »[1] .

ومع هذا فلم يهدأ بال وارنجتون للبطء في ورود الأخبار عن لانج ورحلته ، فعاود الاستفسار مراراً من الباشا عما وصل إليه من أحواله وأخباره مما آضطر يوسف باشا إلى تكليف وزير خارجيته بمكاتبة زعماء القبائل مرة ثانية في هذا الشأن ، ومن بينهم السيد محمد الوحيشي الذي كتب إليه حسونة الدغيس رسالة بتاريخ 28 من جمادي الثاني سنة 1242 هـ ، طلب منه فيها إبلاغه على وجه السرعة بالتفصيل بأخبار لانج ، حيث أن آنقطاع أخباره سبب متاعب كثيرة للباشا وقلقاً للقنصل الإنجليزي وارنجتون[2] .

كما أوفد يوسف أحد أعيان مدينة طرابلس وهو السيد الزغداني إلى مدينة أغدامس لمعرفة أخبار لانج ، ولما لم يتمكن من الحصول على معلومات كافية بخصوص هذا الرحالة أوفد مبعوث آخر إلى غدامس كما ورد ذلك في الرسالة السابقة والتي تقول :

« . . . فعند طول المدة وقلة الأخبار ومجيء هذا الرقاص إلينا وإن قافلة تمبكتو لم تصل لا هي ولا أخبارها وإن الزغداني باقي بغدامس ، فتحير سيدنا وأتاه القنصل على شأن نصرانيهم فلم يبق شيء بيد سيدنا في إعانة الإنجليز سوى أنه يرسل رقاص ثاني لغدامس »[3] .

ولم تجد شيئاً كل هذه المحاولات مما آضطر يوسف باشا إلى تكليف

---

(1) IBID., P. 54.

(2) IBID., P. 36.

(3) IBID., P. 36.

حاكم مدينة أغدامس شخصياً أو إنابة أحد أبنائه للتوجه فوراً إلى مدينة أتوات لإرسال المعلومات في أقرب وقت إلى مدينة طرابلس بخصوص رحلة لانج .

وبعد قليل تلقى وزير خارجيته يوسف معلومات عن لانج من محمد الوحيش بتاريخ 10 من رجب سنة 1242 هـ تفيد بأنه قد وصل إلى مدينة اتوات سالماً وسافر منها إلى مدينة تمبكتو برفقة ابن الشيخ مختار الخنتاوي زعيم مدينة اتوات وذكرت هذه الأخبار أن التجار الغدامسيين المستقرين في مدينة تمبكتو على آستعداد لتقديم كافة المساعدات إلى لانج ، وانهم يترقبون قدومه إليهم [1] .

كما أبلغ الشيخ أحمد الحبيب شيخ مدينة أغدامس القنصل وارنجتون بأن الرحالة لانج قد إنتقل من مدينة اتوات سالماً ، وأبدى آستعداده أيضاً لمتابعة أخباره على وجه السرعة وموافاته بذلك أولاً بأول تنفيذاً لأوامر يوسف باشا وقد ورد ذلك في رسالة الشيخ أحمد الحبيب إلى وارنجتون بتاريخ شهر رجب سنة 1242 هـ الموافق لشهر يناير سنة 1827 م .

« . . . . متى نسمنه إن شاء الله نوصله لكم عن قربها وعلى قول التارقي الراص وصل إلى تمبكتو ورجع للحلة وهو لاسو ، وهذا ما عندنا أعلمناكم به » [2] .

لدى وصول الرحالة لانج سالماً إلى مدينة تمبكتو بصحبة ابن للشيخ مختار الخنتاوي ، وعلم بوصوله زعيم سلطان قبائل الفولا الشيخ محمد بللو(*) ، تضايق كثيراً من الحفاوة والاستقبال العظيميين اللذين حظى بهما

---

(1) IBID., P. 55.

(2) IBID., P. 47.

(*) محمد بـللو : زعيم منطقة السودان ويمتد سلطانه إلى هـاوسة ويبـدو أن جميع =

هذا الرحالة الإنجليزي من قبل الشيخ مختار الختناوي .

وعلى أثر ذلك فقد آتصل الشيخ محمد بللو بجميع أعيان مدينة تمبكتو وطلب إليهم ضرورة إبعاد لانج وعدم إطالة إقامته وأوعز إليهم بضرورة تدبير خطة لقتله وآتلاف أوراقه ومستنداته التي بحوزته وهددهم في حالة عدم تنفيذ طلبه بأنهم سيتعرضون لسخطه وآنتقامه الشديد منهم ، وهذا ما نصت عليه رسالة الشيخ أحمد الحبيب إلى وارنجتون :

« . . . . على أن الرايص وصل تمبكتو أوصله ولد سيد المختار وقعد الرايس في تمبكتو ، وبعد كتب سلطان فلان العرب جواب لأهل تنبكتو ، وقال لهم في جوابه أطردوا الرومي من بلدكم وإلاَّ نعاقبكم »[1] .

وإزاء هذا التحذير والتهديد ، آضطر أعيان تنبكتو إلى إيقاف آتصالاتهم بزعماء منطقة السودان الغربي بصفة عامة في حين كان أعيان تمبكتو يرغبون في تنفيذ توصيات يوسف باشا والشيخ مختار الختناوي .

ومن أجل ذلك فكروا في عمل ينالون بموجبه رضا يوسف باشا ولو قليلاً ، مع تفادي غضب السلطان محمد بللو ، فقد آتفقوا على إبعاد لانج ليلاً إلى بلدة أوران ومنها ينتقل إلى مدينة بنبرا ، وعهدوا إلى أحد أفراد عرب البرابيش بموافقته في الصحراء[2] .

= أو معظم البلاد الواقعة غربي السودان من تشاد وغيرها كانت تسمى عموماً بالسودان في تلك الفترة . أنظر رحلتان عبر ليبيا ، ص 244.

(1) IBID., P. 55.

(2) IBID. P. 93.

مقتل لانج وصدى ذلك في طرابلس :

وأثناء آستراحة القافلة في الطريق ليلاً هجم على الرحالة لانج وهو نائم في خيمته أحد الحراس المكلفين بحراسته ، فقتله ويدعى هذا الحارس رحال وينتمي إلى قبيلة البرابيش .

وصلت أخبار وفاة لانج إلى مدينة طرابلس ، ولكن وارنجتون لم يصدق هذا النبأ في البداية ، وأبلغ رسالة بهذا المعنى إلى نائب سكرتير وزير الخارجية الإنجليزية بلندن السيد « هاي Hay » بتاريخ 24 من يوليو سنة 1827 م معتمداً على المعلومات التي وصلته من سيراليون في رسالة بتاريخ 14 إبريل من نفس السنة ، ولم يرد فيها شيء عن أية متاعب تعرض لها لانج وإن الشائعات التي ترددت حول رحلته ووفاته لا أساس لها من الصحة [1] .

إن يوسف باشا أيضاً ، لم يصدق هذا الخبر على الاطلاق في البداية لأنه لم يستلم حتى ذلك التاريخ أي تأكيد عن تلك الأخبار ، هذا وقد أبلغ وارنجتون وزارة الخارجية الإنجليزية بأنه قد أرسل على الفور رسالة إلى كل من الشيخ محمد الكانمي والرحالة الإنجليزي كلابرتون الذي كان مقيماً ببورنو في نفس الفترة ، وذلك لتقصي الأخبار حول جميع خطوات رحلة لانج وذكر أن الجواب الذي تلقاه أفاد أن القافلة سوف تغادر أراضي تمبكتو خلال أيام ، وتعهد وارنجتون بإبلاغ الأخبار السارة عن رحلة لانج فوراً بمجرد وصولها إليه [2] .

ولم يلبث أن تلقى يوسف باشا أخباراً جديدة عن لانج وردت إليه في رسالة بعث بها السيد محمد الوحيشي إلى حسونة الدغيس بتاريخ 7 شعبان

---

(1) IBID., P. 93.

(2) IBID., P. 94.

سنة 1243 هـ ، أبلغه فيها بأن الرحالة لانج قد لقى حتفه أثناء غارة قام بها الحراس المكلفون بحراسته بإيعاز من السلطان محمد بللو [1] .

ولقد تأثر وارنجتون من الخبر المفجع وتألم كثيراً حيث فشل الحلم الذي كان يراوده منذ فترة طويلة عن التغلغل داخل إفريقيا عن طريق أراضي إيالة طرابلس الغرب ، وبالأخص عن طريق صهره الجديد لانج .

وقد آعتبر وارنجتون وفاة لانج خيانة مدبرة من قبل زعماء القبائل الداخلية ، وفي نفس الوقت نسب ذلك الحادث إلى إهمال وعدم عناية يوسف باشا الكافية التي تضمن سلامته من كل آعتداء في الطريق .

وبمجرد وصول خبر وفاة لانج إلى وارنجتون ، فقد آتصل على الفور بحكومته في لندن لإبلاغها عن مقتله موضحاً في رسالته أن قتله كان على أثر آهمال يوسف وتدبير من وزير خارجيته حسونة الدغيس الذي كان على علاقة وطيدة مع القنصل الفرنسي روسو[*] علماً بأنه في نفس الوقت كان هناك تعاون تام وصداقة حميمة بين حسونة ووارنجتون وغيره من أعضاء القنصلية الإنجليزية ، الآخرين الأمر الذي جعل القنصل الفرنسي يتهم حسونة بأنه وراء التوتر الذي أصاب العلاقات الطرابلسية الفرنسية في الفترة الأخيرة أثر

---

(1) IBID., P. 71.

(*) البارون ج. ب. روسو: قنصل فرنسا بطرابلس في الفترة ما بين 1825م - 1831 م ، وكان من المستشرقين المعروفين وعلى معرفة واسعة بأحوال العالم الإسلامي ، وكان قنصل فرنسا بالبصرة سنة 1807 م والسكرتير بالبعثة الفرنسية بطهران سنة 1807 م ثم القنصل العام في حلب سنة 1808 م ثم ببغداد سنة 1814 م ، وأخيراً القنصل العام لفرنسا بطرابلس والذي وصلها يوم 30 من يوليو سنة 1825 م ، تمكن من خلال عمله من تعلم اللغة العربية مما مكنه ذلك الإتصال بيوسف باشا مباشرة دون حاجة إلى مترجمين ، أنظر فيرو ، الحوليات الليبية ، جـ 2 ، ص 591 ، وعبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، ص 265 . وميكاكي: طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 209 — 211 .

تغيب الباشا عن حضور الحفل الذي أقامه القنصل الفرنسي في مبنى القنصلية الفرنسية بمناسبة عيد ميلاد الملك الفرنسي ، رغم وعده بالحضور .

توتر العلاقات الطرابلسية الإنجليزية على أثر مقتل لانج :

تأثرت العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس والحكومة الإنجليزية على هذا الحادث وخاصة بعد أتهام القنصل الإنجليزي لوزير خارجية يوسف باشا السيد حسونة بأنه وراء هذه المؤامرة .

أخذ القنصل الإنجليزي وارنجتون يطالب يوسف باشا في إلحاح للإسراع بالتحقيق في أسباب مقتل لانج ، والبحث عن أوراقه وإحضارها إليه وهدد بأنه سوف يتخذ إجراءات قد تكون عواقبها وخيمة على العلاقات الطرابلسية الإنجليزية .

وحرصاً من يوسف على أستمرار العلاقات الطيبة بين البلدين ، فقد أستجاب لمطالب وارنجتون ، وحث أهالي مدينة أغدامس على البحث عن هذه الأوراق المفقودة التي يطالب بها القنصل الإنجليزي ، وإرسالها على وجه السرعة إليه ، كما طلب يوسف من وارنجتون إرسال أحد الأشخاص الموثوق فيهم لمرافقة المبعوث الذي آعتزم يوسف إرساله إلى أغدامس للتعرف على حقيقة الأمر وجمع الأوراق المطلوبة ، وهذا ما ورد في رسالته إليه بتاريخ 27 من رجب سنة 1247 هـ الموافق 11 يناير سنة 1831 م :

« . . . إن موجب الكتب إليكم هو أنه حين قدمت علينا وتكلمت معنا في شأن كواغط الماجور بأن نبحثوا عنهم حتى نطلع على حقيقتهم ونبعث للغدامسية ونسألوهم عن ذلك ، ونحن التزمنا لكم بأن نرسل لهم ونأمروهم بالقدوم علينا والآن تبين لنا أن الأحسن منكم أن تبعثوا واحد من طرفكم مع

خدامنا المتوجهين لغدامس »[1] .

هذا وقد آختار القنصل الإنجليزي أحد الأشخاص المقربين إليه ويدعى السيد العزومي ، ووافق الباشا على هذا الاختيار وطلب منه الإستعداد للمغادرة صحبة المبعوث المتجه بعد قليل إلى مدينة أغدامس .

أوضح أهالي منطقة أغدامس وشيخها أحمد الحبيب لمبعوث الباشا ومرافقه بأن أوراق الرحالة لانج لم تصل إلى أيدي الشيخ أحمد الحبيب ، ولم يحدث أن سلمها إلى السيد حسونة كما زعم وارنجتون ، وكان وارنجتون قد آدعى بأن الشيخ أحمد الحبيب قد سبق أن سلم أوراق لانج إلى حسونة فسلمها بدوره إلى القنصل الفرنسي روسو مقابل تخفيض أربعين في المائة من الديون المتراكمة على حسونة من قبل القنصلية الفرنسية بإيالة طرابلس [2] .

وقد أيدت الحكومة الإنجليزية بلندن الأخبار التي وصلتها من قبل قنصلها وارنجتون ، وأرسلت رسالة إلى يوسف باشا بتاريخ 26 من يناير سنة 1828 م تحتج فيها على التقصير الذي أبداه نحو الرحالة لانج ومع بقية الرحالة الإنجليز بصفة عامة [3] .

وبعد ذلك بدأ وارنجتون بممارسة ضغوطه على يوسف باشا ، ولكن الباشا لم يبد آهتماماً بهذه التهديدات إلاَّ عندما تحقق الإنتصار للأسطول الإنجليزي في معركة نافارين(*) ، على الأسطول التركي في البحر الأبيض

---

(1) F. O. 76 - 29. P. 13.

(2) F. O. 76 - 26. P. 226.

(3) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرامانلي ، ص 17.

(*) معركة نافارين : تمكن اليونانيون من التمرد على الإمبراطورية العثمانية وتحقيق إستقلالهم أثناء فترة القضاء على الإنكشارية وتكوين جيش نظامي حديث في عهد السلطان محمود خان الثاني (1818 — 1839 م) وكان اليونانيون قد شرعوا في =

المتوسط مما دفع القنصل الإنجليزي إلى آستغلال هذا النصر في ممارسة ضغوطه وتهديداته على الحكومة الطرابلسية ، فقد طلب من قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط السيد إدوارد جود روتن Sir Edward God Rougtn إرسال سفينة حربية إلى ميناء طرابلس في مضاهرة لتهديد يوسف باشا[1] .

رضخ الباشا لهذه الضغوط وأمر باستدعاء وارنجتون في الحال إلى القلعة ، وتباحث معه في الأمر ، وأكد له آستعداده لسجن جميع أهالي منطقة أغدامس في سبيل آحضار الوثائق التي تركها الرحالة لانج .

وعلى الفور أمر يوسف بتوزيع منشور على جميع أهالي أغدامس ومنطقة بني وليد وشيخهم قاسم بن علي ، والشيخ محمد الأزعر يبلغهم فيه بأن قضية الرحالة الإنجليز لانج الذي قتل في تمبكتو ما زالت معلقة حتى ذلك الوقت ، وهذا المنشور بتاريخ 8 من شعبان سنة 1247 هـ وقد جاء فيه :

« . . . يليه إعلامكم موجب الكتب إليكم من شأن قضية الرومي الإنجليزي الذي مات في نواحي تنبكتو باقية إلى الآن ما آتصفت ، وأنتم قدمت علينا في السابق ، وأديتم شهادتكم على يدنا بحضرة الشيخ القاضي والقنصل والآن طلب منا محب جنابنا الأعز من أحبابنا رأى الإنجليز مقتضى الشهادة الأولى ويثبتها ويصححها »[2] .

= التمرد قبل ذلك بتأيد من الدول الأوروبية - إنجلترا ، فرنسا ، روسيا - والذين كذلك ساعدوهم أثناء معركة نافارين البحرية ضد الأسطول العثماني وأساطيل جيش الإيالات الإفريقية - مصر ، طرابلس الغرب ، تونس ، الجزائر - وآنتهى الأمر بهزيمة الأسطول العثماني والسفن المغربية في 28 ربيع الأول سنة 1243هـ - الموافق 20 أكتوبر سنة 1827 م .

(1) F. O. 76 - 23. P. 460.

(2) F. O. 76 - 29. P. 23.

وطلب منهم المداومة على البحث والتحري بين الناس في المساجد والشوارع وآبلاغ جميع أهالي أغدامس وخاصة قبائل الحمدان والعتاوة بأن كل من عنده شهادة أو لديه أوراق تخص الرحالة لانج عليه أن يتقدم بها ويدلي بشهادته أمام الباشا أو أمام قاضي أغدامس الشيخ علي بن مدور إذا تعذر عليه الحضور إلى طرابلس ، وله الأمان التام .

وفي هذا المنشور أيضاً طلب الباشا إلى الشيخ أحمد الحبيب إبلاغ أهالي أغدامس بأن كل شخص لديه معلومات حول هذا الموضوع ويأبى الادلاء بها فسوف يتعرض لعقاب شديد من لدنه ، أما الأشخاص الذين لديهم أوراق ويتم تسليمها إلى المسؤولين ، فسوف ندفع لهم عن كل ورقة مكافأة تقدر بحوالي ألف ريال دورو(*) مع إعفائهم من جميع الضرائب طيلة بقائه في الحكم .

كما طلب يوسف باشا إلى جميع أهالي تلك المناطق البحث والإبلاغ عن أية أوراق كانت متبادلة بين حسونة الدغيس والحارس الذي رافق الرحالة الإنجليزي لانج بعد وفاة الشيخ محمد باباني ، أو أية أوراق جرى تبادلها بين حسونة وأحمد الحبيب وتعهد بدفع مبلغ ألف ريال دور كمكافأة من الحكومة الطرابلسية عن كل ورقة في هذا الخصوص ، ويضاف إلى ذلك رضا الباشا طيلة حياته على هذا الشخص الذي يساهم في الكشف عن حقائق هذا الموضوع .

كذلك أبلغ الباشا في هذا المنشور الأهالي بأنه على آستعداد لتحمل كافة المصاريف اللازمة للبحث عن هذه الأوراق ، وأعلن أن الذي يدفع ريالاً واحداً سينال مائة ريال .

(*) الدورو : عملة ـ كلمة أسبانية Duro معناها صلب أي القطعة الصلبة ، وهي عبارة عن قطعة فضية كانت تساوي أثناء تلك الفترة ربع دينار ذهبي تقريباً وتكتب في العهد القرمانلي دور .

ثم طلب يوسف باشا من قاضي مدينة أغدامس الشيخ علي بن مدور ، أن يفتح سجلاً خاصاً لاستقبال الأشخاص الذين يرغبون في الإدلاء بشهاداتهم حول قضية الرحالة الإنجليزي وخاصة الذين لا يستطيعون الحضور إلى مدينة طرابلس [1].

وبالنسبة للحارس الذي رافق لانج فقد أبلغ الباشا الشيخ أحمد الحبيب يستحسن حضوره إلى طرابلس ، وإذا تعذر ذلك عليه الإدلاء بشهادته أمامه وموافاة الباشا بذلك على وجه السرعة ، وأوضح له كذلك أن ملك إنجلترا يطالبه في إلحاح بضرورة تصفية هذه القضية وإبلاغه بحقيقة الأمر .

لم يكتف وارنجتون بهذه الجهود التي بذلها الباشا ، بل آستخدم سياسة المحاورة والضغط على الباشا مستغلاً محاولاته لتدعيم صداقته بالحكومة الإنجليزية وخاصة على أثر رواج بعض الأنباء حول تحركات محمد علي باشا[*] حاكم مصر التي تقول بأنه يخطط مع الحكومة الفرنسية لمساعدتها في احتلال الجزائر ، ومن ثم مد نفوذه على إيالة طرابلس الغرب

---

(1) IBID., P. 21.

(*) محمد علي : كان أحد جنود القوات العثمانية المحاربة ضد القوات الفرنسية في معركة أبي قير ، وآستطاع النجاة من قبل الأسطول الإنجليزي من القوات الفرنسية التي آنتصرت على القوات العثمانية ، وهو من الجند الذين وفدوا إلى مصر ثم أصبح رئيساً للفرقة الإلبانية ، في التاسع من يوليو سنة 1805 م عين والياً على مصر ، وعندما آستفحل الخصام بين فرنسا والجزائر ، وبيتت فرنسا النية لإحتلال الجزائر عرضت الأمر على محمد علي ، وسمعت إنجلترا بنبأ المفاوضات فوجهت إنذاراً حاسماً إلى محمد علي ، بأنها لا يمكن أن تسمح بتدخله في مشكلة الجزائر ، وستقاوم ذلك بالقوة ، ففشل مشروع محمد علي في آحتلال الجزائر عن طريق أراضي إيالة طرابلس الغرب . أنظر أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، جـ 3 ، ص 971 .

المجاورة لولايته[1] .

وبدأ وارنجتون في مطالبة يوسف باشا بالتحقيق مع وزير خارجيته في الاتهام الموجه إليه في السابق بخصوص أوراق الرحالة لانج .

البدء في التحقيق مع حسونة الدغيس وأخيه :

آستجاب يوسف باشا لمطلب القنصل الإنجليزي وأمر حسونة الدغيس بالحضور في مجلسه والبدء في التحقيق معه بحضور وارنجتون الذي ألقى أسئلة متعددة على حسونة موجهاً له تهمة المشاركة في قتل لانج وآخفاء أوراقه ، وطلب من الباشا آستعمال الشدة أثناء التحقيق وقد رفض حسونة جميع الاتهامات الموجهة إليه إلاّ أنه عندما شعر بآصرار يوسف باشا على ضرورة الاعتراف طلب منه الإذن في الإنصراف ذلك اليوم على أن يعود في اليوم التالي لاستكمال التحقيق .

وفور خروج الدغيس من المجلس آتجه إلى مبنى القنصلية الأمريكية طالباً منها اللجوء لحمايته ، وطلب من القنصل الأمريكي السيد كوكس التوسط له لدى يوسف باشا ، فتقدم القنصل الأمريكي إلى يوسف باشا يطلب له منه العفو والسماح ، على أن يكون تحت حماية العلم الأمريكي .

رفض يوسف باشا هذا الطلب وأبلغ القنصل الأمريكي أن هذه القضية تمس العلاقة الطرابلسية الإنجليزية ، وتخص موضوع الرحالة الإنجليزي لانج ولكن مع ذلك فليس لديه مانع بعد الإستئذان رسمياً من القنصل الإنجليزي وارنجتون وموافاته بمستند رسمي بخاتم القنصلية الإنجليزية ،

---

(1) الدكتور صلاح العقاد ، المغرب العربي ـ الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى ، دراسات في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ـ القاهرة ـ مصر ص 92.

ويتضح ذلك من رسالته إلى القنصل الأمريكي والتي يقول فيها :

« . . . . إلى محب جنابنا والأعز من أحبابنا ككس قنصل المالكان وبعد فقد أتانا جوابك بالأمس وقرأنـاه وفهمنا ما فيه وعرفنا فيه في جانب ولدنا سي حسونة الدغيس فإنه أتى القنصلية محتمياً بكم وطلبتم له منا تذكرة بالأمان وتعلم يا محبنا نحن ما عندنا تقصير في كل حاجة والقويرنو أمتاعك حبيبنا وصاحبنا وقدركم عندنا أكثر من هذه وأما هذه القضية التي طلبتني فيها ما هي إبالاي ولا أمرها راجع لنا هذا الشيء أنت تعرف فيه خصومة مع القويرنو الإنجليز وحتى أنت ما ترضاش يصير الكلام بين القويرنوات الذي هم أصحاب وأحباب إلاَّ إذا كان تأخذ إذن من قنصل الإنجليز في قضية هذا الرجل وتجيب لنا ورقة في ذلك »[1] .

وعندما علم حسونة بذلك الأمر ركب سفينة أمريكية وآتجه إلى المغرب الأقصى ومنها إلى لندن محاولاً شرح قضيته أمام الحكومة الإنجليزية[2] .

وما أن سمع يوسف باشا بذلك حتى أتصل بوارنجتون ، وأبلغه عدم آستطاعته معاقبة حسونة الدغيس بعد أن صار خارج الإيالة الطرابلسية وورد ذلك في رسالة الباشا لورانجتون بتاريخ 27 من رجب سنة 1247 هـ الموافق 11 من يناير سنة 1831 م :

« . . . . وبلغنا الخبر عليه فإنه متوجه إلى لندن فإن هو بلغ هناك يدنا لم تصل عليه وإن قدم علينا نفعلو معه ما يلزمه شرعنا»[3] .

---

(1) F. O. 76 - 26. P. 210.

(2) الدكتور عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في تاريخ المغربي 1816 - 1871 م ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الأولى مارس 1972 ، ص 267 .

(3) F. O. 76 - 29. P. 13.

وقد حاول وارنجتون آستدراج أخي حسونة السيد محمد الدغيس بكافة الوسائل للحصول منه على ما يفيد أنّ حسونة الدغيس قد سلم أوراق لانج إلى القنصل الفرنسي روسو .

وعندما سمع القنصل الفرنسي بهذه الأخبار آستدعى محمد الدغيس إلى مقر القنصلية الفرنسية وحصل منه على تصريح ينفي هذه الإشاعات التي يروج لها وارنجتون ، الأمر الذي أغضب القنصل الإنجليزي ، وعلى أثره طلب من الباشا ضرورة إدانة القنصل الفرنسي ، ولكن يوسف باشا خشي مغبة هذا الإجراء ، وما قد يتبعه من الخصومة مع الحكومة الفرنسية ، مما زاد في غضب وارنجتون فبادر بإنزال علم بلاده وترك مقر القنصلية الإنجليزية ، وآعتكف في بيته بالمنشية(*) .

تأثر يوسف باشا لهذا الإجراء الذي آتخذه وارنجتون وخشي أن تسوء العلاقات الإنجليزية الطرابلسية أكثر من ذلك فأرسل وفداً إليه يطلب منه إعادة علم بلاده على سارية القنصلية ووعد بآجراء أي تحقيق يطلبه مع أي شخص داخل الإيالة الطرابلسية .

آنتهز وارنجتون هذه الفرصة ، وطلب من يوسف باشا الضغط على محمد الدغيس لنفي التصريح الذي أدلى به في القنصلية الفرنسية ، ويدلي بتصريح آخر يقر فيه بأن أخاه حسونة قد سلم أوراق الرحالة لانج .إلى القنصل الفرنسي روسو على أن يكون ذلك بحضور المجلس الشرعي الذي طلب وارنجتون من الباشا دعوته للانعقاد لهذا الغرض .

وافق يوسف باشا على هذا الطلب المقدم من طرف وارنجتون ، وكلف قناصل سردينيا والدنمارك والسويد بآحضار نسخة من التصريح المشار

(*) البيت ، يقع في مواجهة البحر في طريق الشط حالياً بجوار نادي ضباط الشرطة بمنطقة زاوية الدهماني ، وتشغله الآن أسرة ليبية أدخلت عليه بعض الترميمات .

إليه من القنصل الفرنسي روسو الذي رفض هذا الطلب معلناً لهم بأنه تلقى تعليمات من قبل حكومته تمنعه من الإدلاء بأي تصريح ، أو تسليم أية نسخة في هذا الشأن ويتبين ذلك من رسالته إلى القنصل العام لمملكتي الصقليتين وسردينيا بتاريخ 14 من أغسطس سنة 1829 م :

« . . . . لي الشرف بأن أخبرك بأني آستلمت رسالتك في هذا اليوم والتي تطلب فيها مني بآسمك وباسم زملائك قنصلي الدنمارك والسويد ، نسخة من التصريح الذي أدلي به محمد الدغيس إلى القنصلية الفرنسية ، أعلمك بأنني قد آستلمت أوامر من حكومتي تمنعني ذلك وعليه من المستحيل على تحقيق طلبك »[1] .

هذا وقد آستدعى يوسف باشا محمد الدغيس إلى القلعة للتحقيق في الأمر وتم ذلك بحضور وارنجتون حيث صرح محمد الدغيس أمام الحاضرين بأن الأوراق التي وصلت أخيه حسونة من أغدامس تخص الرحالة الإنجليزي لانج ، قد سلمها إلى القنصل الفرنسي روسو مقابل التنازل عن أربعين في المائة من الديون المتراكمة عليه ، وتخص التجار الفرنسيين ، ويفهم من ذلك من النسخة المرسلة من الباشا إلى وارنجتون بخصوص شهادة محمد الدغيس بتاريخ 12 صفر سنة 1245 ، الموافق 14 من أغسطس سنة 1829 م والتي يقول فيها :

« . . . . إن الشهادة التي شهدها علينا سيدنا وجماعته على ما نقلنا عن أخينا سيدي حسونة كان أكواغط الماجور ، آتصل بيهم من الغدامس وخرجوا من يده إلى قنصل الفرانصيص وسبب تسليمهم له أنه ترك له أربعين في المماية من الديون التي مترتبة عليه إلى أهل الفرانصيص فهي كذلك صحيح لا شك ولا ريب شهدت على نفس بنفس وكفى بالله شهيداً »[2] .

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف القنصلية الفرنسية .

(2) F. O. 76 - 26. P. 224.

وقد كتب محمد الغيس هذا التصريح بخط يده وبشهود كل من الحاج أحمد محسن وإبراهيم أبو ميس ومحمد بن زيد الدين لطفي ، وأكد ذلك هذا الخط المذكور البك علي بن يوسف باشا ، كما جاء في الوثيقة المؤرخة في 14 أكتوبر سنة 1829 م ، والتي تقول :

« . . . الحمد لله الخط المذكور أعلاه ، فعلم به أنه ليس محمد أدغيس ، لا شك عندي فيه ولا ريب ، علي بن يوسف باشا قرمانلي » (1) .

هذا كما أنكر محمد الدغيس التصريح الذي أدلى به في القنصلية الفرنسية وكان ذلك أمام المجلس الشرعي الذي آنعقد برئاسة الباشا وبحضور كل من القاضي أحمد بن حسين التوغار قاضي الجماعة لإيالة طرابلس الغرب والسيد عبد الحكيم بن محمد العسوس نائب المحكمة المذكورة والسيد محمد بن المرحوم محمد العسوس ومفتاح هنيدي ومحمد بن محمد المحجوب ، وأقر أمامهم جميعاً بأن التصريح باطل ولا أساس له من الصحة ، وإنما أدلى به تحت تأثير القنصل الفرنسي ، كما أقر بأن حقيقة الموضوع هي ما أدلى به بين يدي يوسف باشا في القلعة ، والتي كتبها بحضور آبنه علي بك ، وكان ذلك بتاريخ 21 من صفر سنة 1245 هـ الموافق 23 من أغسطس سنة 1829 م (2) .

وعلى أثر هذا التصريح الذي أدلى به محمد الدغيس أمام يوسف باشا وورانجتون وإثره أمام المجلس الشرعي للإيالة ، فقد آستشاط القنصل الفرنسي غضباً ، وآعتبر أنه ذلك تم بضغوط من الباشا ووارنجتون وطلب من الباشا ترضيته عن هذه الإهانة التي لحقت به من هذا التصريح ، وتصحيح الوقائع بما يحفظ عليه كرامته .

---

(1) IBID., P. 253.

(2) IBID., P. 269.

ولما لم يستجب يوسف باشا لمطلب القنصل الفرنسي فقد آضطر إلى إنزال علمه على بلاده في الخامس من سبتمبر سنة 1829 م ، وركب سفينة فرنسية كانت راسية بالميناء الطرابلسي وآتجه إلى فرنسا .

وعند وصوله قدم مذكرة تفصيلية عن تصرفات يوسف باشا وميوله نحو الحكومة الإنجليزية وآتهام حسونة الدغيس له في قضية الرحالة الإنجليزي لانج فصممت الحكومة الفرنسية على ضرورة تلقين الباشا درساً قاسياً ورد آعتبار قنصلها .

وقد وجدت الفرصة مناسبة لها بعد أن أتم أسطولها البحري آحتلال أغلب مدن الجزائر : وأصدرت أوامرها إلى قائد الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط بأن يتجه إلى مدينة طرابلس لتهديد حاكمها .

وبعد قليل أقبل الأسطول الفرنسي المكون من سبع قطع بحرية بقيادة « روزاميل Rosamel » ورسا أمام القلعة بميناء طرابلس البحري وآتجه أحد ضباطه نحو القلعة لمقابلة يوسف باشا .

ولكن يوسف باشا رفض مقابلته ، فسلم أوامره إلى وزير الخارجية الطرابلسي الجديد السيد محمد شلبي بيت المال(*) الذي أوصلها بدورة إلى يوسف .

(*) محمد شلبي بيت المال: ابن الحاج إبراهيم شلبي بيت المال، ولد بطرابلس الغرب في أواخر القرن الثاني عشر الهجري الموافق الثامن عشر الميلادي حفظ القرآن وأخذ العلوم الدينية والعربية على علماء طرابلس ، وكان له باع في الأدب فعينته حكومة طرابلس كاتباً في ديوان الرسائل ثم رئيساً لها ، وقد آختاره يوسف باشا أن يكون الوزير الأكبر لطرابلس ، وبقي في هذه الوزارة عدة سنوات: وسافر خلالها إلى كل من إيطاليا وفرنسا سنة 1831 م لأمور سياسية ، وتولى عقد آتفاقات بين الدولتين وحكومة طرابلس ، أنظر طاهر أحمد الزاوي ، أعلام طرابلس ، ص 320 .

وعندئذ آضطر الباشا إلى تكليف محمد شلبي بالتفاوض مع قائد الأسطول الفرنسي ، ثم جرت بينهما مباحثات تشدد فيها القائد الفرنسي .

ورغم أن يوسف باشا أظهر عدم رضاه عن بعض الشروط الفرنسية ، ولكنه إزاء هذا التصلب الفرنسي آضطر للموافقة عليها لتجنب دخول حرب مع الأسطول الفرنسي .

وكانت المادة الأولى من هذه الإتفاقية تنص على أن يعتذر الباشا الطرابلسي للقنصل الفرنسي روسو عن الإتهامات التي وجهت إليه بخصوص قضية الرحالة الإنجليزي لانج ، وفي حالة عودة القنصل الفرنسي إلى طرابلس يقوم الابن الأكبر للباشا أو أحد أقاربه بتقديم الإعتذار له ، وهذا يتضح من الإتفاقية الفرنسية الطرابلسية المبرمة بتاريخ 11 من أغسطس سنة 1830 م والتي جاء فيها :

« .... يعتذر باشا طرابلس لقنصل فرنسا ويأسف له عن المفتريات التي قيلت في حقه ، وعندما يتسلم القنصل الفرنسي عمله من جديد يرسل الباشا أحد أبنائه أو إصهاره إليه ليطلب العفو عما صدر منه ويوفى بالترضية اللازمة »[1] .

كما نصت بقية المواد على ضرورة دفع ديون التجار الفرنسيين في أسرع وقت ممكن ودون تأخير ، وإيقاف عمليات الغزو والجهاد ضد الأساطيل الأجنبية في البحر الأبيض المتوسط ، والتخلي عن آسترقاق المسيحيين بصفة عامة ، مع دفع نفقات قدوم الأسطول الفرنسي إلى ميناء طرابلس .

---

(1) F. O. 76 - 28. P. 140 - 153.

أثر الاتفاقية الفرنسية الطرابلسية على العلاقات الطرابلسية الإنجليزية :

وقد أثارت هذه الاتفاقية غضباً شديداً لدى القنصل الإنجليزي وخاصة ما نصت عليه المادة الأولى منها ، فقد أعتبرها وارنجتون إهانة وجهت إليه بطريق غير مباشر من قبل القنصل الفرنسي ، وقدم أحتجاجه على ذلك لدى يوسف باشا ، وطلب إلغاء هذه الإتفاقية وخاصة المادة الأولى منها كما ورد في رسالته بتاريخ 9 من ديسمبر سنة 1830 م ، ولكن يوسف تباطأ في تنفيذ طلبه خشية إساءة العلاقة من جديد بينه وبين الحكومة الفرنسية .

كما أوضح يوسف لوارنجتون في رسالته بتاريخ 7 رجب سنة 1247 هـ بأن هذه الشروط المتفق عليها بين إيالة طرابلس الغرب والحكومة الفرنسية لن يكون لها أي تأثير ضار على العلاقة الإنجليزية الطرابلسية الراسخة من عهد الآباء والأجداد، والتي يقول فيها :

« . . . حضرة محب جنابنا والمبجل عندنا من أحبابنا والعزيز علينا من أصحابنا المحب المخلص قنصل جنرال الإنجليز ، السلام اللايق بالجناب والمخصوص بمن سلك من الأحباب ، وبعد قبلنا الورقة أمتاعك المؤرخة في 9 ديسمبر الذي أنت درت علينا فرتيستو على الأربعة عشر شرطاً الذي درنا مع محبنا الفرنسيس ، نحن يا محبنا هذه الشروط لا حملناهم عليكم ولا على ناسكم ، ونعرف الطراطاتوا الذي عملناه مع القويرنوا متاعكم دايما إن شاء الله نزيدوا في الصحبة ما ننقصوا » [1] .

وأكّد الباشا الطرابلسي لوارنجتون إن هذه الإتفاقية لا تتعارض مع أي بند من بنود الإتفاقيات المبرمة بين طرابلس وأنجلترا ، ولن تمس مصالح التجار الإنجليز الموجودين بإيالة طرابلس .

كذلك أوضح الباشا لوارنجتون أنه في حالة صدور أي قرار بتطبيق

---

(1) F. O. 76 - 29. P. 140 - 153.

ضرائب جمركية على التجارة في المدينة فسوف يكون للتجار الإنجليز أفضلية على بقية الرعايا الأجانب الآخرين الذين يشتغلون بمهنة التجارة داخل حدود الإيالة الطرابلسية ، وذلك تطبيقاً للإتفاقيات المبرمة بين البلدين .

وفي هذه الرسالة حذر يوسف وارنجتون من الإقدام على أي فعل قد يؤثر على آقتصاد الإيالة الطرابلسية أو يقلل من إيرادات خزينة الإيالة ومن ذلك محاولة التأثير أو الإمتناع عن ضريبة الخمور المعمول بها في الإيالة فهذا أمر مرفوض تماماً .

هذا كما لفت الباشا نظر وارنجتون إلى الممارسات الخاطئة التي يباشرها التجار الإنجليز في محلاتهم ومعاملاتهم التجارية ، وفي الأسواق العامة إذ يتعمدون أحياناً الغش في الكيل والميزان في عمليات البيع والشراء ، وهذا الأمر لا يمكن القبول به وسوف يعاقبون عليه مستقبلاً إذا آستمروا على هذا النحو نظراً لكثرة الشكاوي التي وردت من أهالي مدينة طرابلس في هذا الشأن وذلك لتجنب وقوع مصادمات قد تحدث بين الأهالي وهؤلاء التجار الإنجليز .

وبقصد إبعاد الشك عن تصرفات ابنه الأكبر علي بك عند تطبيق مثل هذه الإجراءات القانونية على تجار المدينة ، وزيادة في ترضية القنصل الإنجليزي ، فقد سمح الباشا لأول مرة لوارنجتون بأن يكلف أحد الأفراد الموثوق بهم لدى القنصلية الإنجليزية لمرافقة آبنه علي بك عند قيامه بهذه الجولات الميدانية بالمدينة [1] .

هذا ولم يدخر يوسف باشا وسعاً في ترضية وارنجتون بكل الوسائل ، ومن ذلك مبادرته إلى ملك فرنسا لاستبدال القنصل الفرنسي روسو الذي

---

(1) IBID., P. 430.

سبب الكثير من المشاكل مع القنصل الإنجليزي ومع أعيان الحكومة الطرابلسية .

وقد آستجاب الملك الفرنسي بطلب يوسف باشا ، وتم تعيين قنصل جديد بدلاً منه هو السيد « شوبيل(*) Shoubel » الذي آستراح إليه الباشا كثيراً في بادىء الأمر ، ولكن عندما طلب الباشا من القنصل الفرنسي الجديد تغيير بعض نصوص الإتفاقية المشار إليها وخاصة فيما يتعلق بدفع القسط الثاني من الديون الفرنسية المفروضة على الحكومة الطرابلسية ، رفض شوبيل ذلك وأشار على الباشا بوضع نظام جمركي جديد قد يساعده على حل الأزمة المالية التي تعاني منها خزانة الإيالة [1] .

وقد قبل يوسف باشا هذا الاقتراح ، وتم وضع نظام جمركي جديد وأمر بضرورة تطبيقه على جميع الرعايا الأجانب والوطنيين .

كانت المادة الأولى من هذا النظام تنص على تحصيل ضريبة قدرها ثلاثة في المائة على جميع أصناف الخمور المستوردة من خارج الإيالة .

وهذا الأمر لم يرض التجار الإنجليز المستوردين للخمور وسارعوا بالشكوى إلى وارنجتون الذي آستجاب لشكواهم وأعلن عن عدم رضاه عن هذا النظام الجمركي الجديد .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد كتب وارنجتون منشوراً علقه على باب القنصلية الإنجليزية ، آتهم فيه الحكومة الطرابلسية بسوء معاملة التجار الإنجليز وآعتبر النظام الجمركي الجديد يتضمن الظلم والاجحاف للتجار

(*) شوبيل : وصل شوبيل إلى طرابلس يوم 29 من يونيو سنة 1831 م ، وفي أول يوليو آستقبل في حفل رسمي بهيج من قبل يوسف باشا . أنظر إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 41 .

(1) عمر علي بن إسماعيل ، أنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ، ص 244.

الإنجليز ، وطلب من يوسف باشا إلغاء هذا النظام على الفور ، ويفهم ذلك من رسالة الباشا لوارنجتون بتاريخ 18 من ربيع الأول سنة 1247 هـ والتي يقول فيها :

« . . . وبعد فقدوم جوابكم سابقاً في شأن السدت الإنجليز وجاوبناكم عنه ، والآن بلغنا على أنكم كتبتم في باب القنصلارية أننا ظلمنا سدت الإنجليز وفيه أمتاع الجمارك »[1].

ولقد حاول يوسف باشا اقناع وارنجتون بأن هذه الإجراءات الجمركية الجديدة التي آتخذت إنما هي إجراءات ضرورية تستهدف دعم آقتصاد الإيالة المنهار ، والمساعدة في سداد الديون الإنجليزية والفرنسية المتراكمة على الحكومة الطرابلسية .

كما أوضح الباشا لوارنجتون أنه قد خص التجار الإنجليز دون غيرهم من الأوروبيين بكثير من التسهيلات التجارية ، ولكنه آعتذر عن تمييزهم في هذه الحالة بسبب آرتباطه مع القنصل الفرنسي وبالتالي يسري على بقية القناصل الأجانب دون آستثناء وذلك تمشياً مع الإتفاقيات المبرمة بين البلدين في المعاملات التجارية ، وأبلغه أن رئيس وزرائه السيد إبراهيم أبو ميس على استعداد لتوضيح الأمر في أي وقت ، ويمكنه التباحث معه بخصوصه ويستطيع تشكيل لجنة من الطرفين لحل أي إشكال يمكن أن يحدث حتى لا يؤثر على العلاقات بين البلدين ، ويفهم ذلك من الرسالة التي قدمها الباشا في هذا الشأن لوارنجتون بتاريخ 13 ربيع الأول سنة 1247 هـ :

« . . . وبعد فقد ورد علينا كتابكم وما شرحتم لنا عملناه ، نقولوا لكم على قضية الخمر ، وإن جميع سودتو الإنجليز يعطي ثلاثة في المائة تعلم أيها المحب المبجل أن العمل في هذا الأمر يكون على ما آنعقد بيننا وبين

---

(1) F. O. 76 - 22. P. 247.

الفرنسيس من الشروط في الخمر وغيره مع جميع الإفرنج ، وكما هو معقود في الصلح بيننا وبينكم إنه إذا آنعقد شرطاً مع قنصل من القناصل فيكون غيره عامل به وموافق له ، وهذا الذي لا يخفي عليكم وما عندنا يعرفكم به المنيستر ولدنا سيدي إبراهيم بومويس » [1].

ولم يكتف وارنجتون بذلك ، بل تقدم بآحتجاج آخر إلى يوسف باشا حول إجراءات آتخذت في السابق ضد تاجر يدعى طابوقه كان على علاقة تجارية مع وارنجتون ، الأمر الذي أثار غضب وارنجتون .

وفي هذا الاحتجاج طلب وارنجتون من الباشا ترضيته وآنصاف التاجر المذكور وقد آستجاب الباشا لطلبه وأمر بتكليف أحد حراسه ومعه أحد التجار الإنجليز لبحث هذا الأمر مع التاجر المدعو طابوقه ، وأوضح الباشا لوارنجتون إنه إذا لم يقتنع طابوقه بالحل المعروض عليه ، فيمكن تشكيل لجنة من أربعة أشخاص آثنين من طرف القنصل الإنجليزي وآثنين من أعيان الحكومة الطرابلسية لبحث الموضوع، على أن يكون قرارها نهائياً وملزماً للجميع وكتب رسالة إلى وارنجتون بتاريخ 8 من ذي القعدة سنة 1247 هـ يقول فيها :

« . . . وأجلت آنقضت من يوم السبت الماضي ونحن لزمناهم لرجل آخر من السدتو الإنجليز وعينا له شاويش ليقضي معه في هذا الأمر وإن كان طابوقه ما زال له كلام ها هو نعينوا أربعة أنفار من أهل المعرفة لفصل قضيته وقطع النزاع فيما بيننا وبينه آثنين من طرفنا وآثنين من طرفكم والذي له حق يتمثل به » [2].

---

(1) F. O. 76 - 29. P. 251.

(2) F. O. 76 - 31. P. 123.

الخلاصة :

مما تقدم يتضح أن آستمرار العلاقات الوطيدة بين حكومتي إنجلترا وطرابلس كانت بصفة خاصة نتيجة للمساعدات والتسهيلات التي قدمها يوسف باشا للرحالة الإنجليز الذين وفدوا تباعاً على طرابلس لمواصلة رحلاتهم الكشفية آنطلاقاً من أراضي الإيالة إلى وسط إفريقيا ، فكان الباشا يزود هؤلاء البحارة برسائل توصية إلى زعماء القبائل الموالين له في هذه المناطق ، كما كان يبعث معهم مرافقين من طرفه لإرشادهم في الطرق الصحراوية ولتوفير الحماية لهم حتى الحدود التي يمتد إليها سلطانه ، وقد حققت هذه البعثات الكشفية أعظم النتائج في تاريخ الاكتشافات الإفريقية .

ومن هذه البعثات الكشفية بعثة جوزيف ريتشي وجورج ليون سنة 1818 م . ووصلت إلى مرزق ، وتبعتها بعثة أخرى سنة 1821 م ، ولكن أهم هذه الرحلات كانت رحلة ألكسندر غوردين لانج سنة 1826 م التي سلكت طريق أغدامس ـ توات ـ تمبكتو ، بإرشاد باشا طرابلس ، وآستطاعت أن تصل إلى تمبكتو ، وحققت إنتصاراً كبيراً في تاريخ الإكتشافات الجغرافية في إفريقيا ، كما كانت أول رحلة أوروبية تصل إلى هذه المنطقة من جهة الشمال الإفريقي .

غير أن العلاقات الإنجليزية الطرابلسية لم تلبث أن أصابها شيء من الفتور بسبب مقتل الرحالة لانج ، وضياع أوراقه ومستنداته التي دون فيها نتائج رحلته وآكتشافاته .

وكان وارنجتون يصر على آتهام وزير خارجية الباشا حسونة الدغيس بعلاقته بالمؤامرة التي دبرت لمقتل لانج ، ونسب إليه أنه تسلم الأوراق المفقودة وسلمها بدورة إلى القنصل الفرنسي روسو مقابل موافقة الأخير على تخفيض أربعين في المائة من الديون المتراكمة على حسونة من قبل التجار الفرنسيين .

وبسبب إصرار وارنجتون على التحقيق في هذا الموضوع فلم يمانع يوسف باشا في اجراء التحقيق المطلوب ، وعلى أثر ذلك أسرع حسونة بالإلتجاء إلى القنصلية الأمريكية ثم السفر إلى لندن لتبرئة نفسه أمام المسؤولين الإنجليز ، وتبع ذلك آستدعاء أخيه محمد الدغيس للإدلاء بأقواله في هذا الشأن ، ولكن التحقيق لم يسفر عن نتائج إيجابية تكشف الغموض حول هذا الحادث ، وبسبب تضارب التصريحات التي أدلى بها القنصل الفرنسي والقنصل الإنجليزي حول هذا الموضوع .

ومن جهة أخرى تسببت المعاهدة الفرنسية الطرابلسية التي عقدت في هذه الفترة في زيادة التوتر بين إيالة طرابلس وآنجلترا ، ومع ذلك فقد سعى يوسف باشا لإزالة هذا الضباب الذي طرأ على العلاقات بين البلدين ، وأكد لوارنجتون أن هذه الإتفاقية لا تمسه شخصياً ولا العلاقات والمصالح الإنجليزية ، ووعد بمنح التسهيلات اللازمة للتجار الإنجليز وتفضيلهم في المعاملات على سائر التجار الأوروبيين.

وبقصد إزالة الشكوك التي أحاطت بالقنصل الفرنسي روسو ، فقد طلب الباشا من الملك الفرنسي تغييره ، وآستجابت الحكومة الفرنسية لهذا الطلب .

الفصل الخامس

العلاقة الطرابلسية الانجليزية في أواخر عهد يوسف باشا

(1831 م – 1832)

- تمرد عبد الجليل بن سيف النصر على يوسف باشا ومحاولة تقربه من القنصل الإنجليزي .
- محاولة وارنجتون التوسط بين يوسف باشا وعبد الجليل بن سيف النصر .
- المطالبة بسداد الديون الإنجليزية وأثرها على العلاقات الإنجليزية الطرابلسية .
- بدء تدهور العلاقات الإنجليزية الطرابلسية .
- إيقاف العلاقات الإنجليزية وأثرها على حكومة طرابلس .
- إندلاع الفتنة في المنشية والساحل وتخلي يوسف باشا عن الحكم لابنه وولي عهده علي بك .

واجه محمد الأمين الكانمي حاكم بورنو(*) فتنة قام بها الأهالي ضد حكمه، وذلك خلال عام 1826 م، ولم تتمكن قواته من القضاء على هذه الفتنة، مما آضطره إلى طلب المساعدة من صديقه يوسف باشا الذي لبى نداءه، وسارع بإرسال نجدة قوية إليه بقيادة الشيخ عبد الجليل بن غيث(**) بن سيف النصر زعيم منطقة ورفلة وبني وليد.

(*) بورنو: إحدى مدن السودان القريبة من حدود إيالة طرابلس الغرب من جهة الجنوب وكان بين حاكمها محمد الأمين الكانمي وبين يوسف باشا حاكم إيالة طرابلس الغرب صداقة وطيدة ومحبة قوية. أنظر عمرو علي بن اسماعيل، آنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، ص 251.

(**) عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر: رجل من رجالات العرب المشهورين في طرابلس ونسبه في أولاد سليمان من بني سليم. أنظر طاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، نشر مكتبة الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، الطبعة الأولى سنة 1961 م، ص 151.

وقد تمكنت هذه الحملة في أسرع وقت من إخماد هذه الفتنة ، وإعادة الأمين والنظام إلى المنطقة ، ثم عادت إلى طرابلس محملة بالهدايا تعبيراً عن شكر وآمتنان الشيخ الكانمي إلى صديقه يوسف باشا .

وكان عبد الجليل بن سيف النصر قد نشأ بين أحضان الأسرة القرمانلية على أثر مقتل والده على يد آبن الباشا الأكبر محمد بك أثناء الحملة التأديبية التي جردها ضد أهالي برقة ، ثم تدرج في مناصب الدولة حتى نال ثقة يوسف باشا فأسند إليه قيادة الحملة التي أرسلها لنجدة الشيخ الكانمي ، ومع ذلك فكان عبد الجليل يحمل في نفسه مرارة الحقد والبغضاء لهذه الأسرة بسبب مقتل والده .

تمرد عبد الجليل بن سيف النصر على يوسف باشا وتقربه من القنصل الإنجليزي :

وما أن تحقق له هذا النصر الباهر في حملته المذكورة وعاد وهو يحمل مظاهر العزة والإفتخار حتى أدرك أن الوقت قد آن للإنتقام من قتلة والده ، فبدأ يعمل على كسب ود الأهالي في القبائل المجاورة حتى ضمن ثقة منطقة سرت والشاطىء ، وبدأ بعد ذلك يتحين الفرصة المناسبة لإعلان التمرد ضد يوسف باشا .

وقد كانت الفرصة مواتية له بعد قدوم الأسطول الفرنسي بقيادة روزاميل سنة 1830 م ، وفرضه على الحكومة الطرابلسية شروطاً قاسية بخصوص دفع ديون التجار الفرنسيين ، مما دفع حكومة الباشا إلى فرض المزيد من الضرائب على الأهالي ، وتم تحصيلها أحياناً بالقوة والقهر ، الأمر الذي أثار حقد الأهالي وتسبب في مقتهم الشديد ضد الباشا وحكومته .

وقد آستغل عبد الجليل هذا الغليان الشعبي ، وأعلن تمرده على سلطة يوسف باشا بنواحي ورفلة في البداية ، ثم آمتد تمرده إلى المناطق

المجاورة فشمل معظم مناطق الجنوب حسب رسالة عبد الجليل نفسه إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون المؤرخة في 19 من صفر سنة 1247 هـ والتي يقول فيها :

« . . . وجميع ما تبغوها من بر القبلة خودوها حاضرة ، ولا تبين وإلاَّ ما تبين للذي من طرفكم غير لوموا علينا به تحضر لكم في أقرب مدة من ها هنا إلى بر العبيد » [1] .

وفي الرسالة المشار إليها عرض عبد الجليل على وارنجتون التعاون معه لإقامة علاقات وطيدة بين الطرفين ، وأعلن آستعداده لتقديم كافة ما يحتاجه الإنجليز من الماشية ووسائل النقل من البلاد التي يسيطر عليها ، وذلك بدلاً من يوسف باشا .

وأبدى عبد الجليل لوارنجتون رغبته القوية في إنشاء صداقة مع الحكومة الإنجليزية وتعهد بالوفاء بوعوده لها من منطلق ما وراءه من قوة وعشيرة .

هذا وقد سارع وارنجتون بقبول هذا العرض المقدم إليه من قبل عبد الجليل للإستفادة من نتائجه المنتظرة إلى جانب المنافع الأخرى التي يتحصل عليها الإنجليز من الباشا الطرابلسي .

وفي هذه الأثناء وجه عبد الجليل قوة عسكرية من ثمانمائة مقاتل بقيادة أخيه عمر لاحتلال منطقتي سوكنة وفزان وذلك في 13 سبتمبر سنة 1831 م [2] .

وكان يوسف باشا قد أمر بآستدعاء الشيخ المكني حاكم فزان إلى

---

(1) F. O. 76 - 29. P. 212.

(2) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 47 .

مدينة طرابلس ومنها أوفده إلى مدينة مصراتة للعمل على آستتباب الأمن والطمأنينة بهذه المنطقة ، وخلفه في فزان محمد بن عبد الله الجركسي الذي لم يستطع مقاومة الحملة التي وجهها عبد الجليل إلى هذه الجهة .

وعلى أثر ذلك وجه يوسف باشا فرقتين عسكريتين إحداهما بقيادة آبنه علي بك وتضم العديد من قول أغلية(*) الساحل والمنشية والزاوية والفرقة الثانية بقيادة آبنه إبراهيم وتضم الكثير من قول أغلبية مصراتة والخمس وزليطن ، ووصل عدد القوتين حوالي عشرين ألف جندي ، وأصدر يوسف باشا أمراً لهما بالاتجاه إلى منطقة بني وليد والقضاء على عبد الجليل في الحال [1] .

محاولة وارنجتون التوسط بين يوسف باشا وعبد الجليل :

وقبل أن تغادر القوة العسكرية مدينة طرابلس عرض وارنجتون على يوسف باشا الوساطة بين الجانبين قبل الدخول في معارك دامية تهدر فيها الكثير من الأموال والأرواح ، وقد تفوق أضرارها الفوائد المنتظرة بالنسبة للجانبين . كما أبلغ وارنجتون يوسف باشا بأن عبد الجليل يرغب في إبرام صلح معه وإنهاء المشاكل المعلقة بين الجانبين .

ولكن يوسف باشا لم يوافق على هذا العرض الذي تقدم به

(*) قول أغلية : فأطلق آسم قول أغلى على الأبناء الذين كانوا نتيجة زواج الإنكشارية من النساء المحليات ولقد تكونت جماعات كبيرة من القول أغلية في المنشية والساحل في طرابلس وفي مصراته والزاوية وأجبروا على الخدمة العسكرية وكانوا يتمتعون بآمتيازات كبيرة وببعض الإعفاءات ، وفي عهد الأسرة القرمانلية أطلق الاسم للدلالة على كل أولئك الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية. أنظر ميكاكي ، طرابلس تحت أسرة القرمانلي ، ص 7.

(1) ميكاكي ، طرابلس الغرب، تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 231.

وارنجتون ، واعتبر ذلك مراوغة وضياعاً للوقت لصالح عبد الجليل، فأثار هذا الرفض غضب وارنجتون مما دعاه إلى تحرير رسالة بهذا المعنى إلى عبد الجليل بتاريخ شهر صفر سنة 1247 هـ الموافق لشهر يوليو سنة 1831 م .

وفي هذه الرسالة أبلغ وارنجتون عبد الجليل أن الباشا لم تعجبه محتويات رسالته التي سبق أن أرسلها إليه ، وبدا عليه الغضب الشديد أثناء قراءتها :

« . . . لما الباشا قرأ جوابك ، ولما قرأه كيف ما آنخرص فيه ما جاش على القوزت »[1] .

كما شكر وارنجتون عبد الجليل على المساعدات القيمة التي عرضها عليه في رسالته السابقة بتاريخ شهر يوليو سنة 1831 م ، ووعده بإبلاغ هذا الأمر إلى حكومته بلندن .

هذا وقد بادر عبد الجليل بالرد على رسالة وارنجتون ، وأكد له في رسالته تمسكه بوساطته في النزاع القائم بينه وبين يوسف باشا ، وفي هذه الرسالة حذر عبد الجليل القنصل الإنجليزي من الألاعيب التي عرفت عن يوسف باشا ، ويقوم بها أحياناً بقصد آكتساب الوقت لصالحه ، وهذا ما ورد في رسالة عبد الجليل لوارنجتون بهذا الشأن بتاريخ شهر ربيع الأول ـ سنة 1247 هـ الموافق لشهر أغسطس سنة 1831 م :

« . . . وبيتنا مع كافة تابعين من بني وليد إلى حد بر العبيد كلهم بيتنا معهم على أننا تحت بنديرتكم وكلمتكم ومعكم كلام في أحوال الصلح والطراد غيره ، غير كونوا أنتم على ما أنتم عليه مما ذكرتم وبالكم من الختلة »[2] .

---

(1) F. O. 76 - 29. P. 216.

(2) IBID., P. 283.

وأعلن عبد الجليل في رسالته أنه لن يتخلى عن أرض آبائه وأجداده مهما كانت النتائج ، وأنه على آستعداد لمواجهة أي قوة يحاول يوسف باشا إرسالها إلى المنطقة .

وفي ختام الرسالة أوصى عبد الجليل القنصل الإنجليزي بالإشراف على جميع ممتلكاته وممتلكات أسرته من عقارات ومنازل بمدينة طرابلس وضواحيها وفوضه في التصرف بحرية وفق ما يراه .

كما طلب عبد الجليل من وارنجتون أن يكون دائماً على آتصال به ، وأن يبلغه عن تحركات يوسف باشا العسكرية بصفة خاصة .

وفي أواخر أكتوبر سنة 1831 م تحركت القوات العسكرية التي أعدها يوسف باشا إلى منطقة بني وليد وحدث أول آصطدام بينهما وبين قوات عبد الجليل على بعد ميلين من بلدة بني وليد في المكان المعروف بقليعات الحطابة بأسفل الوادي حيث نزلت قوات الباشا للإستراحة قليلاً ، ففاجأتها قوات عبد الجليل ليلاً ، وآشتبكت معها في معركة حامية آنتهت بارتداد قوات عبد الجليل بعد ثلاث ساعات من بدء القتال تاركين وراءهم الكثير من القتلى في ساحة المعركة [1] .

وفي منتصف نهار اليوم التالي آستؤنف القتال مرة أخرى ثم أوقف في نفس اليوم نتيجة لتدخل أولاد بوسيف(*) وتوسطهم بين الطرفين ، ولكن

---

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، رسالة يوسف باشا إلى محمد الشلبي بتاريخ 6 رجب 1247 هـ الموافق 12 ديسمبر سنة 1831 م ، ص 54 .

(*) أولاد أبو سيف ، هم قبائل رجل يعرفون بالمرابطين ، وآنتجاعهم بمزدة ، ومنهم شعبا بوادي الشاطىء وغيره ، وينتمون إلى جدٍ وافد من المغرب ، وقد قام فريق منهم بالوساطة ورفع رايات الصلح بين الفريقين المحاربين . أنظر دي أغسطين ، سكان ليبيا ، الجزء الأول ، ص 382 — 384 ، وإسماعيل كمالي وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 56 — 57.

عندما آتصل أبناء الباشا بأبيهم أمرهم بالإستمرار في القتال ، وأرسل إليهم نجدات أخرى ودارت معركة حامية الوطيس بين القوتين مرة أخرى تفوقت فيها قوات عبد الجليل وتكبدت قوات الباشا خسائر فادحة مما آضطر يوسف باشا إلى قبول الصلح والموافقة على الوساطة التي عرضها عليه وارنجتون من قبل .

وقد بادر الباشا بإرسال رسالة بهذا المعنى إلى وارنجتون بتاريخ 13 رجب سنة 1247 هـ الموافق 19 ديسمبر سنة 1831 م أبلغه فيها آستعداده بقبول عرضه السابق في شأن الوساطة بينه وبين عبد الجليل ، كما عرض عليه حضور عبد الجليل ، إلى مدينة طرابلس لهذا الغرض وأن يكون تحت حماية العلم الإنجليزي وبضمان الحكومة الإنجليزية [1] .

وفي هذه الرسالة أبلغ الباشا وارنجتون بأنه سوف يحافظ على أسرة عبد الجليل وممتلكاته في حالة موافقته على القدوم إلى طرابلس للتباحث معه بشأن الصلح ، أما في حالة رفضه الحضور إلى طرابلس وآمتناعه عن إنهاء هذا النزاع فإن الباشا لن يتردد في آتخاذ الإجراءات المناسبة ضده ، ورجا الباشا وارنجتون ألاّ يغضب من هذه الإجراءات ، وأبلغه أن تنازله إنما جاء تقديراً وآحتراماً له شخصياً .

قابل وارنجتون موافقة يوسف باشا على وساطته بالرضا والإطمئنان ، وأرسل خطاباً إلى عبد الجليل في الحال بتاريخ 14 من رجب سنة 1247 هـ الموافق 20 من ديسمبر سنة 1831 م أبلغه فيها أنه على آستعداد للمرة الثانية للقيام بمحاولة للصلح وآنهاء الخلاف القائم بينه وبين يوسف باشا ودعاه للحضور إلى مدينة طرابلس للتباحث في الأمر وآتمام الصلح مع يوسف باشا [2] .

---

(1) F.O. 76-29. P. 411.

(2) IBID., P. 445.

وفي هذه الرسالة أبلغ وارنجتون عبد الجليل بأنه إذا تعذر حضوره لأسباب صحية أو لأية أسباب أخرى ، فإنه على آستعداد للإنتقال إليه في منطقة بني وليد للتشاور معه في الأمر بما يضمن سلامته ومصالحه عند قدومه إلى طرابلس .

وفي ختام هذه الرسالة أعرب وارنجتون عن آرتياحه لتوقف المعارك الدامية بين قواته وقوات الباشا وهنأه بسلامته شخصياً من أي أذى أثناء هذه المعارك ، وأنه سوف يتخذ في وساطته موقفاً محايداً بينه وبين الباشا .

هذا وقد جدد وارنجتون نصحه لعبد الجليل موضحاً له أن في هذا الصلح مصلحة له وضماناً لسلامته هو وأهل منطقته .

ومن ناحية أبنائه المقيمين بطرابلس فقد طمأن وارنجتون عبد الجليل على أنهم يتمتعون بصحة جيدة ، ولن يمسهم سوء طالما أنهم تحت حماية العلم الإنجليزي .

وقد رفعت رسالة وارنجتون من معنويات عبد الجليل، وأدرك منها أن يوسف باشا قد فشل في إرسال المزيد من الإمدادات العسكرية إلى أبنائه الذين نزلوا بقواتهم في ترهونة بالقرب من أراضي بني وليد ، وأصبحوا لا يستطيعون البقاء فيها لفترة أطول ولا يمكنهم الاستمرار في الحرب مع قواته لنقص الذخيرة والمؤن التي بأيديهم ، مما دفع يوسف باشا للموافقة على إجراء الصلح وقبول وساطة وارنجتون .

وهذا التفكير من جانب عبد الجليل جعله يركن إلى المراوغة في قبول الشروط المعروضة عليه من طرف يوسف باشا عن طريق وارنجتون وأولاد أبو سيف ، وذلك لكسب الوقت لصالحه ، كما رفض الشرط المتفق عليه في السابق بتسليم أخيه وعشرين رجلاً من أقاربه إلى يوسف باشا كرهينة لحين آتمام الصلح بين الطرفين وبعث عبد الجليل برسالة إلى وارنجتون بتاريخ

19 رجب سنة 1247 هـ الموافق 25 ديسمبر سنة 1831 م بهذا الخصوص قال فيها .

« . . . حتى الباشا الله يهنيه ما صار بيننا وبينه خطأ وإلا يحصل غير وذكرت لنا أن سيدنا لأمك على دخول الصلح بيننا وبينه تعلم يا محبنا في السابق قدموا علينا أولاد سيدي عبد الرحمن بوسيف وتكلموا معنا من وارد الصلح وجاء بدالنا جواب من ولي النعم سيدنا دورمنا الباشا الله أهنيه واحد من خوتي وعشرين تراس من أهل الوطن وألف زاملة أول مرة الناس تصعب عليها الشرط وجرت من هذا المعنا لأن الناس أضعاف وأيديها فارغة »[1] .

وفي هذه الرسالة أيضاً آعتذر عبد الجليل عن القدوم في ذلك الوقت إلى المدينة والتشاور مع يوسف باشا بسبب غضب أهالي منطقة بني وليد على أثر مقتل الكثير من أبنائهم على أيدي قوات يوسف باشا ، وأنهم لا يرتضون الصلح مع الباشا الذي قتلت قواته أبناءهم .

وفي نفس الوقت طلب عبد الجليل من القنصل الإنجليزي التوسط لـدى يوسف باشا بشأن تخفيض الأعداد التي طلبها الباشا من الإبل وقدرها ألف جمل من أهل منطقة بني وليد مقابل إنهاء الحرب ، وأبلغ وارنجتون أنه على آستعداد لتقديم خمسمائة جمل فقط ، لأن الأهالي في هذه المنطقة لا يستطيعون تقديم أكثر من ذلك نتيجة للأضرار الجسيمة التي لحقت بهم من هذه الحرب .

كما شكر عبد الجليل وارنجتون على الجهود الطيبة التي يقدمها إلى أبنائه وأبناء منطقته الذين تم أسرهم في هذه الحرب ، ونقلوا إلى سجن القلعة ثم تمكنوا من الفرار والإلتجاء إلى القنصلية الإنجليزية ، ووضعوا أنفسهم تحت حماية العلم الإنجليزي ، وكان وارنجتون قد أنزل هؤلاء

---

(1) IBID., P. 449.

الأسرى في حديقة القنصلية الإنجليزية بالمنشية وقدم لهم ما يحتاجونه من الطعام والملبس ، ورفض طلب الباشا لتسليمهم إليه ، بل ساعدهم سراً على العودة ليلاً إلى مقرهم الأصلي في بني وليد مما أثار آستياء الباشا .

وفي ختام هذه الرسالة أبلغ عبد الجليل وارنجتون بأنه يستطيع القدوم إلى طرابلس إذا كانت لديه رغبة قوية في حضوره شخصياً ، وإذا حدث ذلك فيكون نزولاً على رغبة وارنجتون ، وليست تلبية لطلب يوسف باشا .

وقد تأثر يوسف باشا من هذه المراوغة التي أبداها عبد الجليل، ورفضه الحضور إلى مدينة طرابلس، فصمم على الإنتقام منه ، ثم عدل عن ذلك بعد قليل وأرسل خطاباً إلى وارنجتون طلب منه الاستمرار في وساطته بين الطرفين ، وكان هذا بتاريخ 22 من رجب سنة 1247 هـ الموافق 27 من ديسمبر سنة 1831 م .

« . . . وبعد أنه أتانا الجواب الذي بعث لنا من الشيخ عبد الجليل وقريناه وفهمنا ما فيه ، وهذا الشيء الذي قلناه ليك في السابق من شأن الصلح بيننا وبينه قاعدين معك في الكلمة نقولوا إليك حتى اليوم »[1] .

وفي الرسالة أيضاً أبلغ الباشا وارنجتون بأنه ما زال على وعده الذي قطعه على نفسه معه بادىء الأمر في الرسالة السابقة بعدم المساس بعبد الجليل في حالة قدومه إلى مدينة طرابلس ، وأنه سيبقى تحت حماية العلم الإنجليزي إلى أن تنتهي المباحثات بين الطرفين .

أما من حيث تخفيض الأعداد المتفق عليها من الإبل ، فقد رفض يوسف باشا التخفيض أو التأجيل في تسليمها رفضاً قاطعاً ، وشرح لوارنجتون بأنه في أمس الحاجة إلى ذلك ، وليس من المعقول أن يضيق الخناق على نفسه ويوسع على عبد الجليل بن سيف النصر .

---

(1) IBID., P. 452.

كما أبلغ الباشا وارنجتون ضرورة رد أموال تجار فزان التي سلبتها قوات عبد الجليل أثناء غزوها لهذه المنطقة ، وتمسك الباشا أيضاً بضرورة آنسحاب قوات عبد الجليل من منطقة فزان مع خلع الحاكم الذي تم تعيينه من طرف عبد الجليل وإعادة حاكمها الشيخ محمد المكني الذي سبق أن عينه يوسف باشا .

كذلك أبلغ الباشا وارنجتون بأنه في حالة تنفيذ عبد الجليل لهذه الشروط فإنه لا يمانع في آستمرار المشيخة لعبد الجليل على منطقة بني وليد على النحو السابق .

وكان آهتمام يوسف باشا بمنطقة فزان(*) كبيراً لأنها مصدر هام لإيرادات خزينة الإيالة وتعتبر مركزاً تجارياً هاماً لتجارة القوافل القادمة من أواسط إفريقيا ومن الشرق والغرب عبر الطريق الصحراوي .

وفي ختام هذه الرسالة أبلغ يوسف باشا وارنجتون بأنه في حالة إصرار عبد الجليل على عدم الحضور إلى مدينة طرابلس فسوف يأمر قواته المتمركزة بمنطقة ترهونة بآستئناف القتال من جديد للقضاء عليه .

أما إذا رغب في القدوم فإن أبناء الباشا سوف يغادرون المدينة إلى الضواحي طيلة المدة التي يرغب فيها عبد الجليل البقاء بطرابلس طالما يعتبرهم مصدر قلق وفزع له .

(*) آستمر حكم فزان لأسرة منتصر بن محمد أحد أشراف مراكش مقدمة فروض الطاعة والضريبة لحكام الدولة العثمانية في طرابلس وآستمر ذلك حتى سنة 1811 م حين قتل يوسف باشا آخر حكام هذه الأسرة وأصبحت خاضعة مباشرة له وعين حاكمها ، وتدخل موارد آقتصادية لخزينة الإيالة بفضل موقعها بين السودان وأواسط إفريقيا والإقليم الساحلي في ليبيا . أنظر د. حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص 172.

وازاء هذا الموقف المتشدد من جانب يوسف باشا ، فقد حرر وارنجتون رسالة مستعجلة في نفس اليوم إلى صديقه عبد الجليل يحذره فيها من التباطؤ في إجراء الصلح ، ويحثه على الإسراع هو أو أخوه عمر في القدوم إلى مدينة طرابلس ، وأكد له آستعداده لحمايته وحماية أخيه في حالة قدوم أحدهما إلى مدينة طرابلس لاتمام الإتفاق مع يوسف باشا في أسرع وقت [1] .

كما أبلغه بالشروط التي عرضها يوسف باشا مؤخراً لإنهاء الحرب بين الجانبين وكذلك موافقته على آستمراره في مشيخة بني وليد في حالة إبرام الإتفاق المنشود .

وفي ختام الرسالة أبلغ وارنجتون عبد الجليل بأنه سيبذل أقصى جهده للمصالحة بينه وبين الباشا في حالة قدومه إلى طرابلس لإنجاز الإتفاق المطلوب .

وإزاء هذه المراوغة التي أبداها عبد الجليل لكسب الوقت لصالحه ، آقتنع يوسف باشا بأن عبد الجليل لا يرغب في القدوم إلى مدينة طرابلس، ولا ينوي التنازل عن الأراضي التي ضمها إليه بالقوة وخاصة منطقة فزان ، فقد آضطر الباشا للإستجابة لما عرضه عليه في هذه الأثناء صهره الشيخ محمد المكني وهو من وجهاء طرابلس الذين كانت لهم صلات تجارية ومصالح آقتصادية بهذه المنطقة والمناطق المجاورة لها من ناحية الجنوب .

وكان الشيخ المكني يلح دائماً منذ أن آحتل عبد الجليل هذه المنطقة على يوسف باشا لإعداد قوة عسكرية يتوجه بها إلى منطقة فزان لطرد المعتدين .

(1) IBID., P. 454 — 455.

وفي 12 مارس سنة 1832 م سافرت القوة العسكرية التي أعدها الباشا بقيادة الشيخ المكني قاصدة فزان ، وتتكون من ألفين وخمسمائة مقاتل [1] .

وتحت ضغط هذه القوة فقد آضطر عبد الجليل إلى الإستعانة بزعماء القبائل الأخرى وحثهم على الإنضمام إليه ضد الباشا ، ولكن لم يؤيده في ذلك إلَّا القليل منهم وعلى رأسهم الطيب محمد بن سعيد المايل شيخ قبائل محاميد أولاد سعيد بن صولا ، وسالم بن عبد الصمد شيخ غريان .

وقد أثارت هذه الدعوة التي وجهها عبد الجليل إلى زعماء القبائل قلق يوسف باشا ، فأربكت الأمور في القلعة مما سهل للأسرى التابعين لعبد الجليل الهرب من السجن ، حيث آتجهوا إلى القنصلية الإنجليزية طالبين حمايتها .

هذا وقد واصلت حملة الشيخ محمد المكني زحفها ، ووصلت إلى سبها ، وحاصروا أتباع عبد الجليل بن سيف النصر لمدة عشرين يوماً وآشتبكوا معهم في عدة معارك، خسر فيها أتباع عبد الجليل(*) الكثير من القتلى والجرحى [2] .

كما آستولت قوات الباشا علي قافلة مكونة من مائة وأربعين جملاً وأسروا رجالها وعددهم أربعون رجلاً ، وهذه القافلة كانت قادمة من ورفلة في طريقها إلى مدينة سبها .

---

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 66.

(2) إسماعيل كمالي، المصدر السابق، رسالة محمد بن الحاج يوسف المكني إلى الحاج محمد بيت المال بتاريخ 4 ذي الحجة سنة 1247 هـ الموافق 6 مايو سنة 1832 م ، ص 78 .

(*) آستمر تمرد عبد الجليل الذي بدأه سنة 1831 م إلى سنة 1842 م .

المطالبة بسداد الديون الإنجليزية وأثرها على العلاقات الإنجليزية - الطرابلسية ؟:

عقب الإتفاق على مبدأ دفع الديون الفرنسية بين يوسف باشا والقنصل الفرنسي شوبيل ، تقدم القنصل الإنجليزي وارنجتون إلى الباشا يطلب ترضية الدائنين الإنجليز ، ولكنه لم يتمكن من الحصول إلاَّ على جزء يسير من مجموع الديون الإنجليزية المستحقة على إيالة طرابلس .

وخلال شهري ديسمبر سنة 1831 ، يناير 1832 م جدد وارنجتون مطالبته للباشا بضرورة سداد هذه الديون ، وآستغل وجود مدمرة إنجليزية في مياه طرابلس للضغط على يوسف باشا في هذا الشأن .

ولكن وارنجتون في كل مرة كان يحصل على قدر يسير من هذه الديون ، الأمر الذي أدى إلى آستيائه ، فأخذ يناوىء الباشا ويتودد علانية على المتمردين ، ويبدي عطفه عليهم ، وخاصة بعد أن شعر بميل يوسف باشا الشديد نحو القنصل الفرنسي وإعطائه الأولوية في السداد للديون الفرنسية .

وفي إبريل سنة 1832 م قدمت إلى ميناء طرابلس من مالطة المدمرة الإنجليزية « كرويطة » بقيادة النقيب « جري Gery » وهي نفس السفينة الحربية التي كانت راسية في ميناء طرابلس في مطلع ذلك العام [1] .

وكان قائد هذه السفينة الحربية يحمل رسالة من نائب قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط إلى يوسف باشا يحتج فيها على المماطلة والتسويف في السداد للديون الإنجليزية المستحقة على إيالة طرابلس ، ويطالب الباشا بتنفيذ الإلتزامات التي سبق أن تعهد بها في هذا الشأن .

---

(1) F. O. 76 - 31. P. 147.

وقد آستقبل وارنجتون قائد السفينة الإنجليزية الحربية بالترحاب على أرض ميناء طرابلس البحري ، وأقام له حفل غذاء في بيته مع أعضاء القنصلية الإنجليزية .

وخلال ذلك أوضح وارنجتون للنقيب جري أن خزينة الإيالة لا زالت مليئة بالأموال وأن يوسف باشا يتعمد المماطلة في دفع الديون الإنجليزية ، كما أكد له عدم آقتناعه بالظروف التي يتحدث عنها يوسف باشا .

وكان وارنجتون قد تلقى في 9 من إبريل سنة 1832 م رسالة من يوسف باشا يعتذر له فيها عن التأخير في سداد الديون الإنجليزية المطلوبة على إيالة طرابلس بسبب التمرد القائم في فزان في ذلك الوقت ، ووعد بسداد المطلوب عندما تتمكن الحملة التي بعث بها إلى هذه المنطقة بقيادة الشيخ محمد المكني من إخماد هذا التمرد [1] .

وبعد ذلك طلب النقيب جري مقابلة الباشا بصحبة القنصل الإنجليزي ، وأثناء المقابلة تعهد يوسف باشا لهما بأنه سوف يدفع مبلغ سبعة وثلاثون ألف وخمسمائة دورو من أصل هذه الديون وتبلغ حوالي تسعين ألف على أن يتم سداد المبلغ الذي عرضه عليهما خلال خمسين أو ستين يوماً من تاريخ هذا الإتفاق المبرم بين الطرفين ويتضح هذا من رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بتاريخ شهر ذي الحجة سنة 1247 هـ الموافق لشهر مايو سنة 1832 م والتي يقول فيها :

« . . . . تعرف أني تكلمت معك ومع القبطان فري متاع الكرويطة ودورت على جميع العمالة جانب فلوس الشرق والمغرب والمدينة ما يقرب من سبعة وثلاثين ألف وخمسمائة دورو إن شاء الله هؤلاء القدر في خمسين وإلّا ستين يوماً نخلصه » [2] .

(1) IBID., P. 104.

(2) IBID., P. 147 - 150.

كما عرض يوسف باشا عليهما آستعداده لدفع سبعة آلاف وخمسمائة دورو لقائد السفينة النقيب «جري» فوراً في حالة موافقتهما على تقسيم الثلاثين ألف على بقية المناطق .

ولكن العروض التي قدمها يوسف باشا لم تلق القبول من جانب وارنجتون والقائد الإنجليزي جري .

ومع ذلك فقد فرض يوسف باشا على ملاك العقارات دفع مبلغ ستة آلاف قرش ، كما أصدر أوامره إلى مشايخ القبائل القريبة والمجاورة من طرابلس بتحصيل أتاوة إضافية على كل شخص بالغ قدرها قرشين كضريبة رأس [1] .

وكان الباشا يقصد من وراء ذلك جمع مبلغ السبعة آلاف وخمسمائة دورو التي تعهد بدفعها إلى القائد جري ، وذلك على وجه السرعة وقبل أن تغادر السفينة الحربية الإنجليزية ميناء طرابلس .

ولكن رغم كل هذه الأوامر والإجراءات تأخر تحصيل هذه الضريبة مما تعذر على يوسف دفع هذا المبلغ إلى قائد السفينة الذي آضطر للرحيل عن المدينة دون الحصول على أي مبلغ .

ومما يذكر أن الأموال التي تم تحصيلها في هذه الأثناء من الضرائب المتنوعة قد أنفقها يوسف باشا على نفسه وعلى أسرته في بذخ على نفس المستوى الذي كان يعيشه خلال السنوات الأولى من حكمه عندما كانت خزانة الإيالة عامرة بالأموال [2] .

---

(1) من هامش إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 70 .

(2) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 235.

تدهور العلاقات الإنجليزية ـ الطرابلسية ؟:

وعلى أثر فشل وارنجتون والقائد جري في الحصول على حل مرض لمشكلة الديون الإنجليزية المستحقة على إيالة طرابلس ، فقد بدأت العلاقات تتدهور بين البلدين وخاصة بعد أن تكرر رفض يوسف باشا لاستقبال وارنجتون أو الاستماع إلى طلباته في هذا الشأن، مما آعتبره وارنجتون إهانة له .

وعلى أثر ذلك ألح وارنجتون على قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط في جزيرة مالطا لإرسال بعض سفن الأسطول الإنجليزي إلى ميناء طرابلس بقصد إرغام يوسف باشا على دفع الديون المطلوبة .

وقد حاول يوسف باشا إصلاح الأمر قبل آستفحاله فكتب إلى وارنجتون رسالة بتاريخ 3 من ذي الحجة سنة 1247 هـ الموافق 5 من مايو سنة 1832 م موضحاً له فيها حقيقة الأمر ، وأنه يأسف لعدم استقباله بسبب مرضه الشديد ولا يقصد من ذلك أية إهانة له وفيها يقول :

« . . . . وأنا لو كان ماني مريض راني قابلتكم بنفس وتكلمت معكم مسافلة لائقة الأمر ، بيد الله سبحانه والملاقاة لها أوقات وسلم لنا على الكماندنت وإذا كان لأزماته حاجة عندنا ما لنا زيادة وربنا يخلص هذه المادة على خير »[1] .

وعلى أثر ذلك التقى وارنجتون بيوسف باشا ودار الحديث بينهما عن حالة آقتصاد إيالة طرابلس من جراء تردد عبد الجليل بن سيف النصر وآحتلاله لمنطقة فزان التي كانت تدر الأموال الكثيرة لخزانة الإيالة ، الأمر الذي تسبب في التأخر عن سداد الديون الإنجليزية .

---

(1) F. O. 76 - 31. P. 147.

كما عرض يوسف باشا خلال هذه المقابلة على وارنجتون بأنه يرغب على آطلاع الحكومة الإنجليزية على هذا الأمر ، الذي لا شك أن وارنجتون على دراية به، وأن الحكومة الإنجليزية وعلى رأسها الملك الإنجليزي وليم الرابع سوف تقتنع بالأحوال الراهنة وتوافق على تأجيل سداد هذه الديون لحين إنهاء التمرد الذي يقوده عبدالجليل .

كذلك أشار يوسف باشا إلى المعاملات التجارية المتعددة التي جرت مع التجار الإنجليز منذ تولي وارنجتون منصبه كقنصل لإنجلترا في طرابلس، حيث كان سداد المبالغ المطلوبة يتم دون تأخير وفي المواعيد المحددة .

وأوضح الباشا أن الظروف التي حالت دون سداد الديون الحالية إنما هي ظروف طارئة ، ولذلك يطلب الموافقة على تقسيطها على دفعات بحيث يسهل سدادها في أوقات غير متباعدة .

ونظراً لتناقص إيرادات إيالة طرابلس من كل ناحية ، فلم يعد الباشا قادراً على توفير رواتب حراسة ومصروفات قصره إلى جانب محاولة تجميع المبالغ المطلوبة لسداد الديون الإنجليزية وغيرها ، إلى أن يبيع بعض أثاث القلعة إلى التجار الأوروبيين ، وإلى تحويل بعض المدافع النحاسية والبرونزية بالقلعة ، وكميات من الذهب والفضة التي بخزائن الإيالة ، وبعض المصاغ الذي يستعمله نساؤه إلى عملة للبلاد .

كذلك آضطر يوسف باشا إلى آستبدال العملة النقدية الحالية أكثر من مرة ، وإلى التنازل عن كثير من ممتلكاته وأملاكه العقارية وأملاك الإيالة الطرابلسية ومن بينها دور عدد من القنصليات الأجنبية [1] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد آضطر الباشا إلى منح الكثير من الإمتيازات

---

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 82.

للشركات الأجنبية والتجار الأوروبيين بصفة عامة مقابل مبالغ بسيطة بقصد الحصول على أكبر قدر ممكن من المال .

محاولة عسكرية إنجليزية جديدة للضغط على يوسف باشا لسداد الديون المطلوبة .

ولم يقتنع وارنجتون بالأحوال السيئة التي آلت إليها الإيالة في ذلك الوقت ، بل عاود ضغوطه على يوسف باشا لسداد أكبر قدر من هذه الديون .

ففي 12 من يوليو سنة 1832 م تقدم وارنجتون وهو غاضبٌ إلى الباشا بطلب سداد مبلغ أربعين ألف دورو فوراً مستحقة للدائنين الإنجليز ، وهدد بقطع العلاقات مع الإيالة في حالة الرفض .

وقد فشل الباشا في تهدئة وارنجتون وطمأنته على نيته في سداد جانب من هذه الديون ، ولكن وارنجتون تمسك بمطلبه وكتب إلى حكومته لإرسال بعض قطع الأسطول الإنجليزي إلى مياه طرابلس لتشديد الضغط على يوسف باشا وإرغامه على السداد .

وبعد ذلك بعدة أيام وصلت إلى ميناء طرابلس ثلاثة قطع من الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط وهي عبارة عن مدمرتين وطراد ، بقيادة « دونداس Dundas » وقد سارع وارنجتون باستقباله ومن معه على أرض ميناء طرابلس البحري بحفاوة وترحاب واتجه بهم إلى منزله بالمنشية [1] .

وفي اليوم التالي توجه وارنجتون وبصحبته دونداس إلى القلعة لمقابلة يوسف باشا وفي هذا اللقاء تم تسليم الباشا إنذاراً من طرف ملك إنجلترا بأن يدفع الديون الإنجليزية المتراكمة خلال الثماني وأربعين ساعة التالية ، على

---

(1) F. O. 76 - 31. P. 221.

أنه في حالة الامتناع عن الدفع خلال هذه الفترة فسوف تتخذ الحكومة الإنجليزية الإجراءات التي تراها مناسبة وتحدد فيما بعد .

وقد حاول يوسف باشا إنقاذ الموقف وإقناع القنصل الإنجليزي والقائد دونداس بقبوله استلام مبلغ سبعين ألف دورو بعد خمسة عشر يوماً من هذا التاريخ ، وتعهد بدفع العشرين ألف دورو الباقية من جملة هذه الديون بعد أربعين يوماً .

أما الديون التي تراكمت عن طريق التذاكر فقد عرض الباشا تسديدها بعد سنتين على أقساط طيلة هذه المدة ، على أنه في حالة التأخر في دفع أي قسط فسوف يتحمل خسارة مقدارها ستة في المئة تعهد بدفعها بعد اتمام سداد المبلغ الإجمالي لهذه الديون .

وبهذه المناسبة طلب الباشا من وارنجتون الحد من التعامل عن طريق التذاكر وأن يكون ذلك بموافقة الباشا حتى لا يتسبب ذلك في تراكم الديون الإنجليزية مستقلاً ويتبين ذلك من رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بتاريخ 18 من صفر سنة 1248 هـ الموافق 18 من يوليو سنة 1832 م ويقول فيها :

«. . . . نقدر نعطيكم الكلمة الصحيحة الذي نلموا على خمسة عشر يوماً من يوم الذي ترضون به تسعين ألف دورو أما سبعين ألفاً من هذا الشيء المذكور أعلاه، وأما عشرين ألفاً على أربعين يوماً وهذا العدد على التذاكر التي مضت أجلتهم وأما التذاكر الفاضلة والتذاكر التي أحلتهم باقية نعملوا فيهم تجريدة جديدة على الصح ، ونضنوا نحن وعمالتنا الذي نخلصوا الأكثر من الذي نقدروا عليه إلى تمام العامين أما من يوم التاريخ إلى تمام أجلة الخلاص نؤدوا ستة في المائة خسارة الذي توقف أجلته ولم يخلص. . ونحن نطلبوا منكم في الزمان الآتي الذي تحسبوا علينا التذاكر متاع الناس البرانية التي يشترونها السودتو متاعكم إلاّ برهاناً لأن هذا الشي يكثر به الدين

علينا وتنقص كلمتنا معكم في الشروط »[1] .

هذا ولم يلق العرض الذي قدمه يوسف باشا القبول من جانب وارنجتون ودونداس ،

وكان طبيعياً أن يعجز الباشا عن سداد الديون المطلوبة خلال تلك الفترة القصيرة وهي مدة الثماني والأربعين ساعة التي حددها الإنذار المشار إليه .

إيقاف العلاقات الإنجليزية وأثرها على حكومة طرابلس :

ولم يبق أمام وارنجتون إلاّ أن ينزل علم بلاده من فوق القنصلية الإنجليزية إيذاناً بقطع العلاقات الإنجليزية مع إيالة طرابلس[2] .

وقد تأثر يوسف باشا لذلك وحاول أن يثني وارنجتون عن عزمه، وطلب إليه إبلاغ حكومته عن الظروف الصعبة التي تمرّ بها البلاد منذ عام ونصف العام ، مما أضطره إلى تأخير سداد الديون المطلوبة .

وأمام هذا التصلب الذي أبداه وارنجتون أمر يوسف باشا بعقد آجتماع طارىء لديوانه فوراً ، وحضر هذا الاجتماع كل أفراد أسرته ومشائخ القبائل القريبة من المدينة، وآتفق جميع الحاضرين على دعوة القنصل الإنجليزي إلى القلعة للتشاور معه بالخصوص قبل أن يقدم على آتخاذ أي إجراء قد يزيد الأمر سوءاً وتوتراً بين البلدين .

رفض وارنجتون الدعوة وأبلغ رسول الباشا إعلام الديوان ويوسف باشا بأنه مصمم على تنفيذ مطلبه، وهدد بأن الحكومة الإنجليزية سوف توضح

---

(1) IBID., P. 191 - 192.

(2) حسن الفقيه حسن ، اليوميات الليبية ، جـ 1 ، رقم اليومية 1574.

موقفها في أقرب وقت .

وعندما سمع يوسف باشا هذا التهديد الذي تفوه به القنصل الإنجليزي آزداد غضباً وتوتراً وكتب له خطاباً آخر وأمر الرسول بآبلاغه له في الحال ، وفيه أعلن آستعداده لدفع مبلغ مئة ألف ريال دورو بعد خمسة عشر يوماً من هذا التاريخ وذكر الباشا أن هذا المبلغ سوف يتم جمعه بآستخدام كل ما لديه من ذهب وفضة ومـــدافع نحاسية وسفن من ممتلكات أفراد أسرته [1] .

ورغم كل ذلك فقد رفض القنصل الإنجليزي الإستجابة لعرض يوسف باشا الجديد ويفهم ذلك من رسالة يوسف باشا المؤرخة في 23 من صفر سنة 1248 هـ الموافق 23 من يوليو سنة 1832 م إلى القنصل الإيرلندي الذي فوضه وارنجتون برعاية المصالح الإنجليزية بإيالة طرابلس الغرب ، وفي هذه الرسالة يقول الباشا :

« . . . قمت أنا لميت في ساعة عيلتنا ومخازنيتنا من مشايخ ناسنا لأجل تجمعوا جميع على هذه المعنى وكتبنا ورقة لقنصل الإنجليز لأجل يتفضل علينا ، وهو ما رد لنا جواب غير قال بالصبح الكلام وليصفـي هذه الأمور ، وبعد لميت مخازنيتي وجميع ناس مرة أخرى وبعدما حملنا كل جهدنا كتبنا له ورقة أخرى وقلنا له نعطوه في خمسة عشر يوماً من التاريخ ماية الف ريال دورو حاضرة وهذا العدد لموه من جميع صياغتنا ومراكبنا وجانب مدافع نحاس وحتى هذا الشيء ما رضى ويبغي يسافر » [2] .

وفي ختام هذه الرسالة طلب يوسف باشا من القنصل الإيرلندي بصفة شخصية إبلاغ الحكومة الإنجليزية والملك الإنجليزي بالظروف الصعبة التي تعانيها البلاد منذ عام ونصف العام .

---

(1) حسن الفقيه حسن ، المصدر السابق ، رقم اليومية 1573.

(2) F. O. 76 - 31. P. 221 — 224.

وفي حالة عدم تمكنه من إبلاغ ذلك الأمر إلى الجهات المختصة عن طريقه مباشرة فقد رجاه الباشا الإلحاح على صديقه وارنجتون لإرسال نسخة من الرسالة المشار إليها مختومة بخاتم القنصلية الإيرلندية ، ليبعث بها بدوره إلى الحكومة الإنجليزية على وجه السرعة ، وذلك رغبة في آستمرار العلاقات السياسية والاقتصادية على النحو المرضي بين البلدين .

وطلب الباشا من القنصل الإيرلندي موافاته بنسخة معتمدة من هذه الرسالة التي يرجو تسليمها إلى القنصل الإنجليزي لتكون شاهداً على هذا الموقف .

محاولة يوسف باشا لإعادة العلاقات مع إنجلترا :

ولهذا الغرض فقد أوفد يوسف باشا آبنه الأكبر علي بك إلى وارنجتون في بيته بالمنشية حيث لم يغادره بعد، وحمله رسالة منه إليه يرجوه فيها الإبقاء على العلاقات بين البلدين ، وإعادة العلم الإنجليزي إلى موضعه فوق القنصلية الإنجليزية في أقرب وقت كما كان في السابق، ويتضح هذا من الرسالة التي أرسلها يوسف باشا إلى وارنجتون بتاريخ 24 من صفر سنة 1248 هـ الموافق 23 من يوليو سنة 1832 م والتي يقول فيها :

« . . . وتطلبكم أن تردوا النبنديرة متاعكم في مطراحها ، وترجع المحبة بيننا وبينكم وبين القويرنوا متاعكم مثل قبل »[1] .

وفي هذه الرسالة أيضاً عرض يوسف باشا آستعداده لدفع الدين القديم ، ويبلغ حوالي الثمانية والتسعين ألف ريال دورو بما فيهم قيمة كميات من الذهب والفضة وتذاكر وغيرها ، ويضاف إلى ذلك مبلغ عشرين ألف ريال دورو من قيمة الدين الجديد .

---

(1) IBID., P. 228.

على أنه في حالة رفض وارنجتون لهذا العرض ، فقد طلب الباشا مجدداً تحكيم الملك الإنجليزي في الأمر باعتباره صاحب حق وعدل وموضع ثقة من الباشا .

ويعتقد الباشا أن الملك الإنجليزي لا يرضيه قطع العلاقات بين البلدين ، وأنه سوف يقبل عذره في التأخر عن دفع الديون الإنجليزية في حالة معرفته للظروف الإقتصادية الصعبة التي تمر بها إيالة طرابلس في السنتين الأخيرتين لهذه الفترة .

ولما لم ترد موافقة من وارنجتون على العرض الأخير الذي تقدم به يوسف باشا على يدي ابنه علي بك ، فقد خشي الباشا آحتمال إقدام بعض وحدات الأسطول الإنجليزي على عمل حربي ضده في أقرب وقت .

ولمواجهة هذا الموقف العصيب ، فقد قرر الباشا بالإتفاق مع وزيره إبراهيم أبو ميس وشيخ البلاد أحمد بن لطيف فرض ضريبة إضافية على المباني والأرباح التجارية لسكان المدينة .

كما قرر فرض ضريبة أخرى على بساتين وآبار القول أغلية من سكان منطقة الساحل والمنشية ، وهؤلاء كانوا حتى ذلك الوقت مستثنين من جميع الضرائب بمختلف أنواعها بآعتبارهم يكونون القوات العسكرية للإيالة [1] .

أندلاع الفتنة في المنشية والساحل بمدينة طرابلس :

وما أن بلغ هذا الأمر إلى القول أغليـة بالمنشية والساحل حتى آحتجوا على هذا الإجراء ورفضوه ، وأعلنوا إنهم لن يدفعوا أي قرش في هذا الخصوص ، بل إنهم رفضوا منذ ذلك اليوم الدخول إلى المدينة وآعتزموا

---

(1) ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 236 .

عدم الإشتراك في سوق الثلاثاء(*) الذي آنعقد كالمعتاد أمام القلعة في الرابع والعشرين من يوليو سنة 1832م ، وقد أثار مسلك القول أغليـة قلق يوسف باشا وخشي عواقب ذلك ، فسارع إلى إلغاء هذه الضريبة الجديدة ، وأعلن أنه لن يطالب القول أغلية مستقبلاً بأية ضريبة مهما كان نوعها ، وتحت أية ظروف [1] .

ولكن القول أغليـة لم يأبهوا لسحب قرار الضريبة التي آعتزم الباشا تحصيلها منهم ، وذلك بتشجيع من وارنجتون الذي كان يحرضهم على العصيان وعدم الإعتراف بقرارات وإجراءات الباشا .

ولم يلبث أن تصاعد عصيان القول أغلية ، ففي آجتماع عام عقدوه بالقرب من ضريح سيدي الصيد بالساحل في يوم 28 من يوليو سنة 1832م قرروا فيه خلع يوسف باشا ومبايعة حفيده محمد باي خلفاً له ، كما آتفقوا على خلع ولي العهد علي بك وتعيين أخاه أحمد مكانه ، وجعلوا مقر حكومتهم في بستان الباشا بالمنشية .

ولم تجد شيئاً محاولات يوسف باشا لإخماد هذه الفتنة التي آتسع نطاقها بعد قليل ، وخاصة بعد أن آستولى الثوار على نقطتين محصنتين هم برج العوينة ، وبرج الشعاب وصوبوا مدافعهم تجاه المدينة وشرعوا في

(*) سوق الثلاثاء: كان بطرابلس سوقان تردد ذكرهما كثيرا بسجلات محكمة طرابلس الشيرعية ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، يعقد أحدهما يوم الثلاثاء وكان موقعه الأول ما بين السراي الحمراء وحديقة البلدية في الوقت الحاضر ، وآستمر هذا حتى العهد الإيطالي ، ويعقد الثاني يوم الجمعة ، ويقع إلى الشرق من مدينة طرابلس ببضعة كيلومترات ، وقد حملت المناطق المحيطة بموقع السوقين آسميهما إلى وقتنا الحاضر .

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 83 . وحسن الفقيه حسن ، اليوميات الليبية ، جـ 1 ، رقم اليومية 1592.

قصف أسوارها [1].

وفي هذه الأثناء بعث يوسف باشا برسالة إلى وارنجتون بتاريخ 28 من صفر سنة 1248 هـ الموافق 27 من يوليو سنة 1832 م يرجوه فيها أن يلتمس له الأعذار بسبب ظروف هذه الفتنة ، ويعتقد الباشا أن وارنجتون لن يتأخر عن مساعدته بجنوده الموجودين بالمراكب الإنجليزية الراسية بميناء طرابلس وجاء فيها :

« . . . . والآن يا محبنا حلت بنا هذه التي تشاهدونها عياناً بسبب ذلك والآن أنكم تعذرونا وترثوا لنا نظراً لما بيننا وبينكم . . . القديمة ولو طلبنا فضلكم تعينونا بالقول والفعل ، ولو بعساكركم الموجودة بمراكبكم التي بالمرسى إن شاء الله ربنا يطفي نار هذه الفتنة ونسعوا في خلاصكم بما أمكن » [2] .

وفي ذلك الوقت فهم وارنجتون أن يوسف باشا ليست له القدرة على دفع الديون الإنجليزية ، بعد أن أصبحت خزائنه خاوية على أثر الفتنة الأخيرة التي سببت له متاعب جمة ، حتى أنه لم يستطع صرف رواتب الجند المقاتلين معه ضد المتمردين .

وعلى أثر ذلك فقد غادر وارنجتون طرابلس إلى صفاقس(*) بتونس في 7 من أغسطس سنة 1832 م رغم تعلله بادىء الأمر بإصابة أحد بناته بمرض

---

(1) حسن الفقيه حسن ، اليوميات الليبية ، جـ 2 رقم اليومية 1 ويتبع هذا الرقم الجزء الأول من اليوميات الليبية التي لم يبدىء في تحقيقها حتى الآن .

(2) F. O. 76 - 31. P. 254.

(*) صفاقس : تقع مدينة صفاقس بالإيالة التونسية وتقع شرقي تونس وتطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتربطها بطرابلس علاقات تجارية وهجرات متبادلة. ويحدها ولايتي سوسه والقروان شمالاً وولاية قابس جنوباً وولاية قفصة غرباً (حالياً). أنظر أبو بكر عبد الكافي ، تاريخ صفاقس ، جـ 1 ، ص 20.

مفاجىء يمنعها الإنتقال والخروج من البيت ، وظل هناك بعض الوقت وهو يراقب الأحوال وتطوراتها في طرابلس [1] .

تخلى يوسف باشا عن الحكم لابنه وولي عهده علي بك :

وبعد أن يئس يوسف باشا من وضع حد لهذه الفتنة بكل الوسائل ، ومنها التصدي بالقوة العسكرية المؤيدة له ، ونزولاً على طلب رجاله وأعوانه الذين قدموه إليه بصفة رسمية للتخلي عن الحكم لابنه علي بك بصفة ولي العهد ، فقد آضطر الباشا إلى الرضوخ للأمر الواقع .

وفي يوم 12 من أغسطس سنة 1832 ، جرت احتفالات رسمية ، أعلن فيها يوسف باشا تنازله عن الحكم لصالح آبنه علي بك ، وحضر هذا الاجتماع جميع الأعيان والمشايخ والعلماء وكبار الموظفين في الإيالة .

وأمام الجميع وفي صوت بالغ التأثر ، أعلن يوسف باشا تنازله عن الحكم إلى آبنه وولي عهده علي بك ، ونطق بذلك في عبارته القصيرة التالية :

« . . . . لقد دعوتكم لأقول لكم أنني تعب ، وأريد أن أنهي أيامي في راحة وأعين بكامل رغبتي آبني علي بك ليخلفني في إمارة الولاية ، كما أعين آبني إبراهيم بك كخليفة له ، والسلام » [2] .

وتبع ذلك تلاوة يمين المبايعة لعلي باشا الذي بدأه يوسف باشا ، وتلاه جميع الحاضرين .

وفي اليوم التالي بعث يوسف باشا برسالة إلى الملك الإنجليزي وليم

---

(1) إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 83 — 90 .

(2) إسماعيل كمالي ، نفس المصدر ، ص 90 .

الرابع بتاريخ 15 من ربيع الأول سنة 1248 هـ الموافق 13 من أغسطس سنة 1832 م يبلغه فيها بتنازله عن الحكم لابنه علي بك ، وطمأنه إلى أنه سوف يكون خير سلف له ، ولن يتأخر عن بذل جهوده ومساعيه لتدعيم أواصر المحبة بين البلدين ، وسوف يعمل على آتمام الشروط الجارية بين البلدين ، وخاصة ما يتعلق بسداد الديون المطلوبة من إيالة طرابلس ونورد منها الفقرة التالية :

« . . . ورأينا صلاحاً أن نولي مكاننا بطيب نفس منا ، وآختيار من أهل إيالتنا بالإستحقاق نجلنا الأسعد سيدي علي ، وهو من اليوم خليفتنا ومتصرف بتصرفنا وفوضنا له أتم تفويض وأعمه فأردنا أن نعلمكم بذلك، ولا يطرفنا شك بأن سيدي علي باشا يقوم بهذه المنزلة وتأسيس المحبة بين الدولتين ، كما كانت وزيادة ، وتتميم جميع الشروط المنعقدة بيننا ويفعل جميع جهده ، ويسعى بما أمكنه في الضغط على ذلك »[1] .

ولتأكيد ذلك ففي يوم 25 من نفس الشهر بعث علي باشا الحاكم الجديد لإيالة طرابلس الغرب برسالتين ، أحدهما إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون والثانية إلى الملك الإنجليزي وليم الرابع ، يعلن فيهما إلتزامه بالسير على النهج الذي آتبعه من قبل والده يوسف باشا ، وأبلغهما كذلك أنه لا يقل حرصاً على تدعيم العلاقات الإنجليزية الطرابلسية[2] .

الخلاصة :

يستنتج من هذا الفصل أن مركز يوسف باشا في الحكم قد تزعزع عقب إعلان عبد الجليل سيف النظر التمرد ضده في منطقة ورفلة وبني

---

(1) F. O. 76 - 32. P. 47.

(2) IBID., P. 41 - 53.

وليد، ثم آتساع نطاق هذا التمرد حتى شمل منطقة فزان التي كانت تعتبر مصدراً هاماً لموارد الباشا وخاصة من تجارة القوافل مع وسط إفريقيا ، ولم تنجح محاولات التوسط لإنهاء هذا النزاع الذي تدخل فيه وارنجتون .

وهذا الأمر قد أضعف كثيراً من موقف يوسف باشا تجاه التطورات اللاحقة على علاقات حكومته مع الحكومة الإنجليزية ، وكانت الحكومة الإنجليزية قد أثارت في هذا الوقت مسألة سداد الديون الإنجليزية المطلوبة على إيالة طرابلس ، وأظهر وارنجتون آستياءه لإعتزام الحكومة الطرابلسية إعطاء الأولوية في السداد للديون الفرنسية .

وقد لجأ وارنجتون إلى محاولات الضغط والإرهاب على الباشا لدفعه إلى الإسراع بسداد الديون الإنجليزية في أقرب وقت .

ولقد آستخدم وارنجتون في هذا الشأن بعض السفن الحربية من الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط المتمركز في جزيرة مالطا ، ووجه إنذاراً بضرورة سداد هذه الديون خلال ثمان وأربعين ساعة حتى لا تضطر الحكومة الإنجليزية إلى آتخاذ إجراءات أخرى تراها مناسبة لضمان حقوقها في هذه الديون المتراكمة .

وطبيعي أن يعجز يوسف باشا عن جمع الأموال المطلوبة خلال تلك الفترة القصيرة ، حتى أنه عرض للبيع منقولات قصره ومجوهرات حريمه وغير ذلك ، فآضطر وارنجتون إلى إنزال علم بلاده إيذاناً منه بقطع العلاقات الإنجليزية مع طرابلس ، وفوض القنصل الإيرلندي في رعاية المصالح الإنجليزية بالإيالة .

وقد تأثر الباشا لتدهور العلاقات إلى هذا الحد ، وآجتمع بديوانه وقرروا إيفاد آبنه وولي عهده إلى وارنجتون للتفاوض معه وإعادة العلم الإنجليزي في مكانه وطلب يوسف أيضاً في نفس الوقت من القنصل

الإيرلندي التوسط لدى وارنجتون والإعتذار له عن التأخير في سداد الديون لظروف ليست خافية عليه .

وكانت الطامة الكبرى عندما أصدر يوسف باشا قراراً بفرض ضريبة على جميع السكان بما فيهم قول أغلية الساحل والمنشية الذين كانوا في السابق معفيين من جميع الضرائب نظير تقديم خدماتهم الخاصة للباشا ، فتأثروا بدورهم ، وأعلنوا العصيان وأصدروا قراراً في آجتماع عام بخلع يوسف ومبايعة حفيده محمد بك ، مما آضطر يوسف باشا إلى قبول الأمر الواقع وخاصة بعد فشل محاولاته لإخماد هذه الفتنة وترضيتهم بما في ذلك إعلانه الرجوع عن قراره السابق بمطالبتهم بالضريبة التي ألزمهم بها وكانت مصدر هذا الشغب .

وأخيراً نزل يوسف باشا على رأي مستشاريه وأعضاء ديوانه وأعلن تخليه عن السلطة إلى آبنه وولي عهده علي بك .

وعقب ذلك بعث يوسف باشا برسالة إلى الملك الإنجليزي وليم الرابع يخبره فيها بالتطورات الأخيرة ويؤكد له أن آبنه الحاكم الجديد سوف يستمر على نهجه السابق في الحرص على آستمرار العلاقات الوطيدة مع الحكومة الإنجليزية ، كما طمأنه في هذه الرسالة إلى عزمه على سداد الديون الإنجليزية في أقرب فرصة حسب الإتصالات التي تمت في هذا الشأن .

الخاتمة :

يتضح مما تقدم أن العلاقات الإنجليزية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي كانت في مجملها ودية رغم فترات التوتر التي تخللتها والتي فرضتها أسباب إستراتيجية آقتضاها الموقف الدولي أو ثنائية مصلحية آختلف البلدان في تقديرها ، بل وأحياناً فردية محضة تناقض فيها الموقف الرسمي

الذي تفرضه الوظيفة والموقف الشخصي العاطفي الذي يحكم المسؤول ويوجه علاقاته الإنسانية .

وقد أثبتت الدراسة حرص الجانبين على محاولة الرجوع بالعلاقات إلى مسارها الطبيعي الطيب كلما خرجت عنه ، وتوجيهها توجيهاً صحيحاً ، ملتزمين في ذلك جانب المرونة والتساهل في محاولة جادة من كل جانب لمراعاة مصلحته ووضعها فوق كل آعتبار .

وهنا يجب التنبيه إلى أن تلك المصالح كانت ثابتة ومحددة ، وبذلك فإنها حكمت مسار تلك العلاقات عبر حقبة تاريخية طويلة تمتد جذورها في عصور سابقة لم تكن سنة 1658 م تاريخ إنشاء أول قنصلية ـ بطبيعة الحال ـ بداية لها ، كما حكمتها سلسلة من المعاهدات عبر تلك العصور ليست أولها ـ ولكن قد تكون أهمها ـ إتفاقية 6 إبريل سنة 1699 والتي تمّ تجديدها في سنوات متعاقبة حتى سنة 1730 ثم إتفاقية سنة 1751 ، والتي جددت في مراحل لاحقة كما رأينا . ومن ثم نرى أن ما كان يشير إليه يوسف باشا وملك إنجلترا في مراسلاتهما عن العلاقات الطيبة الموروثة « علاقات الأجداد » لم تكن مجرد عبارات مجاملة آقتضتها مواقف دبلوماسية .

فهناك قناعة ثابتة من الطرفين ـ يوسف باشا والحكومة الإنجليزية بأن هناك مصالح معينة ومحددة لكل منهما تقتضي المحافظة على العلاقات الطيبة لضمان استمراريتها واكتساب فوائدها .

وبتتبع خط سير هذه العلاقات نجد أن الحكومة الإنجليزية قد رحبت في البداية بتولية يوسف باشا السلطة في طرابلس ، وقدمت له الهدايا الثمينة عن طريق قنصلها السيد سيمون لوكاس ، فتقبل يوسف باشا بارتياح واعتزم اتباع سياسة ودية مع الحكومة الإنجليزية وأبدى آستعداده للتصديق على المعاهدات التي سبق إبرامها معها في عهد آبائه وأجداده .

ولكن العلاقات لم يلبث أن أصابها بعض الفتور نتيجة للتعاون الذي

كان قائماً بين يوسف باشا والحكومة الفرنسية أثناء غزو نابليون بونابرت لمصر ومالطا ، وعلى أثر ذلك سعت الحكومة الإنجليزية لدى السلطان العثماني لوقف هذا التعاون الفرنسي الطرابلسي ، ثم تدخلت بالقوة لإرغام يوسف باشا على قطع علاقاته مع فرنسا .

وعندما زالت أسباب هذا التوتر تحسنت العلاقات من جديد بين الحكومة الإنجليزية وحكومة يوسف باشا وأصبح للقنصل الإنجليزي مكانة مرموقة ساعدته على التوسط لحل الأزمة التي وقعت بين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة الطرابلسية .

ولكن تمادى القنصل الإنجليزي الجديد وليام لانجفورد في التدخل في الشؤون الداخلية للإيالة وسوء تصرفاته تسبب في توتر العلاقات بين البلدين مرة أخرى، حتى أن يوسف باشا طلب من الحكومة الإنجليزية إبعاده عن طرابلس.

ولم تدم هذه الفترة طويلاً فقد عمل القنصل الذي حل محله «ويليكي» على إعادة العلاقات الطيبة بين البلدين إلى مجراها الطبيعي .

وبتعيين «وارنجتون» سنة 1814 م قنصلاً للحكومة الإنجليزية في طرابلس ، دخلت العلاقات بين البلدين مرحلة جديدة من التعاون والمودة وخاصة بعد أن نجح وارنجتون في الحصول على رضا وثقة الباشا وأعضاء حكومته . ثم آستطاع بهذه الثقة أن يفوز بوضع متميز لدى ممثلي الدول الأوروبية الأخرى في طرابلس ، وأصبح يمثل بعض الدول الأوروبية لدى حكومة طرابلس ومنها مملكة الصقليتين وسردينيا والبرتغال وهولندا وغيرها .

ولكن إنجلترا آستغلت المواقف الدولية وتمسكت بقرارات مؤتمر فيينا سنة 1815 م ومن بينها منع تجارة الرقيق والتصدي بقوة لأساطيل إيالات الشمال الإفريقي ومنعها من آعتراض الأساطيل والسفن الأوروبية التي تعبر البحر الأبيض المتوسط ، وحاولت فرض شروط أخرى على حكومة

طرابلس ، وآكتفت بالمحافظة على الحد الأدنى من العلاقات الودية بين البلدين .

ونتيجة لتزايد ضعف يوسف باشا فلم يقدر على مجابهة إنجلترا في هذه الحالة ، وفي هذه الفترة فقد كان وارنجتون يكثر من تدخلاته في الشؤون الداخلية للإيالة ويتوسط حتى في الصفقات التجارية ، وكان يستغل في ذلك قوة نفوذه المتزايدة ، مما كان يثير آستياء يوسف باشا .

ولكن شعور إنجلترا بأهمية موقع إيالة طرابلس وسط إيالات الشمال الإفريقي ، وقربها من أواسط إفريقيا مما يجعلها نقطة إنطلاق للرحالة الإنجليز في عملياتهم الكشفية إلى وسط إفريقيا ، كل ذلك رفع إنجلترا إلى الحرص على توطيد علاقاتها مع حكومة طرابلس ، وآضطر وارنجتون إلى محاولة التقرب بشتى الوسائل إلى الباشا وأعيان حكومته ، وأن يكف عن تدخلاته السابقة .

وقد شهدت هذه الفترة تقارباً أكثر في العلاقات بين البلدين كانت نتيجة بصفة خاصة للمساعدات والتسهيلات التي قدمها يوسف باشا للرحالة الإنجليز الذين وفدوا تباعاً على طرابلس لمواصلة رحلاتهم الكشفية إلى وسط إفريقيا إنطلاقاً من أراضي الإيالة ، حتى أن هذه البعثات الكشفية قد آستطاعت أن تحقق أعظم النتائج في هذا المجال ، وسبقت الدول الأوروبية الأخرى في الوصول إلى هذه المناطق من جهة الشمال الإفريقي ، وبالأخص رحلة ألكسندر غوردون لانج سمة 1826 م .

ولكن العلاقات الإنجليزية الطرابلسية قد إعتراها مرة أخرى شيء من الفتور على أثر مقتل الرحالة لانج وضياع أوراقه ومستنداته التي تضمنت نتائج رحلته وآكتشافاته ، وأصر وارنجتون على آتهام وزير خارجية يوسف باشا حسونة الدغيس بعلاقته بمؤامرة آغتيال لانج وتسلمه أوراقه المشار إليها ، فسلمها بدوره إلى القنصل الفرنسي مقابل تخفيض أربعين في المائة

من الديون المتراكمة على حسونة من قبل التجار الفرنسيين ، وإن كان التحقيق الذي أجري في هذا الشأن لم يكشف الغموض حول هذا الحادث .

ومما زاد في هذا التوتر تلك المعاهدة الفرنسية الطرابلسية التي عقدت بين البلدين في هذه الفترة ، وحاول يوسف باشا طمأنة وارنجتون بأن هذه المعاهدة لا تمسه شخصياً ولا تضر بالعلاقات والمصالح الإنجليزية . كما وعد بمنح التسهيلات اللازمة للتجار الإنجليز وتفضيلهم في المعاملات التجارية على سائر التجار الأوروبيين .

كذلك طلب الباشا من الحكومة الفرنسية تغيير قنصلها «روسو» مع أنه أنكر في تصريحاته صلته بالأوراق المفقودة الخاصة بالرحالة الإنجليزي لانج ، وكان الباشا يقصد من طلب إبعاده ترضية وارنجتون في محاولة لإزالة أسباب التوتر التي طرأت على العلاقات الطيبة التي سادت بين البلدين خلال هذه الفترة .

وقد شهدت الفترة الأخيرة من حكم يوسف باشا تزعزع مركزه على أثر قيام عبد الجليل بن سيف النصر بالتمرد ضده في منطقة ورفلة وبني وليد ثم آمتداد هذا التمرد إلى منطقة فزان التي كانت مصدراً هاماً لموارد الباشا المالية ، ولم تنجح محاولات وارنجتون للتوسط بين يوسف باشا وعبد الجليل لإنهاء هذا النزاع .

وفي هذه الأثناء أثارت الحكومة الإنجليزية مسألة سداد ديونها المستحقة على الإيالة ، وأظهر وارنجتون إستياءه لإعتزام الحكومة الطرابلسية إعطاء الأولية في السداد للديون الفرنسية ، وقد آستخدم وارنجتون بعض السفن الحربية التابعة للأسطول الإنجليزي المتمركز في جزيرة مالطا ، لتهديد الباشا والضغط عليه في محاولة لدفعه إلى الإسراع بسداد الديون الإنجليزية في أقرب وقت ، ووجه إليه إنذاراً بضرورة سداد هذه الديون

خلال ثمان وأربعين ساعة ، ويحمله مسؤولية النتائج اللاحقة إذا لم يتم السداد خلال هذه المهلة القصيرة . ولم يستطع الباشا جمع الأموال المطلوبة خلال تلك الفترة القصيرة ، الأمر الذي تسبب في قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، فقد أنزل وارنجتون علم بلاده من فوق القنصلية الإنجليزية وفوض القنصل الإيرلندي في رعاية المصالح الإنجليزية بالإيالة .

ولم تنجح مساعي يوسف باشا لوقف التدهور الذي طرأ على العلاقات بين البلدين وإعادة العلم الإنجليزي إلى مكانه ، مع الإعتذار عن التأخر في سداد الديون المطلوبة عليه بسبب الظروف الراهنة .

ثم تلى ذلك قيام فتنة قول أغلية الساحل والمنشية بسبب فرض ضريبة عليهم لأول مرة مع بقية السكان ، في محاولة لجمع الأموال اللازمة لسداد الديون المطلوبة للحكومة الإنجليزية .

وقد تفاقمت الأمور بعد ذلك وعجز الباشا عن إخماد هذه الفتنة ، بل إنه آضطر في آخر الأمر إلى التنازل عن الحكم لابنه وولي عهده علي بك .

ولم يفت يوسف باشا أن يبعث برسالة إلى الملك الإنجليزي وليم الرابع يخطره فيها بالتطورات الأخيرة ، ويؤكد له أن ابنه علي بك سوف يلتزم بنهجه السابق في الحرص على آستمرار العلاقات الوطيدة مع الحكومة الإنجليزية .

وبعد أن تتبعنا تطورات العلاقات بين البلدين والأحداث التاريخية التي شهدتها هذه الحقبة التاريخية ، يمكن أن تستنتج من ذلك الحرص المتبادل بين يوسف باشا والحكومة الإنجليزية على آستمرار العلاقات الطيبة بين بلديهما .

ونلمس في معظم الأوقات حرص يوسف باشا الشديد على دوام هذه العلاقات الطيبة مع الحكومة الإنجليزية حتى في أحلك الظروف العصيبة

التي مرت به ، ولعله كان يقصد من ذلك إبعاد خطر السيطرة على بلاده من جانب فرنسا بعد غزوها لمصر في بداية عهده ثم آحتلالها للجزائر في نهاية حكمه ، وإن لم يمنع ذلك من حدوث نوع من التعاون بينه وبين فرنسا في بعض الحالات .

كما أن رغبة الحكومة الإنجليزية في توطيد علاقاتها مع الحكومة الطرابلسية كانت تفرضها الظروف الدولية ، وخاصة علاقتها مع فرنسا وحرصها على متابعة عملياتها الكشفية في وسط إفريقيا إنطلاقاً من أراضي إيالة طرابلس ، بالإضافة إلى مصالحها الخاصة مع الإيالة ، ومنها تزويد أسطولها وقواتها في مالطا بحاجاتها من المواد التموينية وغيرها ، ورغبتها في ضمان سداد ديونها المطلوبة من الحكومة الطرابلسية .

أما تلك الفترات التي تخللت هذه الحقبة وساد فيها نوع من التوتر فتعتبر حالات عارضة لم تدم طويلاً بآستثناء الفترة الأخيرة التي شهدت نهاية حكم يوسف باشا .

وفي هذه الفترة نلمس تعنت الحكومة الإنجليزية وتصلب قنصلها وارنجتون في إثارة مسألة سداد الديون المتراكمة على إيالة طرابلس، في وقت عصيب تعرض له الباشا في أواخر عهده ، ولم يتورع وارنجتون عن آستخدام التهديد والإرهاب لدفع الباشا على سداد الديون المطلوبة خلال مهلة قصيرة جداً مدتها ثمانية وأربعين ساعة .

ونلاحظ أن التنافس بين الحكومتين الإنجليزية والفرنسية كان له أثره في توتر العلاقات الإنجليزية الطرابلسية في بعض المرات ، مثلما حدث أثناء حملة نابليون بونابرت على مصر ومالطا في بداية عهد يوسف باشا ، وكذلك بعد توقيع المعاهدة الطرابلسية الفرنسية سنة 1830 م في نهاية حكمه .

وهكذا نجد أن المحافظة على العلاقات الطيبة بين يوسف باشا والحكومة الإنجليزية كانت تمليها مصالح معينة ومحددة تخص الطرفين ، ولم تؤثر كثيراً على مسارها الطبيعي حالات التوتر التي طرأت بين الحين والآخر لظروف آستثنائية طارئة .

مصادر ومراجع البحث

أولا : الوثــائـق :

1 ــ أرشيف دار المحفوظات الطرابلسية بالسراي :

أ ــ ملفات قنصلية إنجلترا ، فرنسا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، صقلية سردينيا ، نابولي .

ب ــ ملف الأسرة القرمانلية .

2 ــ شعبة الوثائق والمحفوظات بمركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي :

3 ــ الأرشيف البريطاني بلندن The Bublic Record Office London :

أ ــ أرشيف .S. D. 71 .

ب ــ أرشيف .F. O. 76 .

ثانيا : وثائق منشورة ويوميات تحت الطبع :

1 ــ وثائق منشورة في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي ، طرابلس الغرب

تحت حكم أسرة القرمانلي .

2 ــ وثائق منشورة في الملحق المذيل به كتاب عمرو علي بن إسماعيل ، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 - 1835 م .

3 ــ وثائق منشورة في كتاب إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ترجمة محمد مصطفى بازامة .

4 ــ اليوميات الليبية 1551 - 1832 ، لحسن الفقيه حسن .

ثالثا : كتب ودراسة عامة :

1 ــ ميكاكي ، رودلفو ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ترجمة طه فوزي نشر مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ـ مصر سنة 1961 .

2 ــ برنيا ، كوستانزيو ، طرابلس من 1510 إلى سنة 1850 ، تعريب خليفة محمد التليس ، منشورات دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1969 .

3 ــ روسي ، أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، نشر دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1974 .

4 ــ موري ، اتيليو ، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الإحتلال الإيطالي ، تعريب خليفة محمد التليسي ، نشر دار الفرجاني طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1971 م .

5 ــ ناجي ، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي - ليبيا سنة

1967 م .

6 ــ سامح ، عزيز ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة عبد السلام أدهم ، منشورات دار لبنان ـ بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1969 م .

7 ــ توللي ، ريتشارد ، عشر سنوات في بلاط طرابلس ، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة ، منشورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا .

8 ــ توللي ، الآنسة ، عشرة أعوام في طرابلس ، ترجمة الدكتور عبد الجليل الطاهر منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ـ ليبيا سنة 1967 .

9 ــ (دي) لاشيلا ، باولو ، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817 ، ترجمة الدكتور الهادي مصطفى أبو لقمة ، نشر مكتبة الفكر ، طرابلس ـ ليبيا .

10 ــ تود ، مابل لويس ، أسرار طرابلس ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1968 .

11 ــ بلوية ، بريان ، قصة مالطا ، ترجمة مصطفى محمد جودة ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1969 .

12 ــ ايروين ، راي ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية 1776 — 1816 ، ترجمة إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر سنة 1978 .

13 ــ تكر ، جلين ، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر ، تعريب عمر الديراوي أبو حجلة ، نشر مكتبة الفرجاني طرابلس ـ ليبيا .

14 ــ فيرو ، شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو

الإيطالي ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، نشر دار الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا .

15 ـ فادالا ، دراسة في تاريخ القرمانليين ، ترجمة خالد الأمين المغربي ، رسالة للحصول على شهادة المتريز سنة 1977 — 1978.

16 ـ الجامعة الليبية ، ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي في 16 — 23 مارس 1968 ، كلية الأداب .

17 ـ رحلتان عبر ليبيا ، نقله إلى العربية دار الفرجاني ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى سنة 1974 .

18 ـ (بن) غلبون ، محمد خليل ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، القاهرة ، نشره الطاهر أحمد الزاوي ، المطبعة السلفية 1349 هـ .

19 ـ النائب ، أحمد بك ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، الجزء الأول منشورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

20 ـ الطوير ، محمد محمد ، ثورة غومة المحمودي ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، المجلد الأول 1981 ، لم تنشر بعد .

21 ـ (بن) إسماعيل ، عمرو علي ، أنهيار الحكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 — 1835 ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا ، الطبعة الأولى بيروت 1966 .

22 ـ بازامة ، محمد مصطفى ، الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر ، مكتبة قورينا ، بنغازي ـ ليبيا ، بدون تاريخ للطبع .

23 ـ التميمي ، عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي

1816 — 1871 ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الأولى مارس 1972 .

24 ــ الزاوي ، طاهر أحمد ، أعلام ليبيا ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس ليبيا ، الطبعة الأولى 1961 .

25 ــ بعيو ، مصطفى عبد الله ، المختار في مراجع تاريخ ليبيا ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ـ ليبيا 1967 .

26 ــ العقاد ، صلاح ، المغرب العربي ـ الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى دراسات في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ـ مصر 1962 .

27 ــ السروجي ، محمد محمود ، العلاقات التونسية الفرنسية ، نشر المكتبة الوطنية بنغازي ـ ليبيا .

28 ــ خوري ، أميل ، وسليمان ، عادل ، السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789 إلى سنة 1958 ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، بيروت ـ لبنان 1959 .

29 ــ الجبرتي ، عبد الرحمن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر ، وعمر الدسوقي ، والسيد إبراهيم سالم ، منشورات لجنة البيان العربي ، القاهرة ـ مصر ، الطبعة الأولى 1964 .

30 ــ حسين ، أحمد ، موسوعة تاريخ مصر ، نشر دار الشعب ، الجزء الثالث ، القاهرة ـ مصر .

31 ــ (بن) الضياف ، أحمد ، أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ،

الجزء الثالث ، المطبعة الرسمية ـ تونس 1963 .

32 ـ نوار ، عبد العزيز، ونعنعى ، عبد المجيد ، التاريخ المعاصر لأوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، نشر دار النهضة العربية بيروت ـ لبنان سنة 1973 .

رابعا : دوريات ومجلات علمية :

1 ـ مجلة البحوث التاريخية ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد الأول سنة 1981 .

2 ـ المجلة التاريخية المغربية ، تونس العدد السابع سنة 1977 .

مراجع أجنبية

SETON DEARDEN :
ANEST OF CORSAIRS. THE FIGHTING KARAMANLIS OF TRI-POLI, LONDON. JOHN MURRAY. 1976.

ملحق الوثائق

أولا : ملحق الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الأول :

وثيقة رقم (1) : رسالة من تاجر طرابلسي إلى الملك الإنجليزي يطلب منه تعويضه على بضاعته التي سلبت منه من قبل الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط وهو على ظهر سفينة إنجليزية بتاريخ سنة 1730 م .

وثيقة رقم (2) : رسالة من أحمد باشا القرمانلي إلى وزير خارجية إنجلترا بخصوص تغيير القنصل الإنجليزي لسوء تصرفاته وتدخله في الشؤون الداخلية .

وثيقة رقم (3) : رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يشكره فيها عن تهانيه بتوليه الحكم .

وثيقة رقم (4) : رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول تجديد الإتفاقية المبرمة بين إنجلترا

وإيالة طرابلس سنة 1751 م .

وثيقة رقم (5) : رسالة علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي بخصوص سفينة مالطية دخلت المياه الإقليمية الطرابلسية سنة 1759 م .

وثيقة رقم (6) : رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بخصوص آمتناع القنصل الإنجليزي عن سداد ديون الرعايا اليهود وهي بتاريخ سنة 1794 م .

وثيقة رقم (7) : رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يبلغه فيها عن إعادة السلطة القرمانلية لإيالة طرابلس الغرب وطرد علي برغل وهي بتاريخ سنة 1795 م .

وثيقة رقم (8) : رسالة من أحمد باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يشكره فيها عن مساعدة والده في الرجوع من تونس إلى مدينة طرابلس وهي بتاريخ سنة 1795 م .

ثانيا : ملحق الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الثاني :

وثيقة رقم (9) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي حول جلوس يوسف على كرسي حكم الإيالة وهي بتاريخ سنة 1795 م .

وثيقة رقم (10) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي حول تسليح البحرية الطرابلسية وهي بتاريخ سنة 1797 م .

وثيقة رقم (11) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول موافقته على طلب الحكومة الإنجليزية عقد إتفاقية سلام مع حكومة نابولي وهي بتاريخ سنة 1800 م .

وثيقة رقم (12) : منشور معمم من يوسف باشا القرمانلي إلى جميع الرعايا والقناصل الأجانب بالإبتعاد عن الشاطىء الشرقي لإيالة طرابلس الغرب وهي بتاريخ سنة 1801 م .

وثيقة رقم (13) : رسالة من السيد ماك دونوغ المكلف بالشؤون القنصلية الإنجليزية إلى يوسف باشا حول تنفيذه للأوامر الصادرة من الباشا بابتعاد السفن الأجنبية من الشواطىء الشرقية لإيالة طرابلس الغرب .

وثيقة رقم (14) : رسالة من القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد إلى وزير الخارجية الإنجليزي بخصوص الإتفاقية التي تم إبرامها بين طرابلس والولايات المتحدة الأمريكية وهي بتاريخ سنة 1805 م .

وثيقة رقم (15) : رسالة من القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد إلى

سكرتير الدولة ووزير الخارجية الإنجليزية بخصوص وصول الهدايا المرسلة إلى يوسف باشا وهي بتاريخ سنة 1805 م .

وثيقة رقم (16) : رسالة القنصل الإنجليزي لانجفورد إلى وزير خارجيته بخصوص آستعداد الباشا الطرابلسي لتقوية العلاقات الطيبة بين البلدين وهي بتاريخ سنة 1810 م .

وثيقة رقم (17) : رسالة من يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بخصوص إعادة سفينة طرابلسية أسرت من قبل الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط وهي بتاريخ سنة 1810 م .

وثيقة رقم (18) : رسالة من يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول تدخل القنصل الإنجليزي لانجفورد في الشؤون الداخلية للإيالة وهي بتاريخ سنة 1810 م .

ثالثا : ملحق الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الثالث :

وثيقة رقم (19) : رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص منح رعايا نابولي نفس المزايا التي يتمتع بها رعايا مملكة صقلية وهي بتاريخ سنة 1815 م .

وثيقة رقم (20) : رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص آسر سفينة نابولية من قبل البحارة الطرابلسيين وهي بتاريخ سنة 1815 م .

وثيقة رقم (21) : رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون يطلب منه إعادة السفن النابولية التي أسرّت من قبل البحارة الطرابلسيين بتاريخ 30 ديسمبر سنة 1815 م .

وثيقة رقم (22) : رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون المكلف برعاية الشؤون القنصلية لمملكة صقلية ونابولي يطلب منه التوسط لدى الباشا إعادة السفينة النابولية وهي بتاريخ سنة 1816 م .

وثيقة رقم (23) : رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص إحترام السفن النابولية من قبل الأسطول الطرابلسي وهي بتاريخ سنة 1816 م .

وثيقة رقم (24) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي

جورج الثالث حول تدخلات القنصل الإنجليزي وارنجتون في الشئون الداخلية للإيالة وهي بتاريخ سنة 1818 م .

وثيقة رقم (25) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الرابع حول توثيق العلاقات الطيبة بين البلدين وهي بتاريخ 1821 م .

وثيقة رقم (26) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى السيد باتروست وزير الخارجية والمستعمرات الإنجليزية حول تعمد وارنجتون في عدم إرسال رسائل الباشا إلى الحكومة الإنجليزية وهي بتاريخ سنة 1818 م .

رابعا : ملحق الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الرابع :

وثيقة رقم (27) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الشيخ مختار الخنثاوي يطلب منه مساعدة الرحالة الإنجليزي غوردون لانج وهي بتاريخ سنة 1826 م .

وثيقة رقم (28) : رسالة من محمد الوحيشي إلى يوسف باشا القرمانلي يتعهد له فيها عن أستعداده لتقديم العون والمساعدة للرحالة لانج وهي بتاريخ سنة 1827 م .

وثيقة رقم (29) : رسالة من حسونة الدغيس إلى محمد الوحيشي يطلب فيها منه إبلاغه عن أحوال رحلة لانج وتقديم العون والمساعدة له وهي بتاريخ سنة 1827 م .

وثيقة رقم (30) : رسالة من محمد الوحيشي إلى السيد حسونة الدغيس حول متابعته لأخبار الرحالة لانج وهي بتاريخ 1827 م .

وثيقة رقم (31) : رسالة من الشيخ أحمد الحبيب شيخ مدينة أغدامس إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول أخبار رحلة لانج وهي بتاريخ 1827 م .

وثيقة رقم (32) : رسالة من الشيخ أحمد الحبيب إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول أخبار رحلة لانج ومقتله وهي بدون تاريخ .

وثيقة رقم (33) : رسالة من محمد الوحيشي إلى يوسف باشا القرمانلي حول مقتل الرحالة الإنجليزي لانج وهي بتاريخ سنة 1828 م .

وثيقة رقم (34) : رسالة من محمد الوحيشي وآبنه إلى السيد حسونة الدغيس وزير الخارجية في حكومة يوسف باشا القرمانلي وهي بخصوص مقتل الرحالة الإنجليزي لانج بتاريخ سنة 1828 م .

وثيقة رقم (35) : رسالة يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص البحث عن أوراق الرحالة لانج وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (36) : وثيقة اعتراف من السيد محمد الدغيس بأن أخيه حسونة قد تسلم أوراق الرحالة الإنجليزي من الغدامسية وسلمها إلى القنصل الفرنسي وهي بتاريخ سنة 1829 م .

وثيقة رقم (37) : رسالة يوسف باشا إلى مشايخ قبيلتي بني وليد وبني وازيت وإلى كافة أهل أغدامس حول البحث عن أوراق الرحالة الإنجليزي لانج وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (38) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى قاضي مدينة أغدامس الشيخ علي بن مدور يطلب منه متابعة التحقيق في قضية أوراق الرحالة لانج وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (39) : رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الأمريكي كوكسي بخصوص السماح لحسونة الدغيس البقاء في القنصلية الأمريكية .

وثيقة رقم (40) : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون حول احتجاج وارنجتون على الإتفاقية الفرنسية الطرابلسية وكذلك

حول سوء تصرفات التجار الإنجليز أثناء البيع والشراء وهي بتاريخ 1831 م .

وثيقة رقم **(41)** : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون حول احتجاج الأخير عن قرار الضريبة الجمركية وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم **(42)** : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص تطبيق الضريبة الجمركية على مادة الخمور وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم **(43)** : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص قضية أحد التجار المالطيين ويدعى طابونة وهي بتاريخ سنة 1832 م .

خامسا : ملحق الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الخامس :

وثيقة رقم (44) : رسالة عبد الجليل بن سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول إنشاء علاقات جديدة مع الحكومة الإنجليزية وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (45) : رسالة من القنصل الإنجليزي وارنجتون إلى الشيخ عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر حول الصلح مع الباشا وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (46) : رسالة من عبد الجليل بن سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول وساطة وارنجتون في خصوص الصلح مع الباشا وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (47) : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص الصلح مع عبد الجليل وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (48) : رسالة من عبد الجليل بن سيف النصر إلى وارنجتون حول الوساطة بين عبد الجليل ويوسف باشا وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (49) : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص الصلح مع عبد الجليل وهي بتاريخ سنة 1831 م .

وثيقة رقم (50) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (51) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون حول تأخير سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (52) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص إعادة العلم

الإنجليزي على القنصلية الإنجليزية وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (53) : رسالة من يوسف باشا إلى القنصل الإيرلندي بخصوص التوسط مع صديقه وارنجتون حول إعادة العلم وسداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (54) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون حول التأخير في سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (55) : رسالة من يوسف باشا إلى وارنجتون حول التأخير في سداد الديون على أثر الحرب الأهلية بمدينة طرابلس .

وثيقة رقم (56) : رسالة من يوسف باشا إلى الملك الإنجليزي وليام الرابع بخصوص تنازله إلى آبنه علي باشا وهي بتاريخ سنة 1832 م .

وثيقة رقم (57) : رسالة من علي باشا القرمانلي إلى وارنجتون بخصوص تبليغ حكومته توليه السلطة في إيالة طرابلس الغرب .

وثيقة رقم (58) : رسالة من علي باشا إلى الملك الإنجليزي وليام الرابع حول تنازل أبيه له عن الحكم ورغبته في توطيد العلاقات بين البلدين وهي بتاريخ سنة 1832 م .

1832 م .

وثيقة رقم (44) : رسالة عبد الجليل بن سيف النصر إلى القن[illegible]

وثيقة رقم (45) : رسالة من القنصل الإنجليزي (وارنجتون) إلى الشيخ [illegible]

[illegible]

وثيقة رقم (50) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص [illegible]
الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ سنة 1832

وثيقة رقم (51) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون حول تأخر [illegible]
الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ سنة 1832

وثيقة رقم (52) : رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بخصوص إعادة [illegible]

ملحق

الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الأول

الوثيقة رقم (1)

رسالة أحد التجار الطرابلسيين إلى الملك الإنجليزي حول أغتصاب بضاعته وشخصه من قبل أحد السفن الفرنسية ولكنه تمكن من الفرار والإتجاه إلى إنجلترا وطلب التعويض لأنه كان على ظهر سفينة إنجليزية بتاريخ 1143 هـ (1730 م) [1].

وثائق يرجع عهدها إلى سنة 1143 هـ / 1730 م عهد القرمانلية . سافر الحاج محمد بن مصطفى الكساني من ميناء طرابلس ببضاعة له في سفينة إنجليزية قاصداً قندية(*) بجزيرة كريت فاعتدت عليه سفينة فرنسية وأخذته أسيراً إلى مدينة طولون(**) بجنوب فرنسا وصودرت أمواله وقد تمكن من الفرار وسافر إلى لندن وقدم رسائل إلى ملك إنجلترا يطلب فيها إرجاع أمواله حيث أخذت من سفينة تحمل علماً إنجليزياً وهاتان رسالتان من رسائله التي قدمها إلى ملك الإنجليز أثناء إقامته بلندن احدهما بتاريخ فتح محرم 1143 والثانية بتاريخ 6 ربيع الأول 1143 هـ الموافق 7 سبتمبر 1730 م .

(*) **قندية** : احدى المدن الجميلة بجزيرة كريت .

(**) **طولون**: ميناء بجنوب فرنسا على البحر الأبيض المتوسط .

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، ملف القنصلية الإنجليزية .

الوثيقة رقم (2)

الباشا أحمد القرمانلي يطلب من الحكومة الإنجليزية عن طريق سفيره بلندن تغيير القنصل الإنجليزي بطرابلس بشخص آخر [1] .

إلى جانب حضرة الوزير الأعظم الدوق نيوكاسلي حفظه الله تعالى .

وبعد المعرض على جنابكم هو أنه سابقاً لما قنصل بنيامين الذي كان عندنا في طرابلس أتى إلى لندن وكان حط في مكانه رجل آسمه صامويل بزديك من طائفة الإنقليز وأخاه جان بزديك وآستقامو في مكانه مقدار خمسة سنين بالمحبة وحسن السلوك بين الناس وأحمد باشا كان راضي منهم فلما قنصل بنيامين مات في لندن فحضره السلطان جورج أرسل لنا قنصل ريد الآن في طرابلس من سنة أربعة وثلاثون وعجز الناس والباشا من قبيح فعايله فلأجل المحبة وثبات الصلح الباشا تحمله إلى الآن فلما أن العالم بـدؤا يشتكوا منه فخاف الباشا لا يصير فتنة بين العسكر من أجله فأرسلني إلى هذه البلاد وشكى منه واترجا السلطان دام بقاه ، كما ذلك معلوم عند حضرتكم ولما خرجنا من طرابلس فحضرة الباشا أوصاني إن كان حضرة السلطان جورج يريد يغير هذا النفر وكان صامويل بزديك أو أخوه .في لندن يرسل منهم واحد لأنهم يعرفون بلادنا وعوايدنا وجميع الناس راضين منهم فكتب إلى حضرتكم هذا العرض أخبركم مراد سيدي وصامويل بزديك مات إلى أن أخوه جان بزديك في لندن فإن كان بترو معقول ويريد السلطان يرسل نفر يكون المذكور وقوي الباشا بيفرح في ذلك والسلام .

إبراهيم أغا سفير طرابلس

---

(1) الارشيف البريطاني باللغة العربية S. P. 71 - 23 P. 228

الوثيقة رقم (3)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يشكره فيها عن الهدية والرسالة المقدمة إليه بدون تاريخ [1].

إلى حضرة آفتخار الأمراء العظام العيسوية ملك إنجلترا جورج الثالث.

إلى صديقنا المحترم الكبير آفتخار الأمراء العظام ملك إنجلترا ختم الله تعالى عواقبه بالخير والرشاد. نقدم آحتراماتنا في الصدق والإخلاص وصلت إلينا رسالتكم التي أرسلتموها قبل ذلك وصار كل ما فيها معلوماً عندنا وسررنا جداً لا يمكن تعبيرها باللسان. كما قدم قنصلكم هديتكم التمينة أدام الله دولتكم. وعلمنا أنكم أرسلتم الرسالة والهدية بمناسبة قيامنا مقام أبينا في أوجاق(*) طرابلس الغرب أدام الله دولتكم وأحقر أعداءكم ونقدم إليكم هدية بحسين بك من أقربائنا ونرجوا قبولكم هذه الهدية الحقيرة. وأن الباشا المذكور وكيلنا مطلق من أوجاق. وكل ما رأيتم مناسباً فهو عندنا مقبول فليكن هذا معلوماً عندكم.

(*) أوجاق: إيالة أو ولاية.

(1) الارشيف البريطاني باللغة التركية، ترجمة الدكتور رمضان ششن بدون رقم للصفحة F. O. 76 - 1 P.

الوثيقة رقم (4)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول تجديد الإتفاقية المبرمة بين إنجلترا وإيالة طرابلس سنة 1751 م في عهد محمد باشا القرمانلي وهذه الرسالة بتاريخ 25 جمادي الثاني سنة 1174 هـ (1761 م)[1].

هذا سبب تحرير الرسالة وموجب إرسالها الشروط المذكورة والمقيدة في نسخة الصلح . توفي جورج الثاني ملك إنجلترا في اليوم العاشر من جمادي الآخرة سنة 1174 هـ وصار جورج الثالث ملكاً لامبراطورية بريطانيا . وجاء قبل ذلك في اليوم التاسع من شوال في سنة 1164 هـ القائد أغوستوس والقنصل الإنجليزي روبر دويت كأنهما وكيلان من جورج الثاني وتذاكرا في تجديد الصلح في دار الجهاد طرابلس مع المرحوم محمد باشا بن أحمد باشا القرمانلي ومع كتخدا وآغا الديوان وقبودانات أوجاق وغيرهم من قواد العساكر . بناء على ذلك حررت نسخة صلح وأمان بين الطرفين على خمسة وعشرين شرطاً . ثم توفى محمد باشا وآحترم الأمير الجديد علي باشا بن محمد باشا القرمانلي شروط المعاهدة والصلح . وتحقق وفاة جورج الثاني في هذه المرة وآعتلاء جورج الثالث عرش إنجلترا . فجاء إلينا القنصل روبر دويت وكيلاً من الملك الجديد إلى ديوان طرابلس وطلب منا تجديد الصلح وتوقيعه بناء على القانون الجاري عندهم .

بناء على ذلك تعهد الطرفان مع حضور علي باشا وكتخداي القلعة وآغا الديوان وقبودانات أوجاق لتجديد الصلح كما كان في الماضي على خمسة وعشرين شرطاً وتعهداً رعاية الشروط-وأن يبقى الطرفان أصدقاء كما في الماضي

---

(1) الارشيف البريطاني، باللغة التركية ترجمة الدكتور رمضان ششن.

(*) آغا : اسم يطلق على أصحاب المناصب الرفيعة ويطلق أيضاً على ضباط الانكشارية بالإيالة . F.O. 76 - 1.

ووضعوا خاتمهم تحت نسخة معاهدة الصلح .

حررت في 25 من جمادي الآخرة سنة أربع وسبعين ومائة وألف .

روبرت وايت **علي أمير أمراء محروسة طرابلس**

الوثيقة رقم (5)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي حول سفينة مالطيـة دخلت المياه الإقليمية لإيالة طرابلس الغرب بتاريخ شهر ربيع الثاني سنة 1172 هـ (1759 م) [1].

إلى حضور آفتخار الأمراء العظام الوساويـــة مختار كبراء الفرقة النصرانية ملك بريطانيا الفرنجية وغرلاندا الإنجليزي .

آفتخار الأمراء العظام . . . حضرة المحترم ملك الإنجليز ختم الله تعالى عواقبه بالخير والرشاد وأحسن إليه سبيل الصدق والسداد أقدم إليكم تعظيمي أن أحداً من السفن الصغار لعدونا مالطيين حينما تذهب في البحر آنكسر قسم من ساريتها (دومن) وألقتها العاصفة إلى ميناء مصراتة من وطننا وأرست على الأرض فيها . وكان في الميناء بعض سفن التجار من بلدكم فأرسلوا زوارق وأخذوا ما فيها من الطائفة وهم اثني عشرة نفراً وقسيساً ومن الأشياء الموجودة فيها ونقلوها إلى سفنهم . وكنا أيضاً سمعنا الحادثة وأرسلنا سفينة للقبض على الأسرى والأشياء . ولما وصل عساكرنا وجدوا سفينة العدو منكسرة والأشياء والناس منقولة إلى سفينتكم . ثم أقلعت سفينتكم وجاءت إلى ميناء طرابلس وألقينا القبض على الأسرى والأشياء .

ولكن قنصلكم آعترض وقال إنا ألقينا القبض عليهم وعلى أشيائهم وطلب منا إعادتهم بناء على حرمتنا إليكم سلمنا الرجال والأشياء إلى سفينتكم فليكن هذا معلوماً عند حضرتكم ولا تخرجونا عن خاطركم ونرجو دوام خلوصكم فينا .

حررت في شهر ربيع الآخر سنة آثنتين وسبعين ومائة وألف .

علي أمير أمراء طرابلس الغرب

---

(1) الارشيف البريطاني، باللغة التركية، ترجمة الدكتور: رمضان ششن F. O. 76 - 1. P. 44.

الوثيقة رقم (6)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بخصوص سداد ديون الرعايا الأجانب بإيالة طرابلس الغرب بتاريخ 15 محرم سنة 1794 هـ (1208 م) [1].

بمنه تعالى . . .

إلى حضور آفتخار الأمراء العظام الوسوية مختار الكبراء زفـــة النصارى ملك برطانية الفرنجية وغرلاندة وإنجلترا .

آفتخار الأمراء العظام العيسوية ومختار الكبراء في الملة المسيحية الصديق المحترم ملك آنجلترا . خلاصة القول بناء على آستعلامكم خاطرنا نحن بخير وأما أوجاق دار الجهاد طرابلس الغرب مملوءة من القديم بالفرسان والبحارة من الأتراك منذ القديم . منذ زمن قريب تعرض بلدنا ظلماً وتعدياً من الأشقياء والأعداء وصار الأهالي فقراء . ولما سمع سلطاننا العظيم هذا الحال أصدر إرادة سلطانية وفوضى إدارة الأوجاق في عهدتي . ولما أصبحت رئيساً للأوجاق جاء بعد بضعة أيام قنصل جديد إلى طرفنا .

ولكن القنصل القديم كان يشتري ويبيع مع سكان الإيالة قبل ذلك . ولما جاء القنصل الجديد وجب عزله وطلب أرباب الديون منه ديونهم فأجاب بأدائها .

ولكنه قال : إني لا أؤدي ديون اليهود إلاَّ بعد وصول الإذن من ملكنا بناء على ذلك آشتكت الطائفة المذكورة إلينا فآنكسر خاطرنا (زعلنا) عن طوره ضد اليهود . ولكننا لا نجبره بأداء الديون لليهود بناء على الصداقة بيننا . بناء على السؤال في هذا الموضوع كتبنا إليكم هذه الرسالة وأرسلناها .

ولما وصل إليكم فليكن معلوماً أن أوجاق طرابلس الغرب .أوجاق مربوط إلى

---

(1) الأرشيف البريطاني باللغة التركية ترجمة الدكتور رمضان ششن F. O. 76 - 1 . P. 40

السلطان . ويجب تجديد كل المعاهدات .

هل يجب تجديد صلح معكم أو إبقاء الصلح القديم . نرجو منكم مطالعتكم في هذا الموضوع . السلام على من أتبع الهدى في 15 محرم سنة 1208 هـ .

سيدي علي باشا طرابلس الغرب

الوثيقة رقم (7)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يبلغه فيها إعادة الحكم في إيالة طرابلس بأيديهم وطرد الغازي علي برغل ويشكره عن المساعدة التي تلقاها من الأسطول الإنجليزي أثناء عودته إلى طرابلس بتاريخ 7 من شعبان 1209 هـ (1795 م) [1] .

الحمد لمن له الحمد والشكر وحده .

بعد السلام التام والآلي الجسام والإجلال والإكرام فالذي ينهى إلى رايس الملة العيساوية وزعيم المملكة الإفرنجية أفضل من تعبد بالإنجيل وحافظ على العهد القديم الذي لا يعتريه تغيير ولا تبديل صاحب الرأي السديد والنظر البعيد ملك ملوك الروم وعظيم الروم والمحب إلينا والمقرب لدينا محبنا الري جورجو الثالث ري الإنجليز لا زال محمود العواقب مأثور المناقب بعد تمييز أغصان الوداد وتأسيس بواعث المحبة والقرب والإتحاد سبب تحرير هذا الكتاب وتسطير هذا الخطاب فإننا على ما تعهدون من المحبة والمودة التي عقدوها أوائلنا ونحن من دولتنا ودولتكم التي لا تتغير بطول الزمان وفي السابق جوابكم آطلعنا على ما أظهرتم فيه من المحبة وما تكلمتم به في المودة وزيادة المسيسية والمحبة والآن أنجالنا قدموا لبلادنا ونزعوا ملك آبائنا وأجدادنا من يد عدونا وهرب العدو من البلاد وركبنا نحن في فرقاطة متاعكم بسنجتكم التي رئيسها القبطان ميدلتوف وروّحنا معه لطرابلس على سر الأحوال ووقف معنا الوقوف الكامل وأظهر إلينا المحبة الكبيرة وفعل معنا مكارم الأخلاق ووقف لنا فوق الضنى ونحن باقيين على المحبة السابقة وأنتم تكونوا كذلك وكل أحد عليه جانب لأنكم من أهل الصلح الصحيح والعهد القديم الذي لا يعتريه تبديل ولا تغيير والمحبة بيننا وبينكم تتأكد وتزيد في كل يوم

---

(1) الأرشيف البريطاني، باللغة العربية . F. O. 76 - 5.

جديد ودمت بخير وعافية ولا زايد إلاَّ خيراً .

والتمام بتاريخ 7 من شعبان سنة 1209 هـ .

المعظم بعناية مولاه عبده علي باشا بن محمد باشا
ابن أحمد باشا قرمانلي دامت معاليه

الوثيقة رقم (8)

رسالة من أحمد باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يشكره فيها عن مساعدة الأسطول الإنجليزي في إعادة والده من تونس إلى طرابلس بتاريخ 7 من شعبان 1209 هـ (1795 م) [1] .

الحمد لمن له الحمد والشكر وحده وإليه يرجع الأمر كله .

بعد السلام التام والآلي الجسام والإجلال والإكرام فالذي ينهى إلى رايس الملة العيساوية وزعيم المملكة النصرانية أفضل من تعبد بالإنجيل وحافظ على العهد القديم الذي لا يعتريه تغيير ولا تبديل صاحب الرأي السديد والنظر البعيد المحب إلينا والمقرب لدينا محبنا الري جورجو الثالث ري الإنجليز سدد المولى أحواله بعد تمييز أغصان الوداد وتأسيس بواعث المحبة والقرب والاتحاد وإننا على ما تعهدون في المحبة التي أسسها أوائلنا وإننا قدمنا لبلادنا ورانا تولينا ملك آبائنا وأجدادنا وهرب الذي كان بالبلد وجلسنا على سرير ملكنا ونحن نزيدوا في محبتكم وأنتم كذلك والعهد السابق مع والدنا نحن باقين فيه وقدم لنا والدنا دام أعلاه في فرقاطة متاعكم بسنجقكم(*) التي رئيسها قبطان ميدلتوف ووقف معه الوقوف الكامل وعمل إليه أفعال المسيسية الذي فيها أدفة الحب والقرب لأنكم أنتم أناس من أهل الصلح الصحيح والعهد الصريح وكل أحد عليه جانب ومنتظرين جوابكم والمحبة بيننا وبينكم تتأكد وتتزيد في كل يوم جديد ودمت بخير وعافية ولا زايد إلَّا الخير والتمام بتاريخ 7 من شعبان المبارك 1209 هـ .

المعظم بعناية مولاه عبده أحمد باشا
ابن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي
صاحب ولاية طرابلس الغرب دامت معاليه

(*) سنجق : سفينة .

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة العربية .F. O. 76 - 5

ملحق

الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الثاني

الوثيقة رقم (9)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي بخصوص جلوس يوسف باشا على كرسي الحكم بتاريخ ١١من ذي الحجة (1209 / 1795 م)[1]

الحمد لمن الحمد والشكر وحده وإليه يرجع الأمر كله .

بعد السلام التام والآلي الجسام والإجلال والإكرام فالذي ينهي إلى رايس الملة العيساوية وزعيم المملكة النصرانية أفضل من تعبد بالإنجيل وحافظ على العهد القديم الذي لا يعتريه تغيير ولا تبديل ملك ملوك الروم وعظيم الروم المحب إلينا والمقرب لدينا محبنا الري الإنجليز لا زال مجمود العواقب مأثور المناقب بعد تمييز أغصان الوداد وتأسيس بواعث القرب والإتحاد والمحبة والوداد سبب تحرير هذا الكتاب وتسطير هذا الخطاب فإننا تولينا ملك طرابلس دار الجهاد وجلسنا على سرير ملك الآباء والأجداد وتعرفوا في السابق أنتم أحباب لدولتنا ووالدنا السيد الباشا محب لكم وأنتم محبين إليه ونحن نزيدوا في محبتكم ومودتكم أكثر في الذي كانت كذلك تزيدوا في محبتنا ومودتنا لأنكم من أهل الصلح الصحيح والعهد الصريح وما عندنا يخبركم به المحب لجنابنا قنصلكم الري الآن ببلادنا والمحبة

(*) الري ، الملك .

(1) الأرشيف البريطاني ، (باللغة العربية) بدون رقم للصفحة. F. O. 76 - 5. P.

بيننا وبينكم تتأكد وتزيد في كل يوم جديد ودمتم بخير وعافية ولا زايد إلاّ الخير والتمام بتاريخ في 11 من ذي الحجة الحرام سنة 1209 هـ .

من المعظم بعناية مولاه عبده
يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن احمد باشا قرمانلي
صاحب ولاية طرابلس غرب نصره المولى

الوثيقة رقم (10)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول تسليح الأسطول الطرابلسي بتاريخ 5 من شوال 1211 هـ (1797 ميلادية) [1].

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والمماثل الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحد .

من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين عبده يوسف باشا ابن علي باشا ابن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي بالوجاق المنصور والتغر المعمور لطرابلس الغرب حميت من كل فتنة وكرب بعد السلام التام والألي الجسام والإجلال والإكرام فالذي ينهي إلى الـري الأعظم والمشير الأفخم والدستور الأكرم صاحب الرأي السديد والنظر البعيد المحب لجنابنا الري جورجو ادبريتانية سدد المولى أحواله وبلغه في أجناس الروم أمنيته وآماله ثم بعد تتمين أغصان الوداد وتأسيس فروع المحبة والإتحاد المؤسسة من الآباء والأجداد وثناء دايم الإمداد ما ثبت بيننا وبينكم من الحب وتأكيد أسباب المودة والقرب وكان في مرادنا التطلع على ما يسرنا من أحوالكم جعلها المولى موافقة لأمالكم ونحن لنا زماناً ما رأينا منكم جواب ولا مراسلة ولا خطاب فلعل المانع خيراً وعاقبة الأمور يسراً والآن ظهر لنا أن نوجهوا إليكم كتاباً من أطرافنا به مما حصل لكم من النصر وغلبكم لجميع الأجناس من كل قطر لأننا بيننا وبينكم من السابق محبة واردة وفي كل يوم لم تزل متزايدة وفي السابق عذرناك من عدم إرسال الجواب لأن القيرة شغلتك عن تفكر الأحباب والآن قد عرضت لنا عندكم حاجة إلينا فرقاطة من نشو بلادكم المتين وتكون طيبة وعليها من المدافع أربعة

(*) القيرة : الحرب .

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة العربية ، بدون رقم للصفحة F. O. 76 - 5. P.

وعشرين ونريدوك أن ترسل إلينا ذلك مع الطبيب المذكور بالعجل لأن الطبيب يلزمنا وأنت نعرفوك أنك تحبنا وحاجة المحب عند حبيبه لا يلحقه منها ضجر ولا ملل وجميع ما عندنا يخبركم به الطبيب المذكور مشافهة ويفصله لكم في جوابه قنصلكم المقيم عندنا في هذه الديار الساعي بيننا وبينكم فيما تزداد به المحبة وإناء الليل وأطراف النهار وما قنصلكم هذا إلا رجل أديب عاقل أريب ملازم للأدب معنا ولكم بالطاعة بقدر الاستطاعة في كل وقت وساعة بمثله من يتغير في خدمة الملوك والسلاطين لأنه دايما يسعى في نمو المحبة وتأكيدها بين الدولة وأما نحن قد آشتهرت محبتنا فيكم بين الناس حتى أنه لم يماثلكم عندنا جنس من الأجناس فجميع ما تعرض لكم ودمتم بخير وعافية ونعم وافرة منا فيه والتمام بتاريخ 5 من شوال 1211 هـ .

الوثيقة رقم (11)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول عقد آتفاقية بين نابولي وطرابلس لتحقيق رغبة الحكومة الإنجليزية بتاريخ 10 من جمادي الثانية 1215 هـ (1800 م) [1] .

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والصاحبة والولد .

من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين عبده يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي متصرف أوجاق طرابلس غرب حماه المولى من كل شدة وكرب بعد السلام التام والآلي الجسام والإجلال والإكرام والترفيع والإفخام فالذي ينهى إلى رايس المملكة الإنقليزية المؤيدة الحمية المحب لجنابنا الري جورج الثالث لا زال محمود العواقب مأثور المناقب فبعد تتمين أغصان الوداد وتأسيس فروع المحبة والإتحاد وثناء دايم الامداد وصفاء الطوية وحسن الاعتقاد والنية لم تبرح العزايم على تأكيدها ساعية تعرض على مسامعك الواعية هو أننا على محبتكم الصافية الموارد المستول على عابيها بالشاهد لا نحول عن ذلك الحال ولا يطرقنا فتور ولا ملال فأكثر الجديدان وتعاقب الملوك إذ نحن أولى من يحافظ على تلك العهود الموروثة من الآباء والجدود . هذا وإن سبب كتب هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب أن قنصلكم لوكس الذي هو عندنا أخبرنا أنه مرادكم ويجي على بالكم أي خاطركم ويكون على يديك عقد محبة صافية بيننا وبين ري نابل وتكون عقدة وصلح الذي هو يصلح بين الجانبين تعلم يا محبنا هذا شيء ما يلحقك فيه شك وفي تقديرنا فيك فيما فات وفيما يأتي مثل ما هو عندك العرض في السابق في كم من حاجة عملناها لأجل خاطركم ومحبتنا فيكم وكذلك المرة الأخرى قضية الفرانصيص سلمناهم إلى مركب البرتقيز(*) بمكتوب من الجنرال لينسن وهذه

---

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة العربية. F. O. 76 - 5. P. 125.

(*) البرتقيز : البرتغال .

حاجة عمرها ما صارت ولا تصير عند غيرنا أناس قاعدين تحت الأمان برجنيري قيره وانتم أمر القيرة تعرفوه أكثر من كل أحد ولاكن لأجل خاطركم حملنا في أنفسنا وحشومتنا قدام الوجاكات وبين أقراننا من المسلمين ولكن الذي هو يعجبكم يطيب عليه خاطرنا ويكون إن شاء المولى سبحانه حتى أنتم هكذا ونحن يا محبنا عندنا داعي في صلح النابلطان المذكور لأن احنا ما يلحقنا شك فيكم إنكم تعملوه على مرادنا ولكن يا محبنا كيف آستشرنا مع الديوان والوزراء متاعنا مثل ما هو عادة عندنا وعند غيرنا فما آتفقوا فيما آستشرناهم قالوا حتى ننظروا الشروط وتفصيلها على أي وجه يريدها ري نابل وإن شاء المولى سبحانه يصلح بنا وبهم ونعملوه لأجل خاطركم ونحن نعزوكم كثير ومن جملة مراعاتنا لخاطركم إذننـا قرصاننا(*) على مراكب النابلطان الذي عندهم باصاوانتي متاع الميراليوا متاعكم لم يجبروا عليهم وحمدنا المولى سبحانه يا محبنا الذي مالطة باتت بأيديكم وطردتم منها العدو فنحن فرحنا فرحاً شديداً بقرب الحبيب وبعد العدوة ونحن يا محبنا أخبرنا الكوماندنت(**) بول متاعكم الذي هو في مالطة أن هم مخصوصين في الذخيرة وغيرها نحن إذننـا ناس بلدنا وجميع الوطن متاعنا أن يرفعوا لهم المأكول وجميع ما هو موجود في أرضنا مثل ما أخبرنا الكوماندنت المذكور والتمام بتاريخ 10 من جمادي الثانية 1215 .

(*) القرصان : البحارة .

(**) الكوماندنت : حاكم الجزيرة .

الوثيقة رقم (12)

منشور من يوسف باشا القرمانلي إلى قناصل الدول الأجنبية ورعاياهم حول عدم تورط القنصل المكلف بالشؤون الإنجليزية في الحرب الطرابلسية الأمريكية بتاريخ 29 من جمادي الثانية سنة 1216 هـ (1801 ميلادية) [1] .

الحمد لمن له الحمد وله الأمر من قبل ومن بعد :

من عبد ربه سلجانة المتوكل عليه في جميع أموره يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي صاحب ولاية طرابلس غرب في التاريخ سدد المولى أحواله وأمين إلى كافة من يقف على كتبنا هذا من الخاص والعام وساير الأنام أما بعد فالذي يكون في علمكم أن برنارد ماك ذونق وكيل الإنقليز(*) عندنا الآن لم تكلم معنا بكلمة سوى في جانب الملكان(**) ولا علمنا فيه ذلك مدة مكوثه عندنا وتردده علينا والتمام بتاريخ 29 من جمادي الثانية 1216 هـ .

(*) الإنقليز : الإنجليز .

(**) الملكان : الأمريكان .

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة العربية . F. O. 76 - 5. P. 137.

الوثيقة رقم (13)

رسالة من السيد ماك رونوغ المكلف بادارة القنصلية الإنجليزية إلى يوسف باشا القرمانلي حول أوامره المشددة للسفن الإنجليزية بالإبتعاد عن شواطىء درنه تنفيذاً للأوامر الصادرة من يوسف باشا بالخصوص [1] .

طرابلس البربر في 29 مارس 1803 .

نحن ب . ماك رونوغ برونسل صاحب الجلالة البريطانية في هذه المدينة ومملكة طرابلس بالبربر .

إلى صاحب السمو يوسف باشا أمير هذه المدينة وتوابعها نتيجة للمحادثة التي تمت أمس مع سموكم ووفقاً لفحوى ما عرفتموني بكتابته إلى في هذه التاريخ فإني لم أتأخر عن إعطاء الأوامر رسمياً باسم الملك المعظم سيدي الملكي إلى القبطان ناركوهو كومندان السفينة سلايس الراسية في هذا الميناء بأن لا يبحر لأي غرض كان إلى درنة وذلك للأسباب التي طرحتموها سموكم بمناسبة القلاقل والثوار التي يقودها شقيق سموكم المقيم هناك . ولن أتأخر بنفس الطريقة إبلاغ نفس الأمر إلى سعادة حاكم مالطا لينبه على كل سفينة تحمل علماً إنجليزياً أن لا تذهب إلى هناك حتى أوامر جديدة من سموكم . وكل سفينة تتجه إلى ميناء درنة المذكور رغم آستلامها هذا الأمر لسموكم الحرية التامة في الإستيلاء عليها .

لي الشرف بأن أكون سموكم .

الخادم المخلص والمطيع

التوقيع : ب. ماك رونـوغ

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، ملف القنصلية الإنجليزية ، باللغة الإيطالية ، ترجمة الاستاذ خليل صبيغة .

الوثيقة رقم (14)

رسالة من القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد إلى سكرتير الدولة ووزير الخارجية الإنجليزي حول إتفاقية الصلح المبرمة بين طرابلس الغرب والحكومة الأمريكية بتاريخ 5 يونيو سنة 1805 ميلادية [1].

طرابلس الغرب
5 يونيو 1805

سيدي اللورد . . .

يشرفني أن أبلغ سيدي اللورد أن معاهدة سلام قد تمّ التصديق عليها يوم أمس بين الولايات المتحدة الأمريكية وهذه الإيالة .

ويعتبر العقيد لير المفوض المعين من قبل الولايات المتحدة للتفاوض بشأن المعاهدة التي آتفق على إعطاء سمو الباشا ستين ألف دولار كفدية عن القبطان بابن بريدج وضباط وطاقم الفرقاطة الراحلة فيلادلفيا .

ولن تدفع الولايات المتحدة أية اتاوة بعد الآن ولكن سترسل الهدايا مع قنصلها . وإرفاقاً بهذه الرسالة أنقل إلى فخامتكم إشعاراً برسالتي المؤرخة في 15 ديسمبر والتي تشير جزئياً إلى الراحل السيد « اشيرش » أما الساعة فلم تصل بعد .

لي الشرف أن أكون يا سيدي الخادم المطيع والمتواضع لفخامتكم .

و. و. لانجفورد
القنصل العام

---

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة الإنجليزية ترجمة الاستاذ محفوظ أحمد الأحول .
F. O. 76 - 6. P. 11.

الوثيقة رقم (15)

رسالة من القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد إلى سكرتير الدولة وزير الخارجية الإنجليزية بخصوص وصول الهدايا المرسلة إلى يوسف باشا القرمانلي بتاريخ إبريل سنة 1805 م [1] .

طرابلس الغرب

إبريل 1805 م .

سيدي اللورد :

يشرفني أن أبلغكم بأن هدايا جلالة الملك قد وصلت بسلام أمس على متن سفينة مالطية وإن كافة المواد مطابقة تماماً للقائمة المرفقة برسالتكم والمؤرخة في 26 أكتوبر عدا ثلاث ساعات فضية بدلاً من أربع .

وتمت في هذا اليوم بحمل تلك الهدايا إلى القلعة . وأن سموه قد طلب منّي باسمه شخصياً ـ لدى رده على كلمتي عند تقديم الهدايا ـ نقل أمتنان وشكر البيه وضباطه على هذه الهدايا من صداقة جلالته .

لي الشرف يا سيدي أن أكون الخام المطيع والمتواضع لسيادتكم .

القنصل العام

وليام لانجفورد

---

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة الإنجليزية ، ترجمة الاستاذ محفوظ محمد الأحول .
F. O. 76 - 6. P. 3.

الوثيقة رقم (16)

رسالة من القنصل الإنجليزي وليام لانجفور إلى سكرتير الدولة ووزير الخارجية الإنجليزي حول تعاون الباشا الطرابلسي مع إنجلترا بتاريخ 15 مايو سنة 1810م [1].

طرابلس الغرب
25 مايو 1810 ،

سيدي اللورد :

إنه في يوم 21 من نفس الشهر أحضر لي مبعوث جلالته الكابتن « ماركلاند » رسالة من اللواء « أوكس » يذكر فيها أن الملك كان مسروراً للغاية لتعيينه أي « أوكس » مفوضا مدنيا لشؤون مالطا .

وبهذه المناسبة تلقيت رسالة من اللورد الراحل « كولنغ وود » يصف فيها الوضع الراهن لجزر ـ جوثيان ، سيفولونيا ، زنلا ، اتاكا ، سيريغو .

وقد أجريت آتصالاً بنفسي مع الباشا بالخصوص الذي أعرب عن آستعداده لاحترام علم أي شعب يتمتع بحمايتنا . وفوق ذلك فإنه وعن رضا تام سيلبي كل رغبة للحكومة الإنجليزية .

لي الشرف أن أكون سيدي اللورد الخادم المطيع والمتواضع لفخامتكم .

و. و. لانجفورد

---

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة الإنجليزية ، ترجمة الاستاذ محفوظ محمد الأحول .
F. O. 76 - 7. P. 24.

الوثيقة رقم (17)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث بخصوص إعادة سفينة طرابلسية أسرت من قبل الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط بتاريخ 21 جمادي الأولى سنة 1225هـ (1810م)[1].

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والصاحبة والولد .

من عبد ربه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين عبده يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي متصرف وجاق طرابلس غرب حماه المولى من كل شدة وكرب بعد السلام التام والألي الجسام والإجلال والإكرام والترفيع والإفخام والتعظيم اللايق بالمقام فالذي ينهي إلى رأيي ملوك الملة العيساوية وكفيل مملكة القرانبريطانية وإيرلاندة العلية أفضل من تعبد في زمنه بالإنجيل وحافظ على العهد القديم من غير تغيير ولا تبديل صاحب الرأي السديد والنظر البعيد من له في كل الأمور بعقله الرشيد تمييز المحب لجنابنا سومايستي جورجو الثالث ري الإنقليز لا زال محمود العواقب مأثور المناقب بعد تثمين أغصان الوداد وتأسيس فروع المحبة والإتحاد وصفاء الطوية وحسن الإعتقاد والنية لم تبرح العزايم على تأكيدها ساعية تعرض على مسامعكم الواعية هو أننا على ودكم الصميم وعهدكم المبرم القديم والمحافظة على ما للمحبة من شروط بل زدنا على ما هو في الصلح مفيد مضبوط حتى أنه يشهد جميع الناس بأنه لم يماثلكم عندنا جنس من الأجناس كما نرجوا منكم أن تكونوا حتى أنتم كذلك ما يمثل شي من جنابكم في جميع المسالك ثم أن سبب هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب أعلامكم يا من ليس مثله عندنا أحد من

(*) الفابريكات : المصانع

(1) الأرشيف البريطاني باللغتين العربية والإنجليزية .F. O. 76 - 7. P. 34

الخلال بأن سبب بلادنا لكثرة من بر السودان وجميع ما يلزمنا من البضائع المالية يأتون بها من الفابريكات ليطالية وكذلك ما يلزم أناس بلادنا وعساكرنا وأجنادنا وقد لزمنا أن نرسل سفينة من مراكبنا المافرة للفورنة لأجل أن تأتينا بالبضائع الحاضرة ثم أن السفينة المذكورة لما جاءت راجعة موسوقة من ذلك الحيز أخذتها فريقاطة قرصان بيليك إنقليز وأدتها لمالطة وحكموا بأنها بونة بريزة ولم يراعوا محبتنا وميلنا لدولتكم العزيزة ونحن على قولنا بأن عذرنا قايم وهو أنه لو كان هؤلاء البضايع يوجدوا في بر الإنقليز ما نحتاجوا للغير وخصوصاً هذا الشيء لنا لازم وأيضاً فإنه لازم لأهل إيالتنا لتجرية معاشهم ولينتفعوا بحرمة دولتنا والآن لأجل ما لنا فيك من سابق الحب وبواعث الوداد والقرب طالبون حكمكم أنتم في رجوع هذه السفينة وأن لا تشمت فينا من يريد إختلال محبتنا المتينة وكذلك تسرح لنا في كل عام سفينة أو سفينتين من مراكبنا لتأتي برزقنا ورزق أهل إيالتنا بسنجقنا ولا يتعرض لها أحد في المشي ولا في الرجوع بوجه من الوجوه وهذا أوكر شيء منكم نوملوه كما أننا نحن لم يقع منا في مصالح جنابكم تقصير وكل ما يطلبه نصيرنكم مع شدة الحاجة إليه نعطوه لهم من قليل وكثير من جميع البضايع وخصوصاً من اللحم والمأكول ولم نحجر عليهم مرسى من مراسي إيالتنا في العرض والطول كل ذلك محافظة على بقاء المحبة والوداد والعهد الموروث على الآباء والأجداد ومع ذلك لم نزالوا نسمعوا من الفرانصيص ما يغير خاطرنا على أجلكم وعلى ما نظنوا حتى أنتم لم تقصروا في شيء من مصالحنا التي تعرض إلينا قبلكم وجميع ما ذكرناه وأشرنا إليه يشهد به قنصلكم المقيم عندنا لأن جميعه بمرأى عينيه وليس الخبر كالعيان وربنا المسؤول أن يبقيكم في عافية أبداً الزمان فإن قنصلكم هذا رجل أصيل ولا تزلزله حادثة بتغيير ولا تبديل ونحن وإياه في غاية المساعدة ساعياً في بقاء المحبة مجاهداً غاية المجاهدة ودمتم بخير وعافية ونعم صافية وتمت به في 21 من جمادي الأولى سنة 1225 هـ.

(*) لفورنه : إحدى الموانيء الإيطالية بالبحر الأبيض المتوسط.

الوثيقة رقم (18)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث حول تدخل القنصل الإنجليزي وليام لانجفورد في الشؤون الداخلية للإيالة بتاريخ 28 من ذي القعدة سنة 1225هـ (1810 ميلادية)[1].

الحمد لمن له الحمد وله الأمر من قبل ومن بعد .

من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين عبده يوسف باشا بن علي بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي متصرف وجاق الجهاد تغر طرابلس غرب حماها المولى من كل شدة وكرب بمنه وأمين بعد السلام التام والإجلال والإكرام والترفيع والإفخام فالذي ينهى إلى صاحب الرأي السديد والنظر البعيد حبيبنا وأعز جميع أجناسه علينا الري جورج الثالث المتصرف في القرآن برتاني ايرلاند لا زال محمود العواقب مأثور المناقب وبعد تعلم في أربعة من هذا الشهر أرسلنا جواباتنا إلى محبينا القبرنوور متاع مالطا وكذلك لكلما ندنت الكبير متاع الظلالمة الذي هو الآن في هذا البحر وعلمناهما على التفصيل بالفعل الدوني الذي فعله القنصل لنفرد وطلبينا من المذكورين أن يعلموك بصورة الواقع وأنت يا محبنا تعرف بأن الجزاير اليوم خمسة سنين واقع فيها الهرج من أجل بعض كلام صدر من اليهود قتلوا حاكمهم وإلى الآن ما تصفى أمر حكامها ويعلم ربنا متى يرتاحوا في المستقبل وينتظم حال دولتهم ويعود كيفما كان ونحن متوقعين ذلك بأدنى سبب فما بالك بهذا الشيء العظيم والمسلمين لهم غيرة على الدين إذا أعترتهم تحملهم على الموت وهو عليهم هين لأنه عمل معهم ما لا يطاق بوجه من الوجوه فالمطلوب منك يا محبنا بأن تعمل لنا وجه في هذا الراجل ومرة قبل هذا أشتكينا منه للمرحوم القبرندور بال وأعطانا الحق في كل شي وكيف قدم عليه

(1) الأرشيف البريطاني، باللغة العربية، F. O. 76 - 7. P. 217.

القنصل المذكور في حياته نحو ثلاثة سنين قبل التاريخ مسكه القبرندور وأراد أن يبقيه في مالطا إلى أن يعلمك ولا رجع إلى عندنا إلاَّ من شأن كواعظه يريد يرجعهم ثم طاح في عرضنا وطلب منا أن نسامحه ويترك جميع أفعاله الرديه والآن رجع كيف حالته السابقة وأكثر والطبع لا يتبدل ونحن وإياكم يا محبنا على العهد القديم والمحبة الدايمة لا تبديل ولا تغيير وناسيون الإنقليز عندنا أعز الأجناس وهذا القنصل ما يسعى إلاَّ في الفساد بين الجانبين ولا فيه صلاح أبداً فالمطلوب منك يا محبنا أنك تريحنا منه وتبعده عنا وجميع ما يلزم الجزيرة المالطية من الأشياء الذي في عمالتنا كلها كرهني البال منه ولا لنا عليكم زيادة في كل الأمور ودمتم بخير وعافية والتمام بتاريخ 28 من ذي القعدة 1225 هـ .

من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل [illegible]

العالمين عبده يوسف باشا بن علي بن محمد باشا [illegible] قرمانلي [illegible]

ومنار المجيد [illegible]

السلام التام والإجلال والإكرام والترحيب والإعظام [illegible] صاحب [illegible]

المنشرف والعطر [illegible] حبيبا [illegible]

في الغرام [illegible] لا زالت محفوظة [illegible] نعلمكم في

من هذا الشهر أرسلت حوائجا إلى محبتنا [illegible]

الكبير [illegible] الذي هو الآن في هذا البحر [illegible] على التحصيل [illegible]

الدولي الذي [illegible] من المذكورين [illegible]

وأنت يا محبنا تعرف بأن الجزائر اليوم خمسة سنين واقع فيها الهرج من أجل [illegible]

كلام صادر من اليهود قتلوا حاكمهم وإلى الآن ما تصفى أمر حكامها ويعلم [illegible]

متى يرتاحوا في المستقبل وينتظم حال دولتهم ويعود كيفما كان ونحن متوقعين [illegible]

بأدنى سبب فما بالك بهذا الشيء العظيم والمسلمين لهم غيرة على الدين [illegible]

أعترتهم تحملهم على الموت وهو عليهم هين لأنه حمل معهم ما لا يطاق بوجه [illegible]

الوجوه فالمطلوب منك يا محبنا بأن تحصل لنا وجه في هذا الراحة ومرة قبل [illegible]

أشكينا منه للمرحوم القبطان بأن وأعطانا الحق في كل شيء وكيف قدم [illegible]

---

(1) الأرشيف البريطاني، باللغة العربية، F.O. 78-7. P. 217.

ملحق

الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الثالث

الوثيقة رقم (19)

رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول منح رعايا نابولي نفس المزايا التي يتمتع بها رعايا صقلية [1].

نابولي في 14 يوليو 1815.

سيدي الرئيس المحترم.

بتكليف من جلالة ملك نابولي فإن جلالته يرى فضل حكمته أن يتمتع رعايا نابولي بنفس المزايا الملاحية الممنوحة إلى رعايا الصقليتين بموجب الهدنة الحالية المعقودة مع الولاية فبأمر جلالته أرجوا سيادتكم الاتصال بالمسؤولين في حكومة الإيالة حتى تطبق الهدنة المعقودة مع مملكة صقلية على مملكة نابولي أيضاً وفقاً للمنطق حيث أن المملكتين تابعتين لأمير واحد وتحمل سفنها نفس العلم وقد يكون مشينا أن يرى البعض منها معرضاً للخطر والآخر في مأمن منه.

كما أعلم سيادتكم أن الملك عازم عزماً وطيداً على أن يبرم صلحاً ثابتاً ومستديماً مع الإيالة وريثما يتسنى الوقت الكافي لإتمام المداولات وتجهيز الشروط فإنا في حاجة إلى أن تتكلفوا سيادتكم بالحصول من سمو الباشا على امتداد الهدنة

---

(1) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملف قنصلية نابولي، باللغة الإيطالية ترجمة الاستاذ خليل حبيقة.

للمملكتين إلى غاية سنة 1816 .

وحتى يتم ذلك فقد كلفكم الملك بمهام قنصلية نابولي كما أنتم مكلفون بنفس المهام لصقلية ليتمتع جميع رعاياها بنفس المزايا . وإذا لم تستلموا سيادتكم المستندات المتعلقة بالقنصلية الملكية للصقليتين مع هذه الرسالة فإن ذلك يرجع إلى عدم وجود الأوراق الخاصة لهذا الغرض وينتظر وصولها من صقلية فعند إستلامها سترسل إلى سيادتكم مستندات الاعتماد الملكية الرسمية . إن جلالة الملك يعتمد على همتكم وعلى مجهوداتكم للوصول إلى أحسن النتائج وهي أن يرى رعاياه محميين وعلمه الملكي محترماً .

ويسرني أن توافوني سيادتكم بكل ما قد يهم الحكومة الملكية لعرضه على الملك كما أن تكتبوا لي بأي وسيلة ممكنة لأكون على علم بمجرى الأحوال .

سكرتير الدولة ووزير الخارجية الماركيزي دي شيرشللو

إلى السيد هانمر وارنجتون القنصل الملكي بطرابلس .

الوثيقة رقم (20)

رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول أسر سفينة نابولية من قبل البحارة الطرابلسيين بتاريخ أول سبتمبر سنة 1815 م [1] .

نابولي في أول سبتمبر 1815 م .

سيادة الرئيس المحترم

إن قرصاناً طرابلسي بعدما نهب سفينة تحمل علم مولاي جلالة الملك توجه بغنيمته التي قام بأغتصابها بكل جرأة وذلك في 31 يوليو الماضي إلى مسينا وآعتدى على حصن تلك المدينة التي يرفرف عليها نفس العلم الملكي .

فليتصور سيادتكم الأثر الذي أوقعته هذه الجرأة من روح السلطات الملكية في مسينا وفي روح سكانها وسوف تندهشون إذا علمتم أنه بالإضافة إلى هذه الإهانة فقد أبدى الرئيس الطرابلسي تهديده إلى السلطات إذا رفضت تزويده بالمؤن التي يطلبها أو وقع له أي مانع على خروجه من الميناء مع غنيمته النابوليتانية أن جلالته بدلاً من أن يغضب عن وصول هذا التقرير إليه وبدلاً من إصدار الأوامر التي يقتضيها هذا الإجراء أوحت إليه نفس الطبيعة أن يلتمس عذر لما اقترفه الرئيس الطرابلسي وآعتباره . أما جاهلاً للتقاليد والمعاملات اللائقة التي يجب أن تسود بين الدول والملوك أو معتوهاً ولذلك آكتفى بأن يصدر أمره بحجز السفينة المغصوبة في مسينا حتى تتخذ إجراءات أخرى في هذا الشأن .

إن جلالته يعتمد على همتكم وعلى مقدرتكم لاقناع الحكومة لوضع حد نهائي لمثل هذه المنازعات ولاحترام الهدنة الحالية والعلم الملكي وذلك حتى

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، ملف قنصلية نابولي باللغة الإيطالية ترجمة الاستاذ خليل حبيقة .

تجهز شروط معاهدة السلام بين الدولتين . أما إذا تهاونت الحكومة أو أبدت حججاً واهية في رد ما نطلب رده على حق أو في وقت آستمرار أعمال القرصنة البحرية فيرغب جلالته في أن تعلموا سيادتكم الباشا أن المسافة بين الدولتين ليست ببعيدة كما أن وجود القوات البحرية الملكية سيعطي الملك الوسيلة بأن يسحق حالاً وبكل شدة غزوات هؤلاء الهمج الغادرة كما أنه قد يؤل الأمر إلى أن يضطر جلالته إلى إعطاء أوامر صارمة إلى قباطن سفينة الحربية لإغراق السفن الطرابلسية التي يقابلونها في رحلاتهم أرجو قبول عبارات تقديري واحترامي .

سكرتير الدولة ووزير الخارجية الماركيزي دي شيرشللو

إلى سيادة هانمر وارنجتون

قنصل عام جلالة ملك الصقليتين

الوثيقة رقم (21)

رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون يطلب منه إعادة السفن النابولية التي أخذت من قبل البحارة الطرابلسيين بتاريخ 30 ديسمبر 1815 م [1] .

نابولي في 30 ديسمبر 1815

السيد المحترم :

بالإحالة إلى كتابكم المؤرخ في 16 نوفمبر الماضي أفيد سيادتكم بأني في يوم 18 من الشهر المذكور أرسلت جواباً على خطابكم السابق المؤرخ في 20 أكتوبر مؤكداً لكم بأنه لا يوجد فعلاً أي إعلان حرب من جلالة الملك ضد الولاية التي كلفتكم باسم جلالته بمطالبتها بالسفن التي سلبت بمعرفة القرصان الطرابلسيين رغماً عن الهدنة السائدة كما أني أكلفكم الآن باسم الملك بطلب أسترداد السفينتين الأخريتين مع بحارتها اللتين سبقتا إلى الميناء طرفكم في 13 من نوفمبر وفقاً لما جاء في كتاب سياداتكم المشار إليه في 16 نوفمبر وإني ألفت نظركم من جهة أخرى إلى أن جلالته ينتظر بفروغ صبر الإجابة المرجوة من الباي على العروضات المرفوعة في رسالتي المؤرخة في 18 نوفمبر لاتخاذ التدابير التي تراها حكمته وعدالته مناسبة ومن الآن فإني أرجو سيادتكم أن تكونوا على يقظة لمساندة حقوق الملك وللدفاع عن رعايا مملكة الصقليتين وحمايتهم في كل ظرف من الظروف .

وأنتظار لجوابكم فإني أرجو قبول أسمى شعوري وتقديري .

سكرتير الدولة ووزير الخارجية الماركيزي دي شيرشللو

إلى السيد هانمر وارنجتون

قنصل عام جلالة ملك الصقليتين بطرابلس

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف قنصلية نابولي ، (باللغة الإيطالية) ترجمة الاستاذ خليل حبيقة .

الوثيقة رقم (22)

رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول اسر سفينة نابولية من قبل البحارة الطرابلسيين بتاريخ 23 مايو سنة 1816 [1] .

نابولي في 23 مايو 1816 ،

السيد المحترم :

بتاريخ 12 مايو الجاري أخطرني القنصل الملكي بكورفو أن القبطان بنايوتي كوندوري الذي وصل إلى ميناء تريستا بعلم بريطاني يوم 10 من نفس الشهر أفاد أنه ترك في مياه دوراتزو شبكتين وسفينتين صغيرتين عليهما العلم الطرابلسي ومعهما سفينة تجارية نابوليتانية ، فالرجاء من سيادتكم ملاحظة عودة السفينتين المذكورتين وإجراء اللازم نحو الغنيمة المشار إليها .

ومطالبة الحكومة طرفكم بإعادة السفينة المذكورة وغيرها مما قد تكون موجودة في الولاية بموجب المعاهدة التي سبق إبرامها .

مع الشكر والتعبير عن عظيم تقديرنا لسيادتكم .

سكرتير الدولة ووزير الخارجية المالكيزي دي شيرشللو
إلى السيد هانمر وارنجتون
قنصل عام جلالة ملك الصقليتين بطرابلس

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، ملف قنصلية صقلية، باللغة الإيطالية ترجمة الاستاذ خليل حبيقة .

الوثيقة رقم (23)

رسالة من سكرتير الدولة ووزير الخارجية لمملكة الصقليتين إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص آحترام السفن النابولية من جانب الأسطول الطرابلسي بتاريخ 13 يناير سنة 1816 م [1].

نابولي في 13 يناير 1816 ،

السيد المحترم والسامي. :

بما أني رفعت إلى الملك مولا كتابكم المؤرخ في 27 يوليـو من العـام الماضي والموجه من سيادتكم إلى السيد الدوقا لوكيزي باقي لأخطاره بما حدث للمركب المسماة نسترا سينيورا ديللا وربانها أنطونيو سكيانو وعلمها الملكي والتي أخذها كغنيمة أحد القرصان الطرابلسيين وقاد بها إلى الولاية طرفكم حيث قرر سعادة الباشا أنها غنيمة طيبة هي وبحارتها فإن جلالته كان راضياً رضاء كاملاً على الهمة التي أظهرتموها لصالح رعاياه الذي آغتنموا بعد من الرئيس القرصان وآستعبدوا بدون أي حق وذلك كما لوحظ من التماسهم الذي أرفقتم صورة منه مع كتابكم .

فإبلاغي لسيادتكم الرضاء الملكي يرغب الملك في أن تعلموا باشا طرابلس بعدم شرعية هذه الغنيمة وكذا جميع الغنائم التي آقترفت إلى الآن وذلك بأن تذكروه فقط بالمادة الأولى من معاهدة الهدنة المبرمة في 10 مايو سنة 1812 بين الحكومتين والتي تنص :

« ابتداء من تاريخ هذه المعاهدة تثبت هدنة كاملة بين حكومة جلالة ملك الصقليتين وسموا الباشا باي طرابلس ودولتيها وولاياتهما وبلادهما ورعاياهما

---

(1) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، ملف قنصلية صقلية، باللغة الإيطالية، ترجمة خليل حبيقة .

والخاضعين لهما سواء في البحار أو في البر وذلك خلال كل الوقت الذي تبقى فيه جنود جلالة ملك بريطانيا في جزيرة صقلية » .

فبمقتضى هذه المادة بيدكم من السهل إقناع أي كان من أن جميع رعايا جلالة ملك الصقليتين وممتلكاتهم معتبرون ويجب أن يكونوا معتبرين تحت حماية المعاهدة المشار إليها .

بأمر الملك إذا أبلغ لسيادتكم وجهات النظر الملكي السامي حتى تتخذوا الخطوات المناسبة في الموضوع وتفيدونا بالنتيجة .

وفي الانتظار أقدم لسيادتكم تقديرنا وآعتبارنا .

سكرتير الدولة ووزير الخارجية الماركيزي دي شيرشللو
إلى السيد هانمر وارنجتون
قنصل عام جلالة ملك الصقليتين - بطرابلس

الوثيقة رقم (24)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يبلغه فيها عن كثرة تدخلات القنصل الإنجليزي وارنجتون في الشؤون الداخلية للإيالة ويطلب منه إيقافه عن مثل هذه الأعمال بتاريخ 5 من رجب سنة 1233 هـ (1818 م) [1] .

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والغر والند والصاحبة والولد .

من عبد ربه أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين عبده يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي صاحب ولاية طرابلس الغرب حماه المولى من كل شدة وكرب أمين بعد السلام والآلي الجسام والإجلال والإكرام والترفيع والإفخام والتعظيم اللايق بالمقام فالذي ينهى إلى رئيس المملكة البهية وعظيم الجماهير الإنقليزية صاحب الرأي السديد والنظر البعيد من له في كل الأمور بعقله تدبير وتمييز محب جنابنا كبير جميع الرايات الري جورجو الثالث بالإنقليز سدد المولى أحواله ونعم باله بعد تثمين أغصان الوداد وتأسيس فروع المحبة الموروثة عن الأباء والأجداد وصفاء الطوية وحسن النية لم تبرح العزايم على تأكيدها ساعية تعرض على مسامعكم الوايعة هو أنه لا يخفى على علمكم وذكى بهمنكم ما نحن عليه من محبتكم من سالف الزمان ولم نزالوا نتوارثوا فيها خلفاً عن سلف وإلى الآن بحيث أنه إيمالتكم عندنا جنس من الأجناس ويشهد لذلك جميع الناس كما نرجوا منكم أن تكونوا على هذا المنوال وأن يكون عقد المحبة بيننا دايم الاتصال ثم أن السبب الداعي لتسطير هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب هو أن مرادنا في أعلامكم على قنصلكم المقيم عندنا الآن المسمى يرنقطن ونبينوا لك جميع ما صدر منه في جنابنا على

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغة العربية) .F. O. 76 - 12. P. 29

القنصل ونعرفوك بجملة أحواله معنا من كثير وقليل وهو أنه مدة عام فارط ادّعى علينا في كم من قضية لا لها أصل ولا مفصل بالكلية ويطالب فينا المرة بعد المرة بالمال وفي كل وقت يظهر لنا بشيء لم يخطر لنا ببال ونحن نساعدوا فيه على ذلك وسالكين معه طريق المحبة أحسن المسالك وجميع ما طلبه منا من المال وافيناه به من غير مزاهدة منا ولا إمهال وكل ذلك مراعاة له لأجل خاطركم وجلباً لمرضاتكم ومحافظة على بقاء المحبة والوداد والعهد الموروث على الآباء والأجداد وفي يقيننا أنك ما ترضى هذا الفعل معنا لأن ظننا فيكم جميل والعهد القديم الذي بيننا وبينكم لا يعتريه تغيير ولا تبديل ما دام الزمان وتعاقب الملوك وها نحن نبينوا لك صورة الواقع ونظركم في ذالك واسع .

القضية الأولى

هو أنه في السابق مدة تسع سنين دخل مرصتنا قرصان اصبنيول بغنيمتين طرباً فلوا موسوق بجانب قمح وشباك موسوق كريسته واحدة إنقليز والثانية سلسيان فآشتريناهم منه بألف وتسعة ماية ريال دور على مقتضى الكنترات المبينة في فنصلارية الاصبنيول ثم بعد ذلك قبل ما ندفعوا العدد المذكور وقع الكلام بين قنصلكم لانفور وقنصل السبنيور على هؤلاء الغنيمتين فبقي ثمنهم تحت يدينا ورجعنا لانفور الطربا فلوا فارغ من غير ثمن ومن حقنا نقيموا قدر قيمته من العدد المذكور الذي عندنا ثم بعد قوات سنين عديدة قدم رايس قرصان الاصنبيول المذكور إلى مالطا وتكلم مع مركانتي إنقليز سميت بلصم على هذا المعنى فعند ذلك كتب بلصم إلى قنصلكم برنقط وعرفه بهذه القضية فعند ذلك أتانا في الحين وطلب منا عشرين ألف ريال دورو من الغنايم المذكورين فتكلمنا معه وقلنا له هذا العدد ثمن مستكثر خالف العادة وبين لنا الوجه الذي ندفعوا لك به هذه الزيادة فآدعى بأنه فايدة الغنايم الاثنين فدفعنا له العشرين ألف دورو الذي طلب بالوفاء والتمام ونحن نسمعوا بأنه في شرع الإنقليز بأنه ما يعطي أحد أكثر من ستة في الماية في العام وهذا العدد الذي دفعناه بالغ في النهاية كما لا يخفاكم .

القضية الثانية

في السابق وجهنا قرصان فتلاقى شباك موسوق بالكريستة وفيه نصيب بضاعة رايصة وبحريته صار دو فلتـا أن عاينوا القرصان هربوا في الفلوكة قبل لا ينصبوا السنجق فلقا أن ركب رايس القرصان إلى الشباك وجد فيه سنجق إنقليز فقدم به علينا فحين بلغنا وآطلعنا على السنزق مسكنا الرايس وحبسناه وعزلناه من الرياسة ونفيناه ورجعنا الشباك لقنصلكم الموجود عندنا للآن بوسقته بجميع ما فيه بحيث ما ضاع منه حتى قيمة الريال ثم بعد أيام أتانا القنصل وطلب منا أربعة عشر ألف ريال دور عوضاً عن فساد سفرة الشباك المذكور والشباك بوسقته بجميع ما فيه من رزق ما يبلغوا قيمة هذا العدد الذي يطالب فيه منا لأجل فساد سفرته فدفعنا له سبعة آلاف وخمسماية دور وعطيناه تسكره منا في باقي العدد وهو ستة آلاف وخمسماية ريال دور فبعد ذلك أتوه أوراق من مالطا وجنّروه على أن الرايس الذي قدم عليه في السابق ليس هو برايس الشباك فلما بلغه هذا الخبر ترك لنا العدد الباقي وعطانا الكلمة بأننا ما ندفعوا له حتى ريال في هذه القضية والتسكرة التي عطيناها له في العدد الباقي علينا باقية تحت يده إلى الآن .

القضية الثالثة

في السابق وجهنا قرصان للبحر الكبير فتلاقى بمركب موسوقة بالملح ناصبة سنزق مجهول والرايس ما عنده معرفة به ولا يفهم يقر الكواغط الذين فيها بأخذها وقدم بها علينا فلما أن عرف قنصلكم سنزقها أتانا وأخبرنا على أنه متاع نوبر وطلب منا أن ننفدوا الحكم في رايس القرصان لأجل أنه تعدّى عليها وفسّد سفرتها فساعدناه بما في مراده وبعثنا علقنا الرايس في بروة شقفة في موضع البنديرة التي نصبها وظهر من عندنا محبور خاطره كيف يبغي ثم بعد مضي أيام أتانا وطلب منا ثمانية آلاف وخمسماية دور تحت فساد صفرة المركب المذكورة وهذا الشقف ووسقته ما يعلموا قيمة هذا العدد فقلنا له ولما لم تعلمنا بذلك قبل ما نعلقوا الرايس فقال لنا ولا بد من توافوني بهذا العدد على كل حال وهو لوضح حتى طلبنا

في شيء أكثر من ذلك قبل ما ننفذوا الحكم في الرايس لكنا نعطوه له وتعطى جميع ناسنا في فدوة هذا الرايس ونحن مفينا الأمر في الرايس وعلقناه وعطينا لقنصلكم الثمانية آلاف دور الذي طلبهم منا ووافيناه بهم بالوفاء والتمام .

القضية الرابعة

وجهنا قرصان في السابق قبل وقوع الصلح بيننا وبين النابلكان فطاح بشقف صغير سلسليان فيه جانب قمح فأخذه وتوجّه به لبر الترك وباع هناك القمح فجمع أربعماية وخمسين ريال دور وذلك لأنه ما عنده علم بوقوع الصلح لكونه وقع بعد ما توجه من عندنا فلما قدم علينا قرصاننا بالشقف فارغ فطلبنا القنصل في حق القمح فوافيناه بالعدد المذكور الذي تحصل فيه ببر الترك ورجعنا له الشقف ثم بعد مدة أتوه أوراق من أصحاب القمح وطلبوا منه في حق القمح ثلاثة آلاف دور فأعلمنا القنصل بذلك وقلنا له جميع ما تطلبه حاضر ولا عندنا فيه خلاف فحين قدمت علينا كرويطة النابلكان بدراهم الصلح وهو خمسين ألف ريال دور ادّعى علينا قنصلكم في ثلاثة عشر ألف دور حق القمح المذكور فقضينا معه في حقه بثمانية آلاف وتسلمهم من دراهم الصلح بالوفاء والتمام ورجع لنا الأربعماية وخمسين دور الذين دفعناهم له في حق القمح سابقاً .

القضية الخامسة

وها هو الآن وقت الكتب مدّعى علينا في قضية مركب قديمة لها مدة تسع سنين أخذها قرصاننا بسنزق إفريق موسوقة بالزيت من مالطا وفيها زوج اسبسيون أما الصحيحة بنسية لما أن كانوا فيها الفرانصيص مدعياً علينا فيها القنصل الآن على أن الرزق للإنقليز لتاجر سميت سيفونط وهذا جميع الناس يعرفوه بأنه من جنس الفرانصيص وعنده ولدين واحد لمّا أن كانوا الفرانصيص في مالطا يبعت لهم المأكول والثاني بلوط في سفاينهم لما أن توجهوا للإسكندرية ونحن أطلعنا على جميع البوليصات الذين في المركب المذكورة بما وجدنا فيهم لا اسم إنقليز ولا

اسم سيفونط الذي الآن يبغي يعمل روحه إنقليز والبوليصات مكتوبين باسم فيور لا غير ولا يشهر نفسه من أي جنس من الأجناس وهو من النمسة كما يعرفوه جميع الناس والمركب كانت متوجهة لواحد إفريقي في بلنسية ولو كان وسقة هذه المركب للإنقليز ما يبعث لنا عليها فيور الأوراق المرة بعد المرة ويبغينا نرجعوها له وها هم أوراقه باتيين تحت يدينا وقدم علينا بنفسه من أجلها واجتمع مع الباشا دور متاعكم المسمى ميستر اكرت وتكلم معه من جانبها وطرده ولا قبل كلامه ونحن تكلمنا مع الباشا دور المذكور على جميع مصالحكم وما هو وارد من جانب الفريقين وقضية هذه المركب ما أعلمنا عليها بشيء من الأشياء ولا تكلم فيها أحد من جميع القناصل الذين قدموا علينا منكم وهم القنصل لانفورد والقنصل بيلكة والقنصل سمر بيليه وكذلك لما أن قدم علينا لورد اكزموت ما ذكر لنا عليها شيء ولو كان هؤلاء القناصل يعرفوا أن لهم حق في هذه المركب لتكلموا معنا في قضيتها ولكن لما آطلعوا على جميع كواغطها ما وجدوا لنا فيها مدخل بوجه من الوجوه وفي الوقت الذي قدمت علينا هذه المركب أتانا جواب من لازميراليو ومضمونه يؤكد علينا بأن نعرفوا جهدنا في التضييق على الفرانصيص من جانب السبب .

وها نحن بينا لكم جميع الأحوال تفصيلاً لا إجمال ويتبين لكم أمرنا وصفاء محبتنا ومن جملة مودتنا فيكم أنها لما وقعت عندكم القيرة بقينا نبعتوا لمالطة فيما يلزمهم من المصالح وخصوصا أمر اللحم والمأكول وهذا كله يشهد به قنصلكم المقيم عندنا لأنه على يديه وبمرىء عينيه ولا عندنا زيادة ولا تقصير ولم نزالوا على هذا المنوال في كل الأحوال والمحبة بيننا تجدد وتزيد في كل يوم جديد لا نحولوا عن هذا الحال ما دامت الأيام والليال لكون المودة ناشئة بيننا مدة ماية وعشرين سنة ونحن وارثينها من الأباء والأجداد من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ثم المطلوب من همتكم السامية وكلمتكم الماضية أن تعرفونا بجواب وتبينوا لنا جميع ما شرحنا لكم في هذا الكتاب وتوصوا قنصلكم وتنهوه عما صدر منه وأن يكف يده عنا في المستقبل ونحن بينا لكم ما في ضمايرنا وأعلمناكم بما آنطوت عليه سرايرنا والأمر مفوض إليكم فيما ترونه من الصلاح والسداد ومنتظرين لجوابكم وما يرد علينا من أخباركم ودمتم بخير وعافية ونعم صافية والتمام بتاريخ 5 من رجب الأحب سنة 1233 .

الوثيقة رقم (25)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الرابع يهنأه فيها على جلوسه عرش المملكة الإنجليزية وكذلك حول توثيق العلاقات السياسية الطيبة والاقتصادية بين البلدين بتاريخ 3 من صفر سنة 1237 هـ (1821 م) [1].

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والضر والصاحبة والولد.

من عبد ربه أمير الملة الإسلامية ومشيد أعلام المملكة بالديار الطرابلسية المحفوظ بربين ظروف الأيام والليالي يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي صاحب ولاية وجاق المانوسة لا زالت من الحوادث والآفات محروسة إلى رايس المملكة السنية وكبير الجماهير الإفرنجية حامل وناشر راية الأدب والسياسة صاحب المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة السامية من له في كل الأمور بعقله محب جنابنا والمبجل من أحبابنا الراي جورجو الرابع بالإنقليز لا زال مكانه رفيعاً وجنابه منيعاً بعد مزيد التبجيل والإكرام والترفيع والإفخام والتعظيم اللايق بالمقام أن السبب الداعي لتسطير هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب هو إعلامكم بما نحن عليه من المحبة القديمة السابقة والمودة الأكيدة المطابقة التي لا تتغير بمداولة الأزمنة ولا تتبدل بمباعدة الأمكنة ونود أن لا تمر ساعة فلكية أو برهة زمنية إلَّا عن مكاتبات تتردد ومراسلات تتجدد على هذا عقدت منا الضماير والمولى مطلع على ما في السراير ولا نجد على علمكم ولطيف فهمكم ما هو كاين بين أسلافنا الأقدمين وأوايلكم الأولين من المودة التي يتم عنها ويضوع في الخافقين طيب رياها ولما أن كانت مؤسسة من قديم الزمان وسابقة من سالف العصر والأوان فنحن أولى بحفظ تلك العهود الموروثة عن الآباء والجدود ولا شك

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغة العربية)، F. O. 76 - 16. P. 473 — 475.

أننا آقتضينا إلى السلف في المحبة وتأكيد بيننا وبينكم شروط المودة ولم يزل ذلك ينمو ويزيد في كل يوم جديد حتى أنه شاع عند جميع الناس أنه لا ماثلكم عندنا جنس من الأجناس ونطلب منكم أن تكونوا ناسجين على هذا المنوال ويكون عقد المحبة بين الجانبين دايم الاتصال ويشهد المولى أنه لما بلغنا خبر ولايتكم الدرجة العلية وآنتظامك في سلك المملكة وإنك حزت منصب آبائك وأجدادك ومكنك المولى من النظر في مصالح أهل بلادك آستهل بذلك غاية السرور وتزايد عندنا الفرح والحبور حيث وضعت الأشياء في محلها ولم تخرج الولاية عن أهلها خلدها المولى عليكم بخير وعافية وعيشة من الأكدار صافية ولما انكان الأمر كذلك تعين علينا إرسال هذه التهنية على في باشا ودورنا الذي هنالك لينوب عنا في تهنيتكم ويتكلم على لساننا معكم وهو الأجمل الأرضى الأكمل الأخص الأديب الأريب البطل اللبيب ولدنا وصهرنا سيدي حسونة الدغيس بن المحترم المهذب المكمل أقرب ما لدينا من العمال وعين الخواص عندنا من الرجال وزيرنا سيدي محمد الدغيس نوبناه عنا في تبليغ هذا الغرض لأنه عندنا من أوكر المفترض فالمرغوب منكم كما هو الظن الجميل فيكم أنكم تباشروا به عند الملة وتعاملوه بانوات التبجيل والميراث وأن تكونا منه ببال ونظركم السديد شامل له في كل الأحوال كما أننا جميع كم يرد هليمتكم جنابكم فحترموه ونراعوه ونبجلوه وفخموه خصوصاً أناسكم الواردين من جنابكم وهم العقلاء الأدباء الفطناء الأذكياء من فهمهم ثاقب ورأيهم صايب كلابرتون المتوجه لبورنو وبيشي ومعه المتوجهين لبلدان عمالتنا بني غازي ودرنة في البر فإننا عاملناهم بالمبرة والقبول واصفينا لهم عند المثول وشملهم نظرنا في كلية الأحوال ولم نقصر في شيء يحيهم على البال كل ذلك محافظة على المحبة الكانية من الأوايل ولما في المذكوربيين من الأدب البارع والعقل الكامل ومجتهدين في خدمتكم بقدر الامكان ويصلحون لمباشرة أموركم في كل مكان وحين الكتب توجه كل واحد لمطلبه وجد فيما هو مرسول بسببه ربنا يجمعك بهم على أكمل حال وأتم منوال وأبدا ما يقع منا في جنابكم تقصير ولا يهمنا شيء يرضيكم من قليل وكثير وليس عندنا في ذلك جميل بحال من الأحوال ولم نزالوا مقيمين على ذلك ما دامت الأيام والليال وجميع مذكرناه وأشرنا إليه يشهد به قنصلكم المقيم عندنا لأن كل شيء على يديه ودمتم بأمن وأمان سالمين

من أغبار الزمان في 3 صفر سنة 1237 .

ملحق وقد أمرنا الباشا دور صهرنا المذكور أن ينظر جميع بضايع عمالتكم التي تباع عندنا و. . . لنا جيتكم ويكون من جميع ذلك على بصيرة لأجل أن يتوجهوا لطرفكم التجار ويكثر التسبب بين . . . وما تعرض لكم من حاجة في جنابنا عرفونا بها تقضي في الحين ولا لنا زيادة فيها بتاريخ أعلاه .

يوسف بن علي باشا قرمانلي

الوثيقة رقم (26)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى السيد باتروست وزير الخارجية والمستعمرات الإنجليزية حول تعمد وارنجتون في عدم إرسال رسائل الباشا إلى الحكومة الإنجليزية وهي بتاريخ 5 من رجب سنة 1233 هـ (1818 م) [1].

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والفرد والند .

من عبد ربه أمير المؤمنين وناصر الدين أبو المحاسن والمعالي يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا ابن أحمد باشا قرمانلي صاحب ولاية طرابلس الغرب حماه المولى من كل شدة وكرب إلى ذي الفهم الثاقب والرأي الصايب صاحب الفعل السديد والنظر البعيد محب جنابنا والمبجل من أحبابنا لورد باتروست الصيفر تاريوا متاع الكولنيّ بعد التبجيل والإكرام ومزيد التحية والإكرام إننا على محبتكم الصافية ومودتكم الوافية وكنا في السابق كتبنا جوابين لكبير الجماهير الإنفرنجية ورايس المملكة الإنقليزية محبنا راي الإنقليز مؤرخين في خمسة أيام في شهر صفر سنة التاريخ وأرسلناهم له واحد على يد القنصل يرنقطون والثاني على يد المحترم المبجل المهذب المكمل صهرنا سيدي حسونة الدغيس لكونه نصبناه باشا دور بناحيتكم يقف في مصالحنا الواردة عليه في جنابنا والآن وقد الكتب ورد علينا جواب من الباشا دور المذكور وعرفنا فيه بأن الجواب المرسول لرأي الإنقليز على يديه بلغه إليكم وذكر لنا بأنه سمع منكم أن الجواب الذي بعثناه على يد يرنقطون للراي لم يصل إليه ولا عرفنا ما المانع له نقولوا الآن إن شاء المولى بلغكم على ما فيه وقبلتم الباشا دور المذكور وعاملتوه بأنواع المبرة والتبجيل والتركيم كما أننا لم يقع منا تقصير مع جميع ناسكم الواردين علينا من جنابكم مثل الذين توجهوا من عندنا لمصر وإلى بر السودان كلهم وقفنا لهم في جميع لوازمهم ونظرنا شامل لهم

---

(1) الأرشيف البريطاني ، (باللغة العربية) .F. O. 76 - 16 . P. 478

في جميع أمورهم وهذا ما عندنا فيه جميل لما بيننا وبينكم من المحبة السابقة والمودة الصادقة وكل ذلك بشهادة قنصلكم المقيم عندنا ونطلبوا منكم أن تكونوا ناسجين على هذا المنوال ويكون عقد المحبة بين الجميع دايم الاتصال وتحترموا صهرنا المذكور لكونه من أعز عمالنا وأقرب الخدام عندنا ووالده سيدي محمد الدغيس أخص الخواص عندنا ولم يماثله عندنا أحد من العمال الملازمين لنا فلما بيننا من المحبة أنكم تعاملوه بما يليق به من التعظيم والتفخيم ودمتم بخير وعافية ونعم صافية .

بتاريخ 5 من رجب 1233 الموافق بحسب الافرنج ثمانية وعشرين في مارس سنة 1822 م .

ملحق

الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الرابع

الوثيقة رقم (27)

رسالة من يوسف باشا إلى الشيخ مختار الختناوي حاكم منطقة ثوات يطلب منه مساعدة الرحالة الإنجليزي بتاريخ 20 جمادي الثاني سنة 1242 هـ (1826م) [1].

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

حفظ الله بمنه وكلا بيمنه ذات الأجل الفاضل جامع الفضايل ومحط رحال الأفاضل وعين أعيان السادات المخلصين الأماثل شيخ البركة والعلم وبيت الورع والحلم وحيد دهره وفريد عصره محبنا ومحل آعتقادنا الشيخ سيدي المختار بن محمد بن الشيخ القطب الرباني والعارف الصمداني شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة الولي الصالح سي المختار الكستي نفعنا الله بالسلام والخلف بمنه وكرمه أي السلام الاثم اللطيف الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى تحياته ولا زايد بحمد الله جل جلاله وعم نواله سوى الخير والعافية والنعم الصافية التي سئل الله دوامه ما على الجميع يليه اعلامكم رفعت في الدارين أعلامكم أننا على محبتكم الصافية ودوام عقيدتكم الوافية والرغبة في صالح دعواتكم في أوقات بركة ونفحاتكم لا نحول على ذلك ولا يطرقنا فنور ولا إملال هذا وإنه آتصل بنا الأعز جوابكم والعذب فقبلناه قبل فك ختامه وقابلناه بإجلاله وإعظامه وأقام عندنا مقام

---

(1) الأرشيف البريطاني .F. O. 76 - 22. P. 31

الروية النظرية لذاتكم البشرية وشممنا عليه رايحة تلك الذات المانوسية والصفات المحروسة وفهمناه بداية ونهاية وفهمنا ما تضمنه من ألفاظكم كالمعين ونصايحكم الفريدة التي لا تخرج إلاَّ من قلب متعلق بالله متمسك بحديث رسول الله ﷺ حيث قال الدين النصيحة فقل والله وعظمت وأبلغت وأسرت فنصمت وما خرج من القلب دخل القلب فجزا الله عنا أخباره وهذا شأن الحبيب الذي مثلكم الوعاد لأخيه في ظاهر الغيب جعلنا الله وإياكم من المتحابين لله الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظل عشره يوم لا ظل إلاَّ ظله ثم المرغوب من عالي همتكم بعد آستمداد صالح الدعاء من عالي جنابكم الرفيع هو أنه حين وصول النصراني الإنقليز إلى حلتكم المعمورة وأن تقفو له وتعاملوه بأنواع البر كما فعلتم به سابقاً وعرفنا به جملة وتفصيلاً والباعث لكم في ذلك كونه متسبب على جنابنا فالله يتولى مجازاتكم حيث آعتنمونا على تبليغ هذا الغرض وتبعتوه إلى ثوات وما أقرب منه ما إلينا مع الرفعة التي تأمنوهم عليه وجميع ما تصرفوه عليه أو يستقرضه منكم عرفونا ندفعوه لمن تشيرو به علينا وما إننا إلاَّ محبنا وأعز لنا عندنا وما تكن لكم من حاجة عرفنا تقضى .

والسلام في 20 ثاني الجمادين 1242 .

عبد ربه يوسف باشا قرمالي

الوثيقة رقم (28)

من محمد الوحيشي إلى يوسف باشا القرمانلي يتعهد له بأنه سيكون الخادم المطيع له في كل ما يطلبه من تقديم مساعدة بخصوص الرحالة الإنجليز لانج [1].

الحمد لله . .

أعز الله مقام حضرة مولانا أمير المؤمنين سيدنا يوسف باشا أيده الله ووفّاه وجعل الجنة متقلبة ومثواه بجاه نبيه ومصطفاه أمين ، وبعد فالسلام عليكم أتم تسليم وأطيبه وأعم تعميم وأعزه ورحمة الله وبركاته ويليه أن كتابكم المبارك الأعز بلغ إلينا وقرأناه وحمدنا الله على أنكم في هنا وعافية وذكرت لنا فيه أمر النصراني وإننا نمشوا إليه إلى توات فإن وجدناه فيها أتينا به وإلّا كتبنا أخباره فترانا متمثلين أمركم لا جميل لنا في السعي إلى ما فيه غرضكم وإن رجل خبير يخبر تلك الأرض يسافر بأحد أولادنا وقاطعناه وقبل وقال بعايري غايبة نذهب إليها ونأتي بها في سبعة أيام فوافقناه ذلك فسافر إليها يأتي بها إن شاء الله وتمكن أحد أولادنا إلى توات فإن وجدوه هناك يأتو به كما أمرت وإن لم يمكن وجدوه هناك يمكثو هنا حتى يكسبوا أخباره ويأتوك بالصحيح من أخباره وتهنا لو علمنا نزيدوا ذلك لذهبنا إليه ولا نحتاج إلى وصية والحاصل نحن إليكم وزاويتكم وداعيين إليكم من الله بكل صالحة الدنيوية والأخروية وعليه القبول كما يكن ذلك منكم إلينا لأن ذلك أيد الجميع صبراً .

أمين والسلام من محبكم .

في رجب سنة 1242 هـ .

الحاج محمد الوحيشي لطف الله

---

(1) الأرشيف البريطاني ص F.O.76-22. P.54.

الوثيقة رقم (29)

رسالة من حسونة الدغيس إلى الحاج محمد الوحيشي حول أخبار الرحالة الإنجليزي لانج بتاريخ 28 جمادي الثاني سنة 1242 هـ [1] ـ (1827 م) .

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

حفظ الله بمنه وكلا بيمنه حضرة الأجل الأفضل المحترم المبجل محبنا سي الحاج محمد الوحيشي حفظه الله آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن أخبار النصراني الإنقليز الذي هو ببلد تنبكتو تعطلت وطالت وأن سيدنا تحيّر من هذا وقنصله كثر المشي والجي على سيدنا لأن النصراني المذكور مجيئه عنده من الأمور المهمة وكان سيدنا كلف الشيخ محمد الزعران يمشي لتوات أو لغدامس صارت المغيرة على البعاير «الجمال» ومن جملتهم بعاير الخبير المرابط سي موسى ثم انه جاء الفزاني الذي كان مع النصراني المذكور وفات على غدامس وظني الزعر أن مشية زايدنا قص فتراض عن المشي فعند طول المدة وقلة الأخبار ومجيء هذا الرقاص إلينا وإن قافلة تنبكتوا لم تصل لا هي ولا أخبارها وإن الزعر باقي بغدامس فتحير سيدنا وأتاه القنصل على شان نصراينهم فلم يبق شيء بيد سيدنا في إعانة الإنقليز سوى إنه يرسل رقاص تاني لغدامس ويخاطب كافة أهل البلد إن قدم عليهم يقفو له ويكونو في عونه ويبقونه بغدامس ويعلمو سيدنا برقاص إلى آخر ما تسمعونه وترونه في الأوامر المعظمة وآقتضى من نظره نصرة الله أن لا يهينه على هذا الفعل إلا أنتم فلهذا كتب لكم هذا الأمر المعظم الذي تجدونه مع هذا وحث عليكم أيضاً أن تبعثوا أحد أولادكم وأولاد أخيكم من يقوم مقامكم إلى بلد قوات وأبعد منها وتبحثوا على أخبار النصراني المذكور وتأتون به أو بأخباره وتبحثوا في توات أن تجدوا مكاتيبه قديمة أو جديدة حتى الكاغط الواحد تأتون به وجميع ما

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 22. P. 36.

تصرفونه عليه يدفعه لكم حفظه الله عند الرجوع وتمهدوا له الطريق مع كافة المرابطين أولاد أبو نعامة وغيرهم لكونكم زاوية وموقرين عند الخاصة والعامة وتمهدونها أيضاً مع التوارق ولا يحتاج أن نوضح لكم بزيادة ولا نؤكد عليكم في ذلك ولا بد من رد الجواب مع هذا الرقاص إلى سيدنا وأخباره بما فعلتوا اما وصول النصراني لغدامس أو أنكم بعتم أحد لتوات ودمتم بخير وعافية ونعم ضافية والسلام في 20 جمادي الثاني سنة 1242 هـ .

حسونة الدغيس

الوثيقة رقم (30)

رسالة من محمد الوحيشي إلى السيد حسونة الدغيس حول متابعة أخبار الرحالة لانج وكانت بتاريخ 10 من رجب سنة 1242 هـ [1] - (1827 م) .

الحمد لله . . .

حفظ الله المكرم محبنا في الله وأعز الناس إلينا سي حسونة الدغيس بن المرحوم سي محمد الدغيس وأخيه سي محمد وجملة عيالكم السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته ويليه أننا طيبين وعن أحوالكم سائلين جعل الله أحوال الجميع بخير وعافية ويليه أن كتابكم العزيز بلغنا وقرأناه وحمدنا الله أنكم بخير وذكرت لنا فيه في شأن النصراني وأننا نمشو إلى توات فإنا مجتهدين لذلك وأجرنا دليل يدلنا للطريق فقال بعايري غايبة أنتظروني نأتي بها وهي من غدامس مسافة سبعة أيام فخرج يأتي بها وأنتظرناه وذلك لعدم غيره ممن هو عارف بتلك الطريق وإن شاء الله يأتي بها في السبعة الأيام المذكورة وذكر له أحد أولادنا ويسافروا لتوات فإذا وجدوه هناك يقدموا به وإن لم يجدوه يكتسبوا أخباره على ما هي عليه ويأتو بها وأعلمكم بأن الرجل الذي أجرناه قدم هذه الأيام من توات وذكر أن أخباره تنبكتوا إلى الآن ما جاء منها أحد وأن ولد الشيخ المختار جاء إلى توات وقضى حاجته منها ورجع وأستخبره على النصراني لأنه في حلته وأخبره بأنه لا بأس به وأن قافلة توات قدم منها البعض وبقي البعض الأخر إلى الآن ما قبلوا وإذا أنابكم أمر تريدونه أعلمونا نفوز بقضاية والسلام بتاريخ 10 من رجب سنة 1242 .

من محبكم الحاج محمد الوحشي

---

(1) الأرشيف البريطاني .F. O. 76 - 22. P. 55

الوثيقة رقم (31)

رسالة من الشيخ أحمد الحبيب شيخ مدينة أغدامس إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول رحلة لانج بتاريخ 9 رجب سنة 1242 هـ (1827 م)[1]

الحمد لله وحده ولا معبود بالحق سواه .

إلى حضرة المكرم الأجـل رفيـع القدر والمحل محبنا قنصل الإنقليز أكرمه الله تعـالى وأعـلا قدره آمين السـلام على من آتبع الهدى وبعد نعلمك خير قدم علينا جوابك العزيز وسلمنا ما فيه جملة وتفصيلا . . . . لنا على شأن ولدكم الرايس توصي عليه إن شاء الله لأن حاجتكم ما نقصروا اعلم أنه قدم علينا خاطر من ثوات وخبر لنا على الرايس على أنه ما زال ما جاء لتوات وقدم ولد ولد الشيخ سي المختار على توات يريد عافية «صلح» بين ثوات والتورات وما تيسر له الأمر ورجع لوطنه له مدة شهر مشبه من ثوات بعد تاريخ هذه الورقة وخبر لنا التارقي الذي قدم من توات قال خبر له ولد ولد سي المختار علي الرايس لما جانا على أنه خلاه يريد القدوم هو وأخيه يعني أخي ولد ولد سي المختار وكذا الغدامسية الذين في تنبكتوا يريدون القدوم معه وعلى قولي التارقي قال كل يوم ينتظرون الناس قدومهم لتوات وإن شاء الله قريب الفرج وربنا يجيبهم على خير وإن شاء الله متى نسمعوا خبره نبعث لكم رقاص «رسول» ومتى يقدم علينا هنا نقدم به بنفسي كون متهني منه إن شاء الله نوصله لكم عن قريبها وعلى قولي التارقي الرايس «الرحالة» وصل إلى تنبكتوا ورجع للحلة وهو ولا سو وهذا ما عندنا أعلمناكم به والسلام في 9 رجب 1242 هـ .

ملحق خبراً رآه قادم عليكم سيدي أحمد بن محمد الحاجي يريد يرجع هنا

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 22. P. 47.

تبقى تعلمنا بما في خاطرك وأنا ما عندي زيادة في محبتكم وقضيان حاجتكم .

من محبك أحمد الحبيب بن الحاج

محمد بن عبد الرحمن

الوثيقة رقم (32)

رسالة من الشيخ أحمد الحبيب إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول أخبار رحلة لانج ومقتله بدون تاريخ [1].

الحمد لله هذه نسخة من أصلها .

إلى حضرة المكرم الأجل رفيع القدر محبنا قنصل الإنقليز أكرمه الله وأعلاه قدره آمين السلام على من أتبع الهدى وبعد نعلمك خير قدم علينا خاطر من توات وتوات قدم عليها خاطر من تنبكتو وجابوا لنا جوابات من الغدامسية الذي في تنبكتو وخبروا علي الرايس الرحالة الإنجليزي لانج » وصل تنبكتو أوصله ولد سيد المختار وقعد الرايص أيام في تنبكتو وبعد كتب سلطان فلان العرب جواب لأهل تنبكتو وقال لهم في جوابه أطردوا الرومي من بلدكم وإلاَّ نعاقبكم وقاموا أهل تنبكتوا ومشوا الرومي من بلدهم مشوه مع راجل من عرب البرابيش قاصد به بلد أروان ومن أروان قاصد بنبرا وبعده تلقوه فلان في الطريق وقتلوه وخير موتتة جابوه الخطارة الذي قدموا على توات وأما أوراق الغدامسية ما ذكر في موتته وأوراق قدموا لهم ستة أشهر وعشرة أيام وهذا ما سمعنا على خبر الرايص ورجعنا الحال وهذا كتوعد الله من محبكم .

أحمد الحبيب بن الحاج
محمد متيطل عبد الرحمن

---

(1) الأرشيف البريطاني .F. O. 76 - 22. P. 75

الوثيقة رقم (33)

لله من محمد الوحشي إلى يوسف باشا حول مقتل الرحالة الإنجليزي لانج وهي بتاريخ 17 من شعبان 1343[1] هـ (1828 م) .

الحمد لله لمستحق نسخه .

أعز الله مقام حضرة مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وخليفة رب العالمين المؤيد المنصور المحبوب الملحوظ بعين الرضى والأمن والأماني سيدنا يوسف باشا قرمانلي أصلح الله وعان بربه وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة عليه بجاه النبي ﷺ وبعد فالسلام التام عليكم سيدنا ورحمة الله وبركاته ويليه إننا طيبون وفي محبتكم الراسخة دائمون هذا وأما كتابكم الأعز الذي أرسلتوه إلينا بلغ كما أعلمناكم به قبل هذا وآفتهمنا فيه أمر النصراني وإننا نسير نحوه ونستقي خبره مجتهدين لذلك ووجدنا دليله بعد أن خرجنا الزاد وبيتنا على السفر ثم جاءنا رجل ومعه خاطر قليل من ثوات عشية وكتبوا إلينا أصحابنا وأخبرونا بأن النصراني توفى بعد أن وصل إلى تنبكتو خرج معه ولد الشيخ المختار من حلته وسافر معه إلى أن وصله لتنبكتوا فلما وصل قام عليهم فلان فقالوا لأهل تمبكتوا أخرجوه من بلدكم وإلا نفيو بلدكم « نهجموا على بلدكم ونأخذوا خيراتها » فلما وأما ذلك أخرجوه وجعلو معوده ليلاً بسبب به إلى جهة بنبرا فأطلعا عليها فلان ولحقوهم في الطريق وقتلوه مش أنا يا سيدنا أعلمناكم بذلك ولا أعلمناكم حتى تحقق عندنا ذلك وكل شيء بيد الله والحاصل والله لا نقصروا في حاجتكم وما يرضيكم لأننا زاويتكم وأحبابكم وهذا ما عندنا من الأخبار والسلام كاتبه في اليوم السابع عشر من شعبان 1343 هـ .

من الفقير إلى ربه الحاج محمد بن الحاج
محمـــد الوحيشـــي

---

(1) الأرشيف البريطاني F.O. 76-22 P.75

الوثيقة رقم (34)

رسالة من الحاج محمد الوحيشي وابنه محمد إلى حسونة الدغيس حول قتل الرحالة الإنجليزي لانج في سنة 1343 هـ (1828 م) [(1)].

الحمد لله لمستحقه نسة .

حفظكم الله بحفظه ورعاكم برعايته ونظر إليكم بعين عنايته وجعل منزلكم وسط جنته المكرم الأجل سيدي حسونة بن محمد الدغيس السلام التام عليكم سيدنا ورحمة الله وبركاته ويليه إننا . . . وعن كافة أحوالكم سائلون أجراها الله على وفق مرادكم ولا زاد أوراقنا التي أرسلناها إليكم قبل هذا سوى أمر النصراني وأنه توفى بعد أن خرج من تنبكتو قتلون فلان «قبائل الفولا» في طريق بنبرا وذلك أن فلاناً قالها على أهل تنبكتوا لما قدم عليهم وقالوا لهم والله إن لم تخرجوه لقيوكم فأخرجوه بالخفية فلحقوه وقتلوه وجاءنا خبره هنا بعد أن بيتنا على السفر بالصحيح واليقين ولأنكم بذلك حتى تحققنا وإذا سألتم عن تنبكتوا تراها بين فلان ملكوها ولكي لم يقع بينهم قتال ولا فيى وأما الغدامسية الذين هم فيها لاموا القدوم لغدامس وهيوا أنفسهم للخروج ووجدوا رجلاً ليخبرهم الطريق فتعرض أياماً فلان فأنتظروه يبرأ فحضر أجله وتوفى وطولنا لذلك المكث راجيين غيره وهذا ما عافهم «منعهم» على القدوم وأخبار السودان لاسو ولا سوية وإذا كتبتم إلينا أخبرونا بخبر الحشيشة ما سومها وعلى الريش هل ارتفع سومه وأخبرونا على العرض هل حقاً وسلم لنا على خوتك .

سيدي محمد وسيدي السيد وجميع عيالتكم وهذا ما عندنا والسلام .

من الحاج محمد الوحشـي وآبنه محمد

كاتبه في اليوم السابع من شعبان 1343 هـ .

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F.O. 76-22. P.71.

الوثيقة رقم (35)

رسالة يوسف باشا إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص البحث عن أوراق الرحالة الإنجليزي لانج وهي بتاريخ 27 رجب سنة 1247 هـ (1831 م) [1].

الحمد لله أزكى الوجود الحي الدايم المعبود .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل الإنقليز يليه أن موجب الكتب إليكم هو أنه حين قدمت علينا وتكلمت معنا في شأن كواعظ المأجور بأن نبحثوا عنهم حتى نطلعوا على حقيقتهم ونبعثوا للغدامسية ونسألوهم عن ذلك ونحن إلتزمنا لكم بأن نرسلوا لهم ونأمروهم بالقدوم علينا والآن تبين لنا أن الأحسن منكم أن تبعتوا واحد من طرفكم مع خدامنا المتوجهين لغدامس لأجل يجتمع بالأنفار المطلوبين هناك على يد الشيخ القاضي ويسألهم بنفسه ويكتب شهادتهم بالعدول والقاضي يريح الناس من التعب لأنه فيهم المريض والعاجز عن القدوم وإن لم يجيء ذلك على بالكم عرفونا ونفعلوا ما يرضيكم ولا لنا زيادة ولا تقصير في حاجتكم وفي جميع ما يورد علينا من جيهة القويرنوا لأنه المحبة بيننا وبينكم مؤسسة من قديم الزمان ونطلبوا من الله أن تكون مستمرة على الدوام ولا تخميمنا وظننا أن الغدامسية ما يقولا الكواعظ ولا حسونة الدغيـــس مثل كلا مهم الأول وبلغنا الخبر عليه بأنه متوجه إلَّا ندره فإن هو بلغ هناك يدنا لم تطل عليه وإن قدم علينا نفعلوا معه ما يلزمه بشرعاً .

والسلام في 27 رجب سنة 1247 هـ .

المدعى بالله عبده يوسفه باشا قرمانلي
أيـــده اللّـــه آمـــين

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F.O.76-29. P. 13.

الوثيقة رقم (36)

وثيقة إعتراف من محمد الدغيس بأن أخيه حسونة قد تسلّم أوراق الرحالة لانج وسلّمها إلى القنصل الفرنسي روسو بتاريخ ١١ صفر 1245 هـ (1829 م) [1] .

الحمد للّه . . .

خط يدنا هذه يشهد علينا بما سيذكر بعد أن الشهادة التي شهدها علينا سيدنا وجماعته على ما قلنا عن أخينا سي حسونة كان كواعظ المأجور آتصل بيهم من الغدامسي وخرجو من يده إلى القنصل الفرانصيص وسبب تسليمه له أن ترك له أربعين في الماية من الديون التي متروكة عليه إلى أهل الفرانصيص فهي كذلك صحيح لا شك ولا ريب شهدت على نفسه بنفسه وكفى بالله شهيداً وقع ذلك بتاريخ في 11 صفر الخير سنة 1245 .

محمد بن محمد الدغيـــس

لطف الله به آمين

الحمد لله الخط المذكور أعلاه هو خط يد ما نسب إليه وهو سيدي محمد الدغيـــس وقع بمتاه في شك فيه ولا ريب وشهد عليه بذلك وباكماله في تاريخ أعلاه وبمثله في التعريف أعلاه إبراهيم بن محمد أبي أميس لطف الله به آمين .

فقير ربه محمد بن زين الدين

لطف الله به آمين

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 26. P. 226.

الوثيقة رقم (37)

رسالة يوسف باشا إلى مشايخ قبائل بني وليد وبني ازيت وكافة أهل أغدامس حول البحث عن أوراق الرحالة الإنجليزي لانج بتاريخ 8 من شعبان سنة 1247 هـ [1] (1832 م) .

الحمد لله الدائم المعبود .

إلى المكرمين الأجلين أولادنا الشيخ محمد الأزعر وكافة أهل شارع بني وازيت والشيخ قاسم بن علي وكافة شارع بني وليد وجملة الغدامسية ومن انضم إليهم وحسب منهم من غير تخصيص ولا تنقيص أصلح الله أحوالهم آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير يليه أعلامكم موجب الكتب إليكم من شأن قضية الرومي الإنقليز الذي مات في نواحي تنبكتو باقية إلى الآن ما تصفت وأنتم قدمتم علينا في السابق وأديتكم شهادتكم على يدنا بحضرة الشيخ القاضي والقنصل والآن منا محب جنابنا الأعز من أحبابنا راي «الملك» الإنقليز مقتضى الشهادة الأولى ويثبتها ويصححها وهذا شيء لا بد من تصفاته ولا يمكننا إلا إسعاف الرأي المذكور فيما طلبه منا وصول الجواب إليكم تبقوا تطلقوا البركى في وسط البلاد وفي الشوارع كلهم وفي الجوامع وتعلموا الخاص والعام من الغدامسية والحمدان والعتاوة ومن بها من البرانية على أن جميع ما في علمه شهادة على قضية الرومي المذكور وأنه يقدم علينا ويؤدي شهادته على يد الشيخ القاضي وعليه أمان الله ورسوله وأماننا الأمان التام ما يخشى من شيء والذي هو يتأبى ويمتنع من القدوم وأداء ما في علمه يبقى خارج عن طاعتنا وتناله عقوبتنا والذي هو عاجز وإلاَّ شيباني وإلاَّ مريض ولم يقدر على القدوم علينا يؤدي شهادته على يد الشيخ القاضي سيدي علي بن مدور قاضي أغدامس والذي هو منكم يجيب لنا أوراق الرومي كل ورقة يأخذ عليها ألف ريال دورو ويحوز رضانا ونسرحوه على

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F.O. 76 - 29. 23.

الدار الكريمة من جميع المطالبة مدة حياته حتى القمرك «الضريبة» ما يعطيه وكذلك الذي عنده ورقة من أوراق حسونة الدغيــس الذي يبعث فيهم لغدامس مثل الخفير والحبيب وغيرهم يقدم علينا بهم ويأخذ على كل ورقة ألف ريال دورو ونقولوا إن شاء الله تصفوا لنا هذه المادة ونتريحوا نحن وأنتم واسألوا الناس الذين كانوا في تنبكتوا ولا تمسكم فترة ولا رخوة عن البحث على هذه القضية حتى الذي يسافر لتنبكتوا وحده وأكدوا عليه يبحث على قضية الرومي وأوراقه ولا تخمموا من جانب لفلوس الذي يعطى منكم الريال على تبيين هذه المادة يأخذ قيمته ماية وجميع من يجيب لنا ورقة من أوراق الرومي المذكور والأخبار صحيح ما يخصه قدر ولا مراعاة ولا حرمة ولا بد ثم ولا بد يكون عملكم على ما ذكرنا من غير خلاف وربنا يجيبكم في الصواب ويزيد منكم لما يرضينا والسلام بتاريخ 8 من شعبان سنة 1247 .

المدعى بربه عبده يوسف باشا قرمانلي

أيــده الله آمــين

الوثيقة رقم (38)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى قاضي مدينة أغدامس الشيخ علي بن مدور يطلب منه متابعة البحث في وثائق الرحالة الإنجليزي لانج وهي بتاريخ 8 شعبان سنة 1247 هـ (1832 م) [1].

الحمد لله الدايم المعبود . . .

إلى الأجل الفاضل الشيخ الفاضل محبنا سيدي علي بن مدور أكرمه الله آمين السلام الأتم الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ، ولا زايد سوى الخير ويليه إعلامكم أننا على محبتنا وعقيدتكم وطلب صلات دعواتكم ، وسبب الكتب إليكم هو أنه قضية الرومي الإنقليز الذي مات بنواحي تنبكتو باقية إلى الآن لم تتضمن وطلب منا محب جنابنا ري الإنقليز البحث على كواغط الرومي المذكور ، ويبغي شهادة أهل أغدامس على مقتضى الشهادة الأولى ويصححها ولا يمكننا إلاَّ مساعفة الرأي المذكور وها نحن كتبنا للغدامسية وأمرناهم بأنهم يقدموا علينا ويودوا شهادتهم على يدنا ويد الشيخ القاضي وعليهم أمان الله ورسوله وأماننا الأمان التام ما يخشوا من شيء والذي هو مريض وإلاَّ شيباني ويعجز عن القدوم تبقى بشهادته وما في علمه حتى بالسماع ويقدموا بها علينا الجماعة صحبة الشواش ولا بد ، وباقي ما عندنا من هذه القضية يخبركم بها محب الجميع الشيخ القاضي سيدي أحمد بن الحاج حسين التوغار في جوابه ولا تحتاج لزيادة التأكيد في السعي على تصفية هذه القضية وتكتبوا شهايد العاجزين بألفاظ بينة ما فيها إيهام لأن هذا أمر مهم وإذا كان الشيخ أحمد الحبيب قدم من سفره لغدامس نبغوه يقدم علينا مع الغدامسية ويؤدي ما في علمه من الشهادة وعليه أمان الله ورسوله وأماننا الأمان التام ما يخشى من شيء ، وكذلك الخضير يقدم علينا وعليه أمان الله ورسوله وأماننا الأمان ما يخشى من شيء وإن تعسر عليه القدوم فيكتب لنا ما في علمه مع شهايد

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغة العربية) .F. O. 76 - 29. P. 21

غيره ولا بد تعمل كليتك في هذا الأمر وفرغ سرنا منه وما أنت إلَّا محبنا وأقرب الأحباب عندنا وإلينا ولا لنا عليك زيادة ولا تقصير وربنا يحبب تصرفات الجميع في الصواب ولا زايد سوى الخير والسلام بتاريخ 8 من شعبان سنة 1247 .

المدعى بالله عبده يوسف باشا القرمانلي

أيـــده الله آمـــين

الوثيقة رقم (39)

رسالة من يوسف باشا إلى القنصل الأمريكي كوكس بخصوص السماح للسيد حسونة الدغيس الأمان تحت العلم الأمريكي «اللجوء السياسي» بدون تاريخ [1].

إلى محب جنابنا والأعز من جنابنا ككس قنصل المالكان وبعد فقد أتانا جوابكم بالأمس وقريناه وفهمنا ما فيه وعرفتنا فيه في جانب ولدنا سي حسونة الدغيس بأنه أتا القنصلاته محتمياً بكم وطلبتو له منا تذكرة بالأمان وتعلم يا محبنا نحن ما عندنا تقصير في كل حاجة ولقويرنوا متاعك حبيبنا وصاحبنا وقدركم عندنا أكثر من هذه وأما هذا القضية التي طلبتني فيها ما هي بالاي ولا أمرها راجع لنا هذا الشيء أنت تعرف فيه خصوما على القويرنوا الإنقليز وحتى أنت ما ترضاش يصير الكلام بين القويرنوات الذي هم أصحاب وحباب إلاّ إذا كنا تأخر إذن من قنصل الإنقليز في قضية هذا الراجل وتجيب لنا منه ورقة في ذلك ونحن ما عندنا زيادة وأنت ذكرت لنا وقلت ما طلبتكم إلاً في الشي الذي جاريه به المادة وتعملوا فيه لكل قنصل صحيح نسر حولهم كذلك مثلهم لكن ما هو في حاجة مثل هذه أمرها راجع للحكام والقويرنوات أمر التسريح في رعية ولا وقع منهم فرح نصفوا عنه ولا نيتنا عليه شي وهذا الراجل خليه عندك في حوشك حتى تفض قضيته والتمام .

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 26. P. 210.

الوثيقة رقم (40)

رسالة يوسف باشا إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول أحتجاج وارنجتون على الإتفاقية الطرابلسية الفرنسية وكذلك عن سوء تصرفات بعض التجار الإنجليز في عمليات البيع والشراء بتاريخ 7 من رجب سنة 1247 هـ (1831 م)[1] .

الحمد لمستحقه . .

حضرت محب جنابنا والمبجل عندنا من أحبابنا والعزيز علينا من أصحابنا المحب المخلص قنصل جنرال الإنقليز السلام اللايق بجناب والمخصوص بمن سلك من الأحباب وبعد قبلنا الورقة أمتاعك المؤرخة تسعة في دجنبر الذي أنت درت علينا فرتيستوا على الأربعة عشر شرطاً الذي درنا مع محبنا الفرانسيس نحن يا محبنا هذه الشروط لا حملناهم عليكم ولا على ناسكم ونعرف الطراطاتوا الذي حملنا مع القوبرنوا أمتاعكم دايماً إن شاء الله نزيدوا في الصحبة ما تنقصوا وتقعدوا كيف الناس الآخرين وأزيد وكيف تشبح الشيء الذي نديروه للناس الأخرى وأنت ينقص عليك شيء منا يبقى الحق معك إذا تكلمت لكن هذا شي لا يطير ولا نديروه والفصلية متاع القرمانلية دايمة هي والإنقليز في المحبة وتزيد ما تنقص وأنت يا محبنا ديمه تحكموا الشيء الذي ينقص علينا وينظر بنا ما تديروه ونحن ما نقدروا أنتركوا اللزمات القديمات الذي عندنا نعد والأحمى الخمر من غير لزمه أنا من أين نخلص مصروف وجميع لوازمه غير من المدخول وغيره أما الشيء الذي نديروه للناس الأخرى دايماً ناسك تقدروا المدخول بزيادة وإن شاء الله المحبة بيننا وبين القويرنوا أمتاعك دايماً في الزيادة وكنا تكلمنا معك على شأن الموازين والكيل والأسعار متاع ناسك وغيرهم أصحاب الدكاكين وفي الأسواق الذي دائماً يفسدوا في المعاملة والبيع وطلبنا منك المودة والحق الذين يبيعوا ويشتروا كيف

---

(1) F. O. 76 - 29 . P. 430.

ناس البلاد بسعر واحد وميزان واحد لأجل ما توقع الدوه والشكايات والهرج بين الناس ونحن نبغوا الحق على جميع الناس بالسواء كيف مسلم كيف نصراني كيف يهودي وأنتم لحقكم الشك ولدنا الأمير اجعلوا معه رجلاً من طرفكم من القنصلية يشاهد معه جميع الأمور والذي ما يبغي يرضى بالحق أغلق له دكانه . . . مما يليق وهذا شيء يصلح لجميع ناسك وناسنا والحق يحبه وأنت نعرفوك ما ترضى إلا بالحق ولا تجري إلا في صلاح الناس وتقدر تعرف أني نحبك ونقدرك ونفوضك على جميع الأحباب والأصحاب وما تبان لك من حاجة عندي ما لي زيادة وترد لنا الجواب عاجلاً وقد تركنا لكم عشرين بتيه شراب الذين قدر ماية وأربعين برميل وتركنا لكم لزمتهم محبة فيكم وتودد إليكم ولكون ناسينونكم كبير بالنسبة لغيركم ولا نعلموا لغيركم هكذا ولا نسرحوا هذا القدر ولا نتركوه إلا لمن عنده ناسيون يزيد عن الألف وأخبرنا عن السودتو الذي كتب عندكم ودخل تحت البنديرة الإنقليزية من مسلمين ويهود إنك لا تمنعهم وزادتنا بكم محبة وقرباً وأعاننا على مكافأتكم بالخير وحتى أنا نراعيهم ونقدرهم لأجلكم لكونهم تقربوا بالنديرة وبكم ولا يعطوا إلا المعلوم الجاري عليهم من قديم الزمان من غير زيادة ولا نقصان والسلام بتاريخ 7 من رجب سنة 1247 هـ .

المدعى بربه عبده يوسف باشا قرمانلي
وفقــه مـــولاه

الوثيقة رقم (41)

رسالة من يوسف باشا إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول احتجاج الأخير عن قرار الضريبة الجمركية وهي بتاريخ 18 ربيع الأول 1247 هـ (1831 م) [1] .

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل الإنقليز وبعد فقدوم جوابكم سابقاً في شأن السدت(*) الإنقليز وجاوبناكم عنه والآن بلغ على أنكم كتبتم في باب القنصلارية (**) إننا ظلمنا سدت الإنقليز . . . أمتاع القمارك ونحن استعجبنا من ذلك حيث تحملنا في أنفسنا ورضينا بتنقيص مدخولنا ولم يجي على بالكم بالمطلوب إنكم تعرفونا على الشي الذي ظملنا به سدت الإنقليز وتوفينا ونحن منتظرون لذلك والسلام .

بتاريخ 18 من أشرف الربيعين 1247 هـ .

المرعى برعاية مولاه عبده
يوسف باشا قرمانلي
أيده الله

(*) السدت : التجار.

(**) القنصلارية : القنصلية .

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 29. P. 247.

الوثيقة رقم (42)

رسالة من يوسف باشا إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص تطبيق الضريبة الجمركية على مادة الخمر بتاريخ 3 ربيع الأول 1247 هـ (1831 م) [1].

الحمد لمن له الحمد .

حضرت محب جنابنا وأعز أحبابنا وأقرب أصحابنا قنصل الإنقليز أكرمه مولاه السلام التام الايق ذلك المقام وبعد فقد ورد علينا كتابكم وما شرحتم لنا . عملناه فقولوا لكم على قضية الخمر أن جميع سودتو الإنقليز يعطى ثلاثة في الماية تعلم أيها المحب المبجل أن العمل في هذا الأمر يكون على ما آنعقد بيننا وبين الفرانصيص من الشروط في الخمر وغيره مع جميع الإفرنج وكما هو معقود في الصلح بيننا وبينكم أنه إذا آنعقد شرط مع قنصل من القناصل فيكون غيره عامل به وموافق له وهذا الأمر لا يخفى عليكم وما عندنا يعرفكم به المنيستر ولدنا سيدي إبراهيم بومويس ودمتم في خير وعافية من المحب المخلص عبده يوسف بن علي باشا قرمانلي وفقه مولانا في 13 ربيع النبوي سنة 1247 هـ .

---

(1) الأرشيف البريطاني .F.O. 76 - 29. P. 251

الوثيقة رقم (43)

رسالة من يوسف باشا إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول قضية أحد التجار المالطيين ويدعى طابوبة بتاريخ 8 من ذي القعدة 1247 هـ [1] (1832 م) .

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل جنرال الإنقليز وبعد فقد ورد علينا كتابك المؤرخ في إبريل وذكرت لنا فيه من جانب طابونة مستلزم الحارة في العام الماضي تعلم محبنا أن اللزمة بما فيها قدرها ألف وستماية ريال دورو في العام فكيف يتجرو في العقل أنه يخصر فيها قال تسعة ماية وأربعين في أيام قليلة الذي وقع فيها الحكم على ناسنا فهذا شيء لا يمكن واجلت انقضت من يوم السبت الماضي ونحن لزمناه لأجل آخر من السدتوا الإنقليز وعينا له شاويش ليفض معه في هذا الأمر وإن كان طابونة ما زال له كلام ها هو نعينوا أربعة أنفار من أهل المعرفة لفضل قضيته وقطع النزاع فيما بيننا وبينه اثنين من طرفنا وآثنين من طرفكم والذي له حق يتمثل به ولا زايد سوى الخير والسلام بتاريخ 8 من ذي القعدة سنة 1247 .

عبده يوسف باشا قرمانلي
أيده الله

---

(1) الارشيف البريطاني .F. O. 76 - 31. P. 123

ملحق

الوثائق المختارة المتعلقة بالفصل الخامس

الوثيقة رقم (44)

رسالة من عبد الجليل بن سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول إنشاء صداقة معه ومع الحكومة الإنجليزية وهي بتاريخ 19 من صفر سنة 1247 هـ (1831 م) [1] .

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأجل الأفضل محبنا قنصل الإنقليز . . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زيادة بعد حمدنا الخير يليه مني بعدكم شأن نحن أناس نريد محبتكم وقربكم ونبغوكم ونريدوا معرفتكم وأنتم الناس كلها لاقيتكم وأنتم . . . الذي تبين لكم من جنابنا وإلا من جناب ناسنا ووطننا ما لنا . . ولا تقضير واحنا في أرواحنا الناس كلها ما تشغلنا فيها وأما أنتم تبغوا مرضاتنا عليكم ونبغوكم تردوا بالكم . . . تنهونا ولا تغفلوا عنا والمحب والوصال نبغوه دايم الزمان حده واسع والأيام تلاقي بين الرجال وأن تصلوا في الذي ما له أصل ولا مفصل والذي يأتيكم تنفروا . . . وها نحن وتسقوا في معناه وها نحن نريدوا معرفتكم ونريدوا تكونوا منا ببال ولا تغفلوا عنه والذي نريدوه منا وتكونون عليه ولا زيادة ولا تقصير وجميع ما تريدوه حاضرين كافة الوطن وأنتم نسل الإنقليز ناس وأهل كلمة وعهدكم وافي وأهل صدق وإذا لقيناكم جميع ما تريدوه خودوني أنا فيه غير الجانب الذي بالانا خودوني تكونوا منه

(1) الأرشيف البريطاني .F. O. 76 - 29. P. 212

ببال ونحن مانا مثل الناس الذين ما فيهم خصلة نحن أناس بخصلتنا وحيوما والذي يشرينا يريحنا ولكن حتى ما تعرفونا أنشدوا الأول من الوطن تراه أمرنا يعرفه أحد وجميع ما تبغوها من بر القبلة خودوها حاضرة ولا تبين لكم وإلاَّ ما تبين للذي من طرفكم غير لوموا علينا به تحضركم في أقرب مدة من ها هنا إلى بر العبيد حتى وإن كان نحن والحاكم قبرها ما علينا فيه ولا هو شاغلنا وأما أنتم تريدوا المخالصة والقرب بيننا وبينكم ودمتم بخير وعرفونا بكامل ما عندكم عرفونا به وجوابكم على الفور والسلام بتاريخ 19 من صفر الخير 1247 هـ .

محبكم عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر

الوثيقة رقم (45)

رسالة من القنصل الإنجليزي إلى الشيخ عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر حول الصلح مع الباشا وهي بتاريخ 23 صفر سنة 1247 هـ [1] ( ) 1831 م .

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

إلى حضرت الأجل الفاضل محبنا سيدي الشيخ عبد الجليل بن غيث أكرمه الله آمين . أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من شأن أنه أتانا جوابك . وتذكر لنا وتقول ما لي زيادة في قضى حاجتك وأنا في حاجتك ما لي زيادة نصرف جهدنا وأنا حاضر لما الباشا قرأ جوابك ولما قرأه كيف ما انخرص فيه ما جاش على القوزت والجواب الذي أنت كتبت لي ما بغيت نوريه إلى الباشا وهذا الجواب الذي يأتيك عارف به الباشا وما فيه وأنا الذي نعرف الصلح خير من الطرك وأنا عندي جميل الذي تفتض هذه العركة بينك أنت والباشا وأنا عجبني عقلك الذي حكرت على الإنقليز وشكرتهم الذي أنت صاحب كلمة والصدق لما قلته ما قلت إلا الواقع ونقدر كل ما نبفح نفعل نفعله ويا محبنا أنظر الذي يسلكك قبل ما تجي تحت البنديرة وأنا حكرت الذي هو الباشا الذي نفعله معك ما تجي تحت البنديرة وأنا حكرت الذي هو الباشا الذي نفعله معك ومعه ما يتكلم وأنا مرادي نرسل إلى الرأي قبل ما ندخل لأني إذا فعلت يدي مرفوق والذي نديره ما فيه خلاف وكن هاني وسدك فارغ ما يجرا عليك شر أبداً والسلام بتاريخ في 23 صفر الخير 1247 هـ .

من محبكم القنصل الإنقليز

---

(1) الأرشيف البريطاني ، وهي باللغة العربية، .F. O. 76 - 29. P. 216

الوثيقة رقم (46)

رسالة من عبد الجليل بن سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول وساطة وارنجتون في خصوص الصلح مع الباشا بتاريخ ربيع الأول سنة 1247 هـ (1831 م) [1].

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

الأجل الفاصل محبنا القنصل لنقلـيز أكرمـه الله آمين السلام عليكم ورحمة الله مع البركة ولا زيادة بعد حمد الله سوى الخير فإليه إعلامكم من شأن جوابك وقريناه وفهمنا ما فيه وذكرت من جانب المحبة ومراعاتك لنا في الذي يا لانا بارك الله فيك وهذا هو المقطوع به عليك وهكذا عنك ونحن مع أرواحنا ما نبغي إلا محبتكم ومراسلتكم لأنك لو كان ما كان أنت لا تر السلوة ولا علينا في أحد لكن أنتم نبعوكم جانب والذي تلوع علينا وذكرت لنا وقلت تعرف الصلح خير من الطراد تعلم يا محبنا أهل طرابلس لم يتم ونحن في أرواحنا ما سر وجعلنا كلمتنا معكم وذكرت لنا وقلت عن الرأي بأحوالكم نحن من ساعت كتبت للرأي نحن ما عندنا معكم كلام تحزم عليها وتبغا تعملوها العمل عليها والذي تعرف أنت صلاح لنا وقلت أنظر الذي بسلكك قبل الدخول تحت البنديرة نحن مع أرواحنا جاوبناكم وعطيناكم كلمتنا حتى انتظرنا وحكرنا وبيتنا مع كافة تابعين بن وليد إلى حد بر العبيد كلهم بيتنا معهم على أننا تحت بنديرتكم وكلتكم معكم كلام في احوال الصلح والطرد وغيره غير كونوا أنتم على ما أنتم عليه ما ذكرتم وبالكم من الختلة ولا تفصلوا لأحد ونحن في أرواحنا من عملنا معكم الكلمة وعطيناكم كلمتنا يزيد في عداوتنا على أثر العدوان فقدوا إذا كان ثم المقصود ووفيتوني بالذي ذكرتوه بر العبيد خصوصا حالكم ورجالكم سابقا ولا حصلتوا منه تمره ولا جيتوا منه حقيقة وإذا تم الذي بيننا نأتيكم منه بالفايدة وبالحقيقة الذي ما يأت بها أحد ولا هذا وطن

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغتين العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 29. P. 283

بوي وجدي والناس كذلك ناسنا وتحتنا من سالف الزمان عليهم سبيل من مداد ولا عوايد سلطنية وناس ضعف ولا عندهم شي عسكر وكفى ما هو الآن يقولك عليهم شي ولا تريدهم يعطي شي بلادنا بن وليد وأحواله وناسه هذه كافة مع أبابنا وأجدادنا مشايخ عليهم عادة إلا بعد غلبهم في هذا الزمان وسابق الزمان عندهم من هم ما هي فورطه يعطي بالسيف عليهم وأما الآن الذي في أيديكم بعد ولا يقا عندهم شيء ويكون معلومكم والشور الذي تفضيه وتجدك عليه نوافقوك فيه ونعرفوك من شأن سانيت واحياش في طرابلس بجنابك تبغى تضع يدك عليهم ولا عند معك سانية ولا حوش والجواب الذي يأتيك من عندنا لا ترقب عليه أن الذي مثل نفسك وتراهم عيلتنا بأسانيه وأولادنا كلهم تحت يدك أصحايا سا عليهم أحد يكون معلومكم والسلام بتاريخ من أشراف الربيعيين سنة 1247 تلجاق خير وبلغنا الخير بأن الباشا يجهز في الطراد وقوات اليوم ناسنا ما لينها وإذا كان أمر صحيح تبق من غير مأمور تعلمنا عرفك وتعرفنا بالحقيقة ترانا نحن ما متهنيين إلاَّ بك والسلام إذا كان المحلة ولا بد منها ونجعت تهفتها غير الملمين وهناك الله منها وتسمع لها خبر وعرفنا بكافة ما عندك وترانا ما وجلنا للتراس إلا اربعة أيام والسلام بتاريخ أعلاه.

من عبده الجليل بن غيث بن سيف النصر

الوثيقة رقم (47)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي حول الصلح مع عبد الجليل بن سيف النصر وهي بتاريخ 13 من رجب سنة 1247 هـ [1] (1831 م) .

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل لنقليز بعد السلام التام اللايق بذلك المقام وبعد في السابق تكلمت في الصلح على الشيخ عبد الجليل بن سيف النصر ولا جاش وقته والآن صار بيننا وبينه الصلح وأنت إذا تبع تبعت وتحييه وإلا تحسها بنفسك أنا نعطيك الكلمة لك وعلى لسان القويرنوا أمتاعك إننا نعطوه الأمان هو والقبيلية أمتاعه ورزقه وملك ونقدروه على خاطرك ونخدموه ولا عندنا عليه ازيادة وإذا كان ما يبغ اجي على هذه الحالة هذا شي ما نرضى به ولا يصلح بنا ولا بالعمالة وأنتم الذين ما يصلح بنا ولا بالعمالة ما ترضى وخلي بينا وبينه وأنت ما يوجعك خاطرك وزايد الكلام الذي يخبرك به المركانت زراليوا بنفسه والتمام في 13 من رجب سنة 1347 هـ .

المدع بالله عبده
يوسف باشا قرمانلي
أيده الله آمين

ملحق خير وكيف عبد الجليل ايج على يديك إلينا الشي الذي نعملوه انا واياه على يديك ولا يرضيني ولا ايج على مراده ويبغي اولا لموضعه الذي كان فيه انا عطيتك الكلمة انوده إلى مكانه ولا يخاف من شي إلى أن يوصل لموضعه الذي كان فيه وهذا طالع من تحت البرتسيون والتمام بتاريخ امامه .

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 29. P. 411.

الوثيقة رقم (48)

رسالة من عبد الجليل بن سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي بخصوص وساطة وارنجتون بينه وبين يوسف باشا وهي بتاريخ 19 من رجب سنة 1247 هـ (1831 م) [1].

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده .

إلى الأجل الأفضل محبنا القنصل لنقليز أما بعد لقد أتانا جوابك وقريناه وفهمنا ما فيه وحمدنا الله وحمدنا الذي أنت طيب وذكرت لنا فيه من جانب أنك تستحمد لنا في السلامة من العركتين أنت رجل حبيب ولا يلحقنا فيك شك ونعرفوك تشتغل بشغلتنا وتتهما بهتانا والآن الحمد لله نيتنا طيبة وقلبنا صاف ولو لقينا شك وقصد مرادنا حتى الباشا الله يهنيه ما صار بيننا وبينه خطا وإلا يحصل غيره وذكرت لنا أن سيدنا لأمك على دخول الصلح بيننا وبينه تعلم يا محبنا في السابق قدموا علينا أولاد سيدي عبد الرحمن بوسيف وتكلموا معنا من وارد الصلح وجاء بدالنا جواب من ولي النعم سيدنا ودور منا الباشا الله يهنيه واحد من خوتي وعشرين تراس من أهل الوطن وألف زاملة أول مرة الناس تصعب عليها الشرط وحرت من هذا المعنا لأن الناس أضعاف وأيديها فارغة وتالي أنا وليت وغلبتهم عليه وجبتهم له كرهاً على أنفهم فلأجل هذا المعنا وهديا خالصة ولا مرادنا إذا ألقينا العهد الصحيح والكلام البايت وتمضات كلمتنا ورجع همتنا وطريق أباينا وأجدادنا حتى نحن ما نرضوا الفساد عليه وذكرت لنا من جانب قدومنا لطرابلس وتستشار فينا ومنتقل الناس الخوف تعلم يا محبنا نحن من جانب الخوف ما نشتغل إلاّ على ناسنا وأما نحن فلا فرار من الموت وأما من جانب القدوم لطرابلس تعلم يا محبنا الآن القدوم ضنيين والناس إلى الآن قلوبها ما راعت ومع ذلك واصل في سلاك الابل وخايف من تغليت الناس لأنه حمل تقيل ولا مواد في ندخل عهده ويقع فيها

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغتين العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 29. P. 449

ذلك والآن يا مكنك تكلم سيدنا يصبر لنا في نصفي الإبل والنصف نسقد به المحلة وإذا صار هذا الشي وروحت المحلة ولامت الناس على أنفسها نعلمك ونراسلك وإذا تبين لك بالقدوم والذي ترضاه لي نرضاه أنا لنفسي وذكرت لنا من جانب العيلة انهم لاسو ولا سوية ومهنيين عليهم ولا خاصهم شي بارك الله فيك وهذا هو المقطوع به عليك وتسميت علينا وتسمينا عليك وحتى نحن إن شاء الله ما ضيع فينا شي ودمتم بخير ولا زيادة بتاريخ 19 من رجب 1247 وتراهو قدم علينا الجواب يوم الخميس وسفرناه صبيحة الجمعة والسلام . بتاريخ أعلاه رآه يأتيك جواب للباشا الله يهنيه بلغة إله والإسلام .

من عبد الجليل بن غيث
ابن سيف النصر

الوثيقة رقم (49)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي حول الصلح مع عبد الجليل بن سيف النصر وهي بتاريخ 22 رجب سنة 1247 هـ (1831 م) [1].

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل لنقليز بعد السلام التام اللايق بذلك المقام وبعد أنه أتانا الجواب الذي بعث لنا من الشيخ عبد الجليل وقريناه وفهمنا ما فيه وهذا الشي الذي قلناه ليك في السابق من شأن الصلح بيننا وبينه قاعدين معك في الكلمة نقولوا إليك حتى اليوم وهو طلب منك توسعوا عليه في خمسماية ناقة إلى أيام أخرات وباشي انا نتجمل عليك ونوسع عليه هو يكمل الخمسماية ناقة لولات ويكمل الشروط الذي عملناهم معاه ورزق التجار متاع فزان يرده وغيره والأمان الذي أعطيناه هو والقبيلة متاعه قاعدين فيه ونقدر تضمن في هذا الشي الذي ما يشيح منا إلا الخير والضمانة متاع الصلح يستحمد عبد الجليل ايج معاك بنفسه هو وإلا أخيه عمر ويقعد في المدينة والمنشية حتى يكمل الخلاص ويتم الصلح وهو عندنا كيف اج بنفسه والا ايج خوه والوقت الذي يكون معنا يكون تحت ضمانت النبديرة إذا كان رضا ايج هو والا اخوه عمر نعطي الادن للبيات يمشي في سهل غيرها وأنت على هذا الشي تقدر تسقذ رقاص إذا هو رضا تجمل علينا وعليه وكمل هذا الشي وإذا ما رضنا بيننا وبينه نحن نعرف خلاصنا وهو يعرف خلاصه والشي الذي يصلح فيه يعمله والتمام بتاريخ في 22 رجب 1247 .

من المدع بربه عبده
يوسف باشا قرمانلي
وفقه المولى

---

(1) الأرشيف البريطاني (وهي باللغة العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 29. P. 452

الوثيقة رقم (50)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي بخصوص سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ 8 من ذي القعدة سنة 1247 هـ [1] (1832 م) .

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل جنرال الإنقليز وبعد فقد ورد علينا جوابكم المؤرخ في ستة أيام في إبريل وأطلعنا على ما فيه وذكرت لنا فيه على خلاص دراهم سدت الإنقليز وإن أجلتهم فاتت وإنّ القويرنوا لم يرض بهذا التعليل وذلك لرمراليوا نعم فإن ذلك واقع والحق معكم فيما ذكرتم ولكن أنت تنظر في أمرنا مع العربان وعدم المدفول والموانع الحاصلة في كل وقت وما كان في ظننا أن الأمر يطول وليس خافي عليك شيء من ذلك وأنت أولى من يعذرنا لاطلاعك على حقيقة حالنا وإن شاء الله ما بدا إلا السلاك لأنه أهم شيء عندنا وأؤكده وها هو المكني توجه إلى فزان وإن شاء الله عند وصوله إليها يحصل المقصود وتنتهيا الأسباب منها أو من غيرها وما نسعوا إلا في الخلاص منها بما أمكن إن شاء الله ونرجوا من القويرنوا أن لا يؤخذونا في هذا التعليل الذي وقع من غير أخيارنا لما بيننا وبينه من المحبة القديمة ولا ازيادة سوى الخير والسلام بتاريخ 8 من ذي القعدة 1247 .

من الراعي برعاية مولاه عبده يوسف باشا قرمانلي
دام علاه بمنه آمين

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغتين العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 31. P. 104

الوثيقة رقم (51)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي هانمر وارنجتون حول تأخير سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ 3 من ذي الحجة سنة 1247 هـ (1832 م) .[1]

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل جنرال الإنقليز هنمر ورنتون بعد السلام اللايق بذلك المقام وإنه أتانا جوابكم متاع ثلاثة في ماي وقريناه وفهمنا ما فيه وإن شاء الله المحب الذي بيننا في السابق تزيد ما تنقص وهذا الوقت باش تعذرون أنت تعرف يا محبنا مفيك انه حتى ثمانية عشرة شهراً أن بلادنا فيتنه ولا أخذنا منها شيئاً وكل يوم نزيدوا من أيدينا في المعروف عليها وهذا السبب الذي خلانا بلى فلوى ومدخول إنا نعرف أنى كلمت معك ومع القبطان قرى متاع الكراويطة ودرت على جميع العمالة جانب فلوس الشرق والغرب والمدينة ما يقرب من سبعة وثلاثين ألف وخمسة مابة دورو إن شاء الله هؤلاء القدر في خمسين والا ستين يوماً - يخلص إذا تبغ السبعة آلاف وخمسة مابة دورو متاع الكرويطة نخلص مولاها والثلاثين ألف تقسمه على العشرات متاع الكنتراتة الأولى الذي درنا معك على بقية فلو ناسم متاع التسعين ألف والذي باقي منهم إن شاء الله عن قريب نخلصوه من خلاص بني غازي وفزان وغيره وبعد تمام خلاص الخلاص الأول نديروا معكم كلام وعلى التذاكر الذي كتبنا جرد وعلى جميع ما بقي ناسك على خاطر الشيء الذي أنت تعرف فيه الذي ما وصل اجلته والبيع والشراء جديد الذي ما كمل حتى عام وحتى لو كان وسع بالهم تحت الفايدة متاعهم ما فيه باس وهذا الشيء الذي درناه على كافة العمالة اتقول في جوابك انا فديته انا ما خذين كمخ حتى شيء ونقدر متى تبغي نعطيك تذاكر على جميع الناس الذي يخلصوا وأنت لو

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغتين العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 31. P. 147

كان تبغي . . من الذي تبغيه يقبض الدراهم وإذا تبغي تعطي التذاكر لروزاي ولجميع الشيء عنده كيف ما درت قبل وكيف يتم اقسم أنت على ناسك كيف تبغي أنا نساعدك والكماندنت إذا هو يبغي يقعد البلاد بلادكم ما لي عليه زيادة حتى يتم الخلاص وإن هو عنده ما يقضي غير هذا الشيء بها الغرض لدومنا عندنا كيف المركب تسافر كيف المركب تسافر كيف قاعدة حنا كلامنا معك زي كلمتك زي كلمت القويرنوا متاعك لأن هذا الشيء في دمتنا ولا عندنا فيه ما نقولوا وأنا نبغيك بالمحبة الذيئ بيننا تكتب إلى القويرنوا متاعك إن حنا ما عندنا زيادة غير من الفتن الذي عندنا ولا ساعنا الحال هذا شيء أنت تعرفه أكثر من الناس الكل وحنا ما في مرادنا غير خلاص المادة ونفتك من الطلبات كل يوم وكيف أنت تعرف تخير بحقيقة الحال إنا نعرف صحيح أن المحبة بيننا وبين تلقزيرمزت كتاعك تزيد ما تنقص لأنها موروثة من الآباء والأجداد وإن القويرنوا متاعك ما يواخذنا ولا يحق يبعث لنا مراكب حنا عندنا كيف كلمتك كيف جميع المراكب ما عندنا كما يقولوا غير ما ساعدنا الحال والفتنة طولت وقداش منا خلصنا في السابق وبعنا وشرينا معكم وخلصنا بلى موجعة لأكلنا حد ولا نكرنا. وإن شاء الله نخلصوا وحنا طيبييم زتجباب ولا نحتاج نوصوك وتعرف كيف تساعد الحال من جانب الشي الذي يطالبه القويرنوا متاعك أنا حاضر ما لي زيادة وأنا لو كان ما في مريض وإني قابلتكم بنفسي وتكلمت معكم مقابلة لائق الأمر بيد الله سبحانه والملاقاة لها أوقات وسلم لنا على الكماندنت وإذا كان لازمه حاجة عندنا ما لنا زيادة وربنا يخلي هذه المادة على خير والتمام في 3 من ذي الحجة 1247 .

عبده يوسف باشا قرمانلي

أيده الله آمين

الوثيقة رقم (52)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي هانمر وارنجتون يطلب منه إعادة العلاقة واستعداده لسداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ 18 من صفر 1248 هـ (1832 م) [1].

الحمد لمستحقه .

إلى محب جنابنا هامر وارنقتن جنرال قنصل الإنقليز بطرابلس غرب. . أما بعد فإن البارحة وجعنا خاطرنا كثير من تنزيل بنديرة الرأي مع أننا ما عملنا معكم عيب لكن من قلة الدراهم لأني ما قدرت نخلص دراهم السودت في أجلة الثمانية وأربعين ساعة التي عملتم علينا وها نحن لمينا كيف ما عملنا سابقة على عيلتنا ومخازينتنا وكيف. . . كل ما عندنا صياغة ذهب وفضة وجانب مدافع نحاس نقدر نعطيكم الكلمة الصحيحة الذي نلموا على خمسة عشر يوماً من يوم الذي ترضون بذلك تسعين ألف دور أما سبعين ألفاً من هذا الشيء المذكور أعلاه وأما عشرين ألفاً على أربعين يوماً وهذا العدد على التذاكر التي مضت أجلتهم وأما التذاكر الفاضلة والتذاكر التي أحلتهم باقية نعلوا فيهم تجريده جديدة على الصح ونصفوا نحن وعمالتنا الذين نخلصوا الأكثر من الذين نقدروا عليه إلى تمام العامين أما من يوم التاريخ إلى تمام أجله الخلاص نودوا ستة في الماية خصارة الذي توقف اجلته ولم يخلص. . ونحن نطلبوا منكم في الزمان الآتي الذي تحسبوا علينا التذاكر متاع الناس البرانية التي يشترونها السودتو متاعكم إلا برهاناً لأن هذا الشي يكتر به الذين علينا وتنقص كلمتنا معكم في الشروط وكذلك نطلبوا منكم في جانب الحق والفضل متاع الراي متاعكم الذي يقبل هذا الشيء الذي قدرنا عليه وهي التسعين ألف دورو ولا يلحقكم شك في أني نقدر على أكثر من هذا وإذا كان هو يرض نحن نعطوه بقية المدافع والمراكب وغيرها وكل ما يرضيه وإنا متحقق أن الراي ما

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغتين العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 31. P. 191

يرضى بالشيء الذي يضرنا لأني من هذا الوقت سلمت له في الشيء في يده لا يستحق يبعث لنا تسكواده ولا مراكب آخرين لأنها مركب واحدة تكفي على خاطر نحن نعرفوا الا ما عندنا حق في تطويل الخلاص. . وكذلك نطلبكم من فضلكم على أمم الراي متاعكم الا انت، تمشي من بلادنا قبل لا يوصل الخير الذي في هذا الجواب للراي متاعكم نخمموا تلذي كيف تركب أنت من هذا البلاد تصير فوضة معفونة علينا وعلى ناسينا وناسكم . . وكذلك نطلبوا منكم تعرف الراي على أن عمالتنا اليوم قدر العام ونصف وهي مفتونة ونحن نعرفوا عليها من الصح وهذا الشيء هو الذي نقص كلمتنا معكم وطولنا عليكم في الخلاص ونخمموا على أن الراي متاعكم صاحب حق مع الناس الكل ما يعمل الشيء الذي يضر بصاحب فميليه كبيرة . . وانت قلت لنا في آخر مجيكم الينا عندنا كلا آخر من غير الخلاص أخبرنا عليه لأجل الشيء الذي في الحق نعملوه وإن كان عند الذين باشا تضفى هذه الدواوي معنا تتجمل علينا باش نكملوها وان كان ما عندكم ترسلها في هذه القرقيطة للراي متاعكم وإن شاء الله ربنا يصفي القلوب على القرمانلية وناسهم لأنهم أحباب من قديم الزمان وربنا يخلص عن خير والسلام بتاريخ 18 كم صفر الخير سنة 1248 من المحب المخلص يوسف باشا قرمانلي وإلى محروسة طرابلس غرب وفقه مولاه.

الوثيقة رقم (53)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإيرلندي يطلب منه التوسط مع وارنجتون بخصوص سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ 22 من صفر 1248 هـ (1832 م) [1].

الحمد لمستحقه . .

إلى محب جنابنا قنصل جنرال إيرلندة بطرابلس غرب المحروسة أما كنتم أن محبنا قنصل الإنقليز وكلك على السودتو أمتاعه وكيف أنت وكيله وحبيبه وحبيبنا يستحق توصل كلا منا لأننا كتبنا له جوز جوابات وما رد لنا الجواب وكان طلبنا وديته في الأيام الصافية وأتان هو والثلاثة . . « وندس واخوات وقرى » وقالوا لنا على لسان الراي متاعهم الا . . . في ثمانية وأربعين ساعة جملة مطالباً سودتوا الإنقليز ومن بعد عنده شيء آخر باش نقضيه بعثت أنالهم وأحد من المنيستروات متاع يفض هذه المطالب وقلنا له نحن حاضرين لأجل نصفوا الدواوي الذي في طريق الحق وبعد وجعلنا خاطرنا نحن وجميع مخازنيتنا وناسنا الذي هو نزل البنديرة جيبتنا في لية ستة عشر من شهر التاريخ وما يحب يسمع منا حتى الكلام على هذا الخلاص ولا يحب يعرفنا الآخر الذي يبغي يطلبه قمت أنا لميت في ساعة عيلتنا ومخازنيتنا ومشايخ ناسنا لأجل نخمموا جميع على هذه المعنى وكتبنا ورقة لقنصل الإنقليز لأجل يتفضل علينا هو ما رد لنا جواب غير قال بالصبح الكلام ما يصفي هذه الأمور وبعد لميت مخازنيتي وجميع ناسي مرة أخرى وبعد ما حملنا كل جهدنا كتبنا له ورقة أخرى وقلنا له نعطوه في خمسة عشر يوماً من التاريخ مابة الف ريال دورو حاضرة وهذا العدد لموه من جميع صياغتنا ومراكبنا وجانب مدافع نحاس وحتى هذا الشيء الذي دار قدام الأنو والحق متاع الناس والنسيون الذي أنا نقول لك الذي انا حاضر قبل لا يسافر من البلاد باش نخلصوا الدين القديم . .

---

(1) الأرشيف البريطاني (باللغتين العربية والإنجليزية) .F. O. 76 - 31. P. 221

تسعين الف ريال دورو الذي عرفنا به سابقاً أنا وولدي الكبير ونخلثوا اثنا عشرة والا خمسة عشرة الف ريال دورو من الدين الجديد الذي دار هو فيه تجريده والباقي طلبنا فيه أجله باش نخلصوه بالكنبيو وحتى الناس الذي يبغوا هذا العدد رضا به اش المعنى هو ما يحب يرضى وقلنا له اخبرنا حتى باشي الآخر ما قال لنا حاجة كيف أنا نقدر نصفي شيء يستحق نعرفوك باش نعرفه على أن الدين الجديد ما زال ما صفيناه لأجل هذه التساكر ما هم أمتاع الإنقليز متاع نسيون آخرين ومكتوب يخلصه مولاه لا يخلصه أحد آخر من حين هو قال لنا على أن القويرنوا رضي به حتى نحن هذه رضينا غير يعطينا أجله باش نخلصوه ونديروا بين في تجريده هذا القديم والذي قاتت احلته وبالسوم الذي أخذوه به منا ما يحبوه دوبيوا كيف ناداور البعض منه وحتى انا لو كان هو وصان آخر ما نفتش هذه الدواوي لكن بالسيف اندير هذا السيء لأننا متضايقين من كل جبهة وهذا السيء زاد كيف ما تعرف من مدة عام ونصف متاع هذه الفتنة ونحن ما نقص علينا الذي كنا نأخذوه منهم بين بل نقص هو وودنا عليه من حالنا اكثر من الذي ناخطوه منهم باش نصفنوا وصرفنا كل ما عندنا ولا سدنا شيء وبعنا حق جانب مدافع باش نصرفوا على العملة ونضطوا الأمور وانا تحكر القنصل الإنقليز لو كان يودري هذا الشيء للقويرنوا متاعه صاحب الحق والفضل ما يرضى بمضرتنا على شيء تبى معنا لأن ناسه يبغوانا ورضوا بالأجلة كيف يصبر القويرنوا لا يرضى بذلك ويدير الشيء الذي يضر فاملية القراملية الذي هم أحبابه من قديم الزمان والدين هم في زمان القويرة وفي كل زمان يقدروا يعاونه الإنقليز واليوم الذي ما عنده قوة على غير معنى غير الدين الذي حاضر باش نخلصه في خمسة عشر يوماً تتيسر منه والباقي خمسين وإلا ستين ألف دورو الذي ما طلبنا إلا أحلت عام ونصف ونخلصوا ستة في المماية كبيوا كيف يصير قويرنوا الإنقليز صاحب الحق مع جميع الناس ما نضنوه ما يدير الحق حتى معنا نحن ويبغي يجبي باش يدير القويرة مع الحبيب الذي يلي سلاح وأنت يا محبنا ها هو تلقى في وسط الجواب كوبية من هذه الورقة عرفها بالطابع أمتاعك وأرسلها لقنصل الإنجليز واطلبه قبل أن يضرونا بمراكبهم يبعث الورقة للراي الحقاني متاعه ويرد لنا جوابها ومنه نرجو الذي يبغيه وكذلك أنت تتحمل علينا تعطينا كوبية من هذا الجواب لأجل يبقى مثل الشهادة عندنا على جميع ناسنا ، إلا أنا ما خليت من

جهدي لأجل نصفي هذه الأمور ونطلب ربي تعالى يصفيها كلها على خير ونبقوا أحباب مثل قبل وأنت ربنا يكثر خيرك والتمام بتاريخ 22 من صفر الخير سنة 1248 هـ .

عبده يوسف باشا قرمانلي

الوثيقة رقم (54)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وهي بتاريخ 24 من صفر سنة 1248 هـ [1] (1832 م) .

الحمد للمستحق .

إلى محب جنابنا هامر وارتقتن قنصل جنرال الإنقليز بطرابلس غرب بالمحروسة .

أما بعد نعرفوكم الذي ما بقي لنا حاجة نعملوها الآن وآحنى وهو أن نبعتوا لكم ولدنا الأكبر سي علي باي لأجل يأتيك بهذه الورقة وتخميمنا ولأجل يقول لكم إلاَّ نحن حاضر باش نخلصوا الدين القديم متاع فاسكم الذي هو ثمانية وثمانين ألف ريال دورو وثلاثماية ريالات دورو بين ذهب وفجره الذي في القايمة التي عليها سابقاً وخمسة آلاف أخر من متاع تسكره متاع ألف وسبعمائة ريال دورو وثلاثة آلاف وثلاثماية باش نخلصوا الذوالية من. . . . وغيرهم الذي هي حاجة ما هي متاع الثمار ونخلوا قيمة عشرين ألف دورو على الدين الجديد حتى. . . وتدبروا السلعة على سوم السوق كيف ما أخذوا ونخلوا في يد صاحب الحق الرأي متاع. . . . . باش يعطينا الأجلة الذي يبغي هو على الباقي ونجد الا نحن فارغين من المال وأما من الشي في الأخر نحن حاضر باش نديروا الحق إلى الراي متاعكم بطلب وكيف نحن ندفعوا لكم تمام هذا الخلاص تبقى تورينا على يد اشركوف ونطلبكم الا تردوا البنديرة متاعكم في مطراحها وترجع المحبة بيننا وبينكم وبين القويرنوا متاعكم مثل قبل ويقدر يقعدوا واحد من هذه . . . . مراكب إلى التمام المحقا في على هذا الشي وإن شاء الله ربنا يتمم جميع المطالب بالخير والتمام بتاريخ 24 من صفر سنة 1248 .

عبده يوسف باشا قرمانلي

---

(1) الأرشيف البريطاني ، F. O. 76 - 31. P. 228.

الوثيقة رقم (55)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول سداد الديون الإنجليزية المطلوبة وتأخرها بسبب الحرب الأهلية وهي بتاريخ 28 من صفر 1248 هـ (1832 م) [1].

الحمد لمستحقه .

إلى محب جنابنا هامر وارنقتن قنصل جنرال لنقليز لمحروسة طرابلس غرب أما بعد فإننا كنا ساعين في خلاصكم كما عرفناكم في جواب كاتبناكم به والآن يا صحبنا حلت بنا هذه التي تشاهدونها عياناً بسبب ذلك والآن أنكم تعذروننا وترثوا لنا نظراً لما بيننا وبينكم القديمة ولو طلبنا فضلكم تعينوننا بالقول والفعل ولو بعساكركم الموجودة بمراكبكم التي بالمرسى إن شاء الله ربنا يطفى نار هذه الفتنة ونسعوا في خلاصكم بما أمكن وربنا يصلح الأحوال ودمتم بخير وعافية والتمام بتاريخ 28 من صفر 1248 .

عبده يوسف باشا قرمانلي وفقه مولاه

---

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة العربية ، F. O. 76 - 31. P. 254.

الوثيقة رقم (56)

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي وليم الرابع يبلغه فيها تنازله عن الحكم لصالح ابنه علي بك وهي بتاريخ 15 من ربيع الأول سنة 1248 هـ (1832 م) [1].

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

من عبد ربه يوسف باشا قرمانلي وإلى وجاق طرابلس غرب إلى حضرة محب جنابنا والمبجل من أحبابنا الملك المعظم وليم الرابع راي الإنقليز ويرلاندة وغيرها هذا وقد ضنا لنا ورأينا صلاحاً أن نولي مكاننا بطيب نفس منا وآختيار من أهل إيالتنا بالاستحقاق نجلنا الأسعد سيدي علي وهو من اليوم خليفتنا ومتصرف بتصرفنا وفوضنا له أتمّ تفويض وأعمه فأردنا أن نعلمكم بذلك ولا يطرقنا شك بأن سيدي علي باشا يقوم بهذه المنزلة وتأسيس المحبة بين الدولتين كما كانت وزيادة وتتميم جميع الشروط المنعقدة بيننا ويفعل جميع جهده ويسعى بما أمكنه في الضبط على ذلك ونسأل الله تعالى أن يعينه ويتمم ذلك بخير وسعادة والتمام بتاريخ في 15 من ربيع الاول سنة 1248 هجرية .

---

(1) الأرشيف البريطاني .F. O. 76 - 32. P. 47

الوثيقة رقم (57)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون بخصوص إبلاغ حكومته بتوليه السلطة في الإيالة وهي بتاريخ 25 من ربيع الأول سنة 1248 هـ (1832 م) [1].

من عبد ربه علي باشا والي أوجاق(*) طرابلس غرب إلى حضرة محب جنابنا قنصل جنرال الإنقليز يلينا إعلامكم أن يصلكم طية كتاب تبلغوه لدولتكم وتعلموهم بولايتنا أمر هذه الإيالة وتيقنوهم بأننا ساعون في تأسيس هذه المحبة وارتباطها بين الجانبين وتتميم الشروط المنعقدة ولا زايد إلاّ خيراً والتمام بتاريخ 25 من ربيع أول سنة 1248 هـ .

(*) أوجاق: إيالة.

(1) الأرشيف البريطاني ، باللغة العربية ، .F. O. 76 - 32. P.41

الوثيقة رقم (58)

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الرابع حول تنازل أبيه له عن الحكم ورغبته في توطيد العلاقة مع الحكومة الإنجليزية وهي بتاريخ 25 من ربيع الأول 1248 هـ (1832 م) [1] .

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

من عبد ربه علي باشا قرمانلي وإلى أوجاق طرابلس غرب إلى حضرة الملك المعظم وليم الرابع راي الإنقليز وايرلاندة وغيرها طبي هذا كتاب من حضرة الموقر المعظم ولي نعمتي ووالدي كما ترون مضمونه في ولايتنا وتقليدنا ولايته بإرادته وآختيار أهل إيالتنا إيانا بالإستحقاق فمن يوم تاريخه بسطنا يد التصرف في إيالتنا فأردنا إعلامكم بذلك وأننا متحافظون على ما بيننا من المحبة الأكيدة كما أرجو أن يكون كذلك منكم وأرجو المولى سبحانه وتعالى أن لا تنحرم بيننا ولا تتغير وأن يتأسس ما بيننا من شروط الصلح بكل الأمان والاطمئنان من الجانبين وتعترفوا بولايتنا على هاته الإيالة بالخير والاسعاد والتمام بتاريخ 25 من ربيع أول سنة 1248 هـ .

---

(1) الأرشيف البريطاني ، (باللغة العربية) F. O. 76 - 32. P. 53.

الفهـرس

الموضوع الصفحة

الفصل الرابع

البعثات الكشفية الانجليزية وأثرها على العلاقات الطرابلسية الانجليزية (1818 - 1830)

الفصل الخامس

العلاقات الطرابلسية الإنجليزية في أواخر عهد يوسف باشا (1831 - 1832)

الموضوع الصفحة

ملحق الوثائق

العلاقة السياسية

بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا

تتناول هذه الدراسة موضوع العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب والحكومة الإنجليزية في عهد يوسف باشا الذي حكم إيالة طرابلس الغرب منذ سنة 1795 وحتى سنة 1832 م .

إن هذه الحقبة التاريخية مليئة بالأحداث والصراعات والتغيرات الداخلية والخارجية التي شكلت تفاعلاتها فترة ذات طابع خاص في تاريخ الإيالة يمثل كل جانب فيها وكل مظهر من مظاهرها بل وكل عنصر من عناصرها موضوعاً من الموضوعات الهامة الجديرة بالعناية والدرس .

وقد اختارت هذه الدراسة موضوع العلاقات الإنجليزية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرهمانللي لأنه ـ دون التقليل من قيمة أي جانب آخر ـ يشكل أهمية خاصة في التعرف على الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية التي تمرّ بها البلاد في تلك الفترة ، كما يتمثل فيه الدور الهام الذي كان يلعبه قناصل الدول الأجنبية ، وفي مقدمتها القنصل الإنجليزي في توجيه مسار الأحداث السياسية .



الثمن
2500 درهم داخل الجماهيرية